القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة الثانية والثلاثون العدد 10161 الأحد 31 كانون الثاني (يناير) 2021 – 18 جمادى الثانية 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10161 Sunday 31 January 2021

مسلمو فرنسا أمام
«ميثاق مبادئ الجمهورية»

كلميم المغربية:
باب الصحراء وهمزة الوصل

لاجئون وكادحون:
لاعبون لا يكرههم أحد

الانتخابات الفلسطينية:
استحقاق 15 سنة
03

الهجرة السرية:
تسابق الأفارقة إلى الموت
18

الإمْبْرَسارْيَو دْياغيْلَفْ
صانع المعجزات الفنية
27

عشرية «الربيع العربي»: حصيلة الآمال والآلام

مع استهلال العام الجديد 2021 تعود إلى ذاكرة الشعوب العربية سلسلة الانتفاضات التي بدأت من تونس وانطلقت شرارتها إلى مصر وليبيا واليمن وسوريا، وعمّت مجتمعات أخرى بدرجات أقلّ، وتسيدتها شعارات الكرامة والخبز والحرية ومطالب تغيير الأنظمة والتطلع إلى مستقبل ديمقراطي وتنموي وحكم رشيد. وإذا كانت غالبية تلك الانتفاضات قد شهدت ثورات مضادة وانقلابات وارتداد عن الأهداف الأصلية، بل عرفت في مثال سوريا احتلالات أجنبية وتبعية كاملة لقوى خارجية، فإن حصيلة ما سُمّي بـ«الربيع العربي» شهدت الآمال والآمال معاً، وتواصلت في ثورات الجزائر والسودان ولبنان ومواقع أخرى، وبالتالي فإن ميراثها ما يزال حياً والتاريخ لم يغلق أبوابه بعد أمام شعوبها.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

لبنان: رفض عون التمديد ليس ناتجاً عن زهد بل عن استحالة سياسية وشعبية

أطراف سياسية مناهضة للعهد لم تستبعد التوجّه لبقاء الرئيس ميشال عون في قصر بعبدا بعد انتهاء ولايته سواء بطلب تعديل دستوري للمادة 49 أو من خلال أي خيار آخر.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

في توقيت خاطئ في غمرة الأزمات التي يتخبّط بها لبنان وعلى رأسها احتجاجات طرابلس، برزت الضجّة التي نشأت إثر موقف عضو «تكتل لبنان القوي» النائب ماريو عون الداعي إلى التمديد لرئيس الجمهورية ميشال عون في قصر بعبدا. وبعد هذه الضجّة لفت حرص دوائر القصر الجمهوري على سحب هذا الملف من التداول واعتباره غير مطروح على الإطلاق وخارج إطار البحث. ووصل الأمر إلى حد نفي عون شخصياً أي تفكير بتمديد ولايته أو القبول به أياً تكن الجهة التي تنادي به.

ولا يعبّر موقف عون ولا موقف دوائر القصر الجمهوري عن زهد بالتمديد بقدر ما يعبّر عن إدراك وعن استحالة سياسية وشعبية للسير بمثل هذا الخيار. فردود الفعل الأولّية على طرح هذا الخيار من قبل النائب عون جاءت قاسية وغير مرحّبة، وسألت هل يكون تمديداً لعهد الفشل والقهر والانهيار؟. لذلك كان لا بدّ للفريق الرئاسي من إدراج ردود الفعل ضمن حملة تستهدف رئيس الجمهورية وعهده وإلى الكشف عن أن عون الرئيس استوضح عون النائب عن سبب إطلاق هذا الموقف، ليأتي التبرير أنه أتى جواباً على مطالبة نائب في «كتلة الجمهورية القوية» بتقصير ولاية رئيس الجمهورية.

وكان بعض خصوم العهد نظروا إلى موضوع تمديد الولاية الرئاسية على أنه مزحة جاءت على لسان نائب طبيب يدرك أن الرئيس ميشال عون البالغ من العمر 88 عاماً يبقى له أقل من سنتين في الحكم، وعند إنتهاء الولاية سيكون قد بلغ التسعين من العمر، فعن أي تمديد يتحدّثون علماً أن الأعمار تبقى بيد الله؟.

غير أن أطرافاً سياسية أخرى مناهضة للعهد لم تستغرب أو تستبعد الكلام عن أي توجّه لبقاء الرئيس اللبناني ميشال عون في قصر بعبدا بعد انتهاء ولايته سواء بطلب تعديل دستوري للمادة 49 من الدستور أو من خلال أي خيار آخر إلى حين توافر الظروف الملائمة لانتخاب صهره رئيس «التيار الوطني الحر» النائب جبران باسيل، وهذا أمر ليس متاحاً حالياً ولا في المستقبل القريب. إذا بقيت الاصطفافات السياسية على ما هي عليه وفوقها العقوبات الأمريكية على شخص رئيس التيار.

أما كيف السبيل لبقاء عون في قصر بعبدا فهو عبر أحد خيارين:

أولاً: البناء على الأسباب الموجبة لأي تمديد محتمل لولاية مجلس النواب التي تنتهي في ايار/مايو 2022 في حال عدم إجراء هذه الانتخابات، وهذا أمر محتمل خصوصاً إذا تمّ افتعال اشكالات حول قانون الانتخاب وتمّت المطالبة بتغيير القانون الحالي، أو إذا حدثت إضطرابات وأعمال فوضى كالاحتجاجات التي تجري في طرابلس. الأمر الذي يؤدي إلى عدم إجراء انتخابات نيابية جديدة، وهكذا يُبنى على هذه الأسباب الموجبة لطلب تمديد ولاية عون بهدف عدم إحداث شغور في رئاسة الجمهورية يترك تداعياته على الأوضاع العامة في البلاد.

ثانياً: تمديد ولاية رئيس الجمهورية بشكل قانوني ودستوري من خلال تعديل المادة 49 من الدستور التي تحدّد ولاية الرئيس بـ 6 سنوات. لكن هذا الأمر يتطلّب موافقة ثلثي أعضاء مجلس النواب أي 86 نائباً، وهناك استحالة لنيل موافقة كتل على مثل هذا التمديد وخصوصاً من قبل كتل «المستقبل» و«اللقاء الديمقراطي» و«الجمهورية القوية» و«الوسط المستقبل» وحتى «التنمية والتحرير» ما يحول دون تأمين أغلبية الثلثين. وحتى إذا تمّ إحتساب النصاب على أساس 80 نائباً بعد استقالة النواب الثمانية فمن الصعب تأمين هذا العدد من النواب.

ثالثاً: الاستناد إلى دراسة قانونية يعدّها ويشرف عليها مستشار الرئيس عون الوزير السابق سليم جريصاتي تحت عنوان مقتضيات الوفاق الوطني والميثاقية وعدم جواز حصول فراغ في رئاسة الجمهورية، والاستناد إلى أن الحكومة عند استقالتها تبقى في وضع تصريف الأعمال وهذا ما يجب أن ينطبق على رئاسة الجمهورية إلى حين انتخاب رئيس جديد وعدم تكرار سوابق الفراغ.

غير أن مثل هذه الدراسة تبقى ركيكة قانونياً، ويمكن الطعن بها استناداً إلى المادة 62 من الدستور التي بعد تعديلها أصبحت تحول دون تكليف رئيس الجمهورية المنتهية ولايته حكومة انتقالية كالحالة التي حصلت مع عون نفسه لدى انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل عام 1988. وباتت المادة 62 تنصّ على ما يلي «في حال خلوّ سدّة الرئاسة لأيّ علّة كانت تُناط صلاحيات رئيس الجمهورية وكالةً بمجلس الوزراء». وعبارة «أيّ علّة كانت» تشمل حالة إنتهاء ولاية الرئيس وعدم التمكن من انتخاب الخلف.

وبما أنّ ولاية الرئيس محدّدة بموجب المادة 49 من الدستور بست سنوات وليس أكثر، فإنه وعلى ضوء أحكام المادتين 49 و62 يقتضي على الرئيس ترك سدّة الرئاسة عند انتهاء ولايته. وعدا ذلك تذهب الأمور في منحى مغاير وتتحقّق توقّعات رئيس الجمهورية عن خصومه الذين كما قال عنهم «يعتمدون على كوابيسهم ولا يتوخّون سوى استغلال موضوع التمديد ونحن لا نزال في الثلث الثالث من الولاية».

مقدمة لإنهاء الانقسام وإعادة الوحدة الوطنية

الانتخابات الفلسطينية: استعدادات كبيرة لإنجاز مهمة وطنية غابت منذ 15عاما

تستعد التنظيمات الفلسطينية، لعقد اجتماع في العاصمة المصرية بدايات الشهر المقبل، وسيتم نقاش ملف الانتخابات بشكل موسع لتذليل أي خلاف حوله، والعمل على الضمانات اللازمة لتوفير السبل الصحيحة لها.

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

تواصل الجهات المختصة الاستعدادات اللازمة، لتسهيل تنفيذ المرحلة الأولى لعملية الانتخابات، والمتمثلة في تحديث السجل الانتخابي، فيما تقوم جهات حكومية بإجراء اتصالات مع جهات دولية، من أجل أخذ ضمانات لعقد الانتخابات بدون أي معوقات إسرائيلية، خاصة في مدينة القدس المحتلة.

وشرعت لجنة الانتخابات المركزية، بعمليات تدريب موظفيها الجدد بالتزامن في الضفة الغربية وغزة، استعداداً لعقد الانتخابات الفلسطينية 2021. وقال المدير التنفيذي للجنة الانتخابات هشام كحيل في افتتاح أولى الورشات التدريبية برام الله، إن المشاركين في الدورات يمثلون ذراع اللجنة التنفيذية في جميع مراحل العملية الانتخابية، وأوضح أن هذه الدورات تأتي ضمن خطط اللجنة للتأكد من جهوزية طواقمها لبدء العمل على تنفيذ الانتخابات الفلسطينية 2021 وفق القانون.

دورات تدريبية

ويشير إلى ان خمس دورات تدريبية تعقد حاليا، ثلاث منها في رام الله واثنتين في غزة، بمشاركة 120 موظفاً وموظفة ممن جرى تعيينهم في مكاتب المناطق الانتخابية البالغ عددها 16 تمثل محافظات الوطن كافة (11 بالضفة و5 في غزة). حيث تشمل مواضيع التدريب شرح قانون الانتخابات وتعديلاته، وإجراءات العملية الانتخابية بداية بعملية التسجيل، إلى جانب اطلاع المتدربين على تفاصيل عمل دوائر اللجنة وقواعد السلوك التي تحكم عملهم في جميع مراحل العملية الانتخابية. وكان كحيل قال إن زيارة اللجنة لقطاع غزة ستكون عقب استصدار التصاريح اللازمة للوصول إلى هناك، مؤكدًا أنّ «العمل يجري على قدم وساق من أجل إنجاح العملية الانتخابية بالشراكة مع الفاعلين كافة».

في السياق، أطلقت لجنة الانتخابات المركزية، رقم الاستعلام الوطني المختصر لتمكين الناخبين من معرفة مكان الاقتراع الخاص بكل منهم، وذلك من خلال الاتصال على الرقم 600 عبر الشبكات الخلوية الفلسطينية، وبات بإمكان كل مواطن الاتصال مجاناً على هذا الرقم، إدخال رقم هويته، لتصله رسالة تفيد باسم المركز المقرر أن يقترع فيه، حسب بياناته في سجل الناخبين.

ويوضح الناطق باسم لجنة الانتخابات المركزية فريد طعم الله بأن إطلاق هذه الخدمة يأتي ضمن الحملة التي شرعت اللجنة بتنفيذها باستخدام مختلف الوسائل المتاحة، لتمكين المواطنين من الاطلاع على بياناتهم الانتخابية وتحديثها، وأشار إلى أنه بإمكان أي مواطن لم يسجل مسبقاً أو يرغب في تحديث بياناته القيام بذلك من خلال البرنامج الفلكتروني على الموقع الرسمي للجنة على شبكة الإنترنت.

وجاء ذلك في وقت استمرت فيه عملية التسجيل الإلكتروني، وتحديث بيانات الناخبين، عبر موقع اللجنة، وهي مرحلة تسبق قيام لجان فرعية بفتح مراكز محددة لتحديث البيانات وتسجيل من تنطبق عليهم شروط المشاركة في الانتخابات.

ووفق آخر أرقام نشرتها اللجنة، فإنه جرى تسجيل نحو 70 ألف مواطن، عبر موقع اللجنة الإلكتروني، ويشير المسؤولون في اللجنة، أن هناك قبالا كبيرا على التسجيل، خاصة من فئة الشباب، ومن المقرر حسب الخطة الموضوعة، أن يتم فتح مراكز التسجيل في قطاع غزة والضفة الغربية، يوم العاشر من الشهر المقبل، كما ستكون هناك قوى ميدانية تتجول لتسجل الناخبين، القاطنين في مناطق بعيدة.

مليونان و400 ألف ناخب

وقبل بدء فتح السجل الانتخابي للتحديث والتسجيل، كان هناك 2 مليون و200 ألف مواطن مسجلين سابقا، ويتوقع أن يزيد العدد بنحو 200 ألف آخرين في نهاية العملية، حيث يسمح لمن هم فوق سن الـ 18 عاما التسجيل، من أجل المشاركة في العملية الدمقراطية.

وأكد المدير التنفيذي للجنة الانتخابات المركزية هشام كحيل، أنّ اللجنة تعمل على قدم وساق للتجهيز للعملية الانتخابية في فلسطين، مشيرا إلى أنه ستكون هناك طواقم متنقلة، تضم أكثر من 600 موظف يتبع للجنة الانتخابات يجوبون كافة المناطق الفلسطينية ويدعون الناس لتسجيل أنفسهم، لافتا إلى أن الانتخابات المرتقبة ستشهد حضوراً عالمياً غير مسبوق. وكانت اللجنة ويشكل رسمي، سلمت دعوة للاتحاد الأوروبي والبرلمان الأوروبي للرقابة على الانتخابات الفلسطينية 2021 وأكد رئيس لجنة الانتخابات حنا ناصر، خلال تسليم الدعوتين لممثل الاتحاد الأوروبي سفين كون فون بورغسدورف، على أهمية الرقابة الدولية على العملية الانتخابية، لا سيما الاتحاد الأوروبي الذي يعتبر شريكاً مهماً للجنة على مدار السنوات الماضية. داعياً كافة الجهات والمؤسسات الدولية للمشاركة في الرقابة على العملية الانتخابية.

وكان رئيس الوزراء محمد اشتية، طالب ممثل الاتحاد الأوروبي، بأن يقوم الاتحاد بتوفير كافة أشكال الدعم والمساندة التي تحتاجها العملية الانتخابية، بما في ذلك دعم ميزانية لجنة الانتخابات، وإرسال مراقبين دوليين للإشراف على العملية الانتخابية، وجدد تأكيده على ضرورة الضغط على إسرائيل، لتمكين أهالي القدس من المشاركة في الانتخابات، بالترشح والانتخاب، وشدد على أن الحكومة تعمل بكل طاقتها لإنجاح إجراء الانتخابات، وقال «بالنسبة لنا، إجراء الانتخابات أمر وجودي، تتمثل أهميته في إنهاء الانقسام، وتحقيق المصالحة والوحدة الوطنية، وحماية شعبنا وحقوقه الديمقراطية».

تحركات للضغط على إسرائيل

ويجري العمل حاليا، على تجنيد موقف دولي ضاغط على الاحتلال، من أجل تمكين سكان القدس المحتلة من المشاركة في الانتخابات «ترشحا وانتخابا» وقد أجريت اتصالات بهذا الخصوص مع دول وازنة في الاتحاد الأوروبي، ويتردد أن الطلب نفسة سينقل من القيادة الفلسطينية، للإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة جو بايدن.

ويعقد المسؤولون الفلسطينيون آمالا كبيرة على قدرة المجتمع الدولي، بالضغط على إسرائيل، لعدم وضع أي عراقيل تمنع إجراء الانتخابات في القدس، وحسب مسؤول في حركة فتح تحدث لـ القدس العربي، فإن هناك جهات أوروبية ودولا إقليمية وعربية، وعدت بالضغط على إسرائيل، من أجل عقد الانتخابات في القدس، كما توقع أن تتدخل إدارة بايدن في هذا الشأن.

وبموجب المرسوم ستجرى الانتخابات التشريعية بتاريخ 22 ايار/مايو 2021 والرئاسية بتاريخ 31 تموز/يوليو 2021 على أن تعتبر نتائج انتخابات المجلس التشريعي المرحلة الأولى في تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني.

وأكد المرسوم أنه سيتم استكمال المجلس الوطني في 31 اب/أغسطس 2021 وفق النظام الأساس لمنظمة التحرير والتفاهمات الوطنية، بحيث تجرى انتخابات المجلس الوطني حيثما أمكن، وتلا ذلك أن أعلنت لجنة الانتخابات المركزية عن مواعيد فتح التسجيل، والذي أتيح حاليا إلكترونيا، كما حددت مواعيد بدء الدعاية وتسجيل القوائم وغيرها من الأمور الخاصة بالانتخابات.

هذا وتستعد التنظيمات الفلسطينية، لعقد اجتماع مهم في العاصمة المصرية القاهرة، بدايات الشهر المقبل، حيث وزعت مصر الدعوات على الفصائل للحضور، وسيتم نقاش ملف الانتخابات بشكل موسع، لتذليل أي خلاف حوله، وكذلك العمل للتوصل إلى الضمانات اللازمة لتوفير السبل الصحيحة لها.

ومن المقرر أن يجري النقاش حول إجراء الانتخابات في القدس المحتلة، والخطط البديلة في حال قام الاحتلال بفرض قيود على العملية، حيث سيعلن المجتمعون للتوصل إلى «وثيقة شرف» تنظم عملية الانتخابات، وتضمن الحريات العامة، دون قيود.

ملفات مهمة تبحث في القاهرة

وإلى جانب الانتخابات في القدس، سيكون أمام المجتمعين خاصة حركتي فتح وحماس، التوافق على «محكمة الانتخابات» التي ستبث في الطعون وفي القضايا التي لها علاقة بأي ملف يطرأ له علاقة بالانتخابات، وسيتركز البحث على كيفية تشكيلها والقضاة المشاركين فيها، وهنا يدور الحديث عن قضاة من الضفة وآخرين من غزة، لينأط بالمحكمة كل أمر يتعلق بالعملية الديمقراطية، خاصة وأن حركة فتح ترفض التعامل مع قضاء غزة الذي يتبع إدارة حركة حماس، وهو ما جرى في الانتخابات البلدية التي ألغيت في القطاع عام 2016 خاصة وأن هناك حاليا نظامَين قضائيَّين في غزة والضفة، ولا يوجد تنسيق بينهما بالمطلق.

وكان عضو اللجنة المركزية لحركة فتح عزام الأحمد، قال إن اجتماع الفصائل الفلسطينية بالقاهرة سيبحث آليات إنجاح الانتخابات المقبلة، وقال فيما يخص محكمة الانتخابات إن القانون ينص على أن يقوم المجلس الأعلى للقضاء بترشيح 9 أسماء من القضاة، منهم 4 من قطاع غزة و5 من الضفة، ويتم رفع هذا الترشيح للرئيس عباس لإصدار مرسوم بتشكيل المحكمة.

أما عضو المكتب السياسي لحركة حماس خليل الحية، فقال أن موضوع المحكمة الدستورية، سيكون من القضايا المهمة التي ستتم مناقشتها في حوارات القاهرة، ولفت إلى أن حماس تطلب بأن تستبعد المحكمة الدستورية من أي شيء له علاقة بالانتخابات، كونها تشكلت بعيدا عن التوافق الوطني، وقال إن حماس جاهزة لاحترام نتائج صناديق الاقتراع، وقال «يجب أن نجهز أنفسنا جميعا لاحترام النتائج مهما كانت».

وكان الرئيس الفلسطيني قال خلال كلمة له في اجتماع قيادي لحركة فتح، أنه سيكون بعد أقل من أسبوع حوار معمق بين الفصائل حول الانتخابات، وقال «نحن حريصون كل الحرص على أن الكل الوطني يشارك في هذه الانتخابات، وأن يصل إلى النتيجة التي يريد، بمعنى أن ينجح، فلذلك ستكون قلوبنا مفتوحة وعقولنا أيضا مفتوحة للحوار مع أشقائنا وإخواننا، هذا الحوار الذي سيعقد حسب الاتفاق في القاهرة». وقال «ما يتفق عليه الأخوة جميعهم نحن ملتزمون به. نحن مصممون على أن ننجز الانتخابات، وإذا كان معنا الجميع أهلاً وسهلاً، وإذا كان معنا البعض فأهلاً وسهلاً، ولكن نحن حريصون كل الحرص على أن يكون الكل في الساحة، والانتخابات ستجري في غزة وفي القدس الشرقية وفي الضفة الغربية».

لماذا الفشل الأمني وتجدد الإرهاب في العراق؟

أجرى الكاظمي تغييرات في قيادات بعض الأجهزة الأمنية، رفضته القوى السياسية المتنفذة وهددت بإسقاط حكومته لتجرأه على إبعاد قادة محسوبين على الأحزاب والفصائل الولائية ومقربين من إيران.

قوات الحشد الشعبي في كركوك

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

في كل مرة تتصاعد فيها العمليات الإرهابية في العراق، تثار تساؤلات عن أسباب الخروقات الأمنية، ومن يقف وراءها وكيفية نجاح المجاميع المسلحة في الوصول إلى أهدافها رغم جيوش جرارة من القوات المسلحة التي تستنزف ميزانية العراق. ولماذا تمكنت القوات الحكومية المسلحة من القضاء على ما يسمى دولة «داعش» ولكنها تعجز عن متابعة وكشف تحركات مجاميع مسلحة وبقايا جيوب «داعش» إضافة إلى العجز عن ردع تحركات الفصائل المنفلتة، وسط توقعات بوجود سيناريو لجر البلد إلى الانهيار والفوضى خدمة لمافيات الفساد والمشروع الإقليمي.

فقد تزايدت العمليات الإرهابية في العراق مؤخرا، وخاصة بعد الانفجارين الكبيرين وسط بغداد، وشن هجمات مسلحة على مقرات الحشد الشعبي في محافظة صلاح الدين، والتي سقط فيهما عشرات القتلى ومئات الجرحى، كما تواصل شن هجمات مسلحة في الأنبار وديالى والموصل وغيرها، بالتزامن مع تزايد تفجير العبوات الناسفة في طريق القوافل التي تنقل المعدات والتجهيزات لقوات التحالف الدولي، إضافة إلى تجدد قصف مطار بغداد بصواريخ الكاتيوشا. ولم تغب عن هذا المشهد، عمليات الاغتيالات والاعتداءات على ناشطين وسياسيين مشاركين في الانتخابات وشيوخ عشائر، دون كشف الفاعلين في كل الحالات.

وازاء تصاعد العمليات الإرهابية الأخيرة، وتجدد الدعوات لإصلاح المؤسسة العسكرية وإبعاد تأثير الأحزاب السياسية والميليشيات عنها، فإن رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي أجرى تغييرات في قيادات بعض الأجهزة الأمنية، لتقصيرهم في اداء واجب حماية المواطنين وكشف النشاطات الإرهابية. إلا ان قرار الكاظمي، رفضته القوى السياسية المتنفذة التي هددت بإسقاط حكومته عبر سحب الثقة عنها في البرلمان، وذلك لتجرأه على إبعاد قادة أمنيين محسوبين على الأحزاب والفصائل الولائية ومقربين من إيران.

ولا ريب ان موقف القوى السياسية هذا، عزز قناعة الجميع بأن استمرار وقوع الخروقات الأمنية، يعود لعدة أسباب، أهمها تدخل أحزاب السلطة في عمل الحكومة والأجهزة الأمنية، لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية، مما يكبل القوات الأمنية ويعرقل عملها.

نائب رئيس الوزراء الأسبق والمقرب من التيار الصدري بهاء الأعرجي، كشف عن «فرض كتل سياسية للتعيينات بالمناصب الأمنية فيما يشهد العراق جرائم كبيرة ضد المواطنين لا يتم الإفصاح عنها في الوقت الذي تجرى فيه عمليات نوعية تتم بمعلومات أمريكية نظرا للأخطاء الكبيرة في بناء المؤسسة العسكرية».

مؤكدا «أن الأحزاب تعرقل عمل الكاظمي حيث أفشلت محاولته لإجراء تغيير وزاري مؤخرا».

أما السبب الأقوى في هذه المرحلة، لتصاعد العنف والتوتر في العراق، فهي الانتخابات التي تثير خلافات عميقة وصراعات بين الأحزاب المتنفذة الساعية لإبقاء هيمنتها على كنز السلطة، وبين محاولات يتيمة لإجراء انتخابات مبكرة نزيهة استجابة لمطالب الشعب بالإصلاح والتغيير لإيقاف الانهيار الشامل للبلد.

وفي هذا السياق، تستغل القوى السياسية الشيعية، الخروقات الأمنية، لإعادة التجييش الطائفي في الشارع الشيعي قبيل الانتخابات المقررة، عبر الإدعاء بوجود حواضن لعصابات «داعش» في أطراف العاصمة (في المناطق السنية) والمطالبة باستمرار الاعتقالات ضد أبنائها، فيما يشن قادة الفصائل الولائية، حملة شرسة ضد رئيس الجمهورية برهم صالح والحكومة، متهمة اياهم بعرقلة تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة بحق متهمين بالإرهاب موجودين في السجون الحكومية، وذلك بالرغم من أن العراق في مقدمة دول العالم في عدد تنفيذ أحكام الإعدام، ورغم تحفظات منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية حول مدى صحة الأحكام المستندة على اعترافات انتزعت من المتهمين بالتعذيب، وهو ما دفع تحالف القوى الوطنية (السنية) لتوجيه رسالة إلى الرئيس صالح بأن «بعض القوى الشيعية تستغل تغجيري ساحة الطيران وتطالب بإعدام كل المتهمين بالإرهاب، لتحقيق مكاسب سياسية على حساب دماء الأبرياء».

وهذه الحقيقة أقر بها زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، عندما غرد على تويتر، انه «مع اقتراب التنافس الانتخابي، هناك ضغوط تمارس من بعض الجهات ضد أهالي المحافظات السنية بحجة محاربة الإرهاب» مؤكدا انه «من المعيب أن تتصادم القوى السياسية من أجل الانتخابات، والمحافظات أجمع تعيش تحت خط الفقر والجوع والوباء والخوف».

ومن جهة أخرى، يعتقد مطلعون، ان تصاعد الهجمة الإرهابية والعنف، له صلة أيضا بمخاوف لدى الفصائل الشيعية من استجابة الكاظمي لضغوط أمريكية ودولية لإنهاء الحشد الشعبي، وخاصة بعد شمول قادته بالعقوبات الأمريكية، حيث قال قائد حزب الدعوة المقرب من إيران نوري المالكي، إن «الحشد الشعبي باق ومستمر بكل إصرار وعزيمة».

ولا شك بان مجيء إدارة أمريكية جديدة لم تتضح سياستها تجاه المنطقة وخاصة بعد إعلانها نيتها مراجعة قرار سحب القوات الأمريكية من العراق، سيكون سببا قويا لبعض القوى السياسية وأذرعها، لافتعال تصعيد أمني في العراق وسط تهديدات قيادات شيعية بكارثة وانهيار سياسي وأمني ينتظر البلد، لايصال رسالة بأن استقرار العراق هو ورقة ضغط في أية مفاوضات قادمة بين الولايات المتحدة وإيران.

ويذكر ان إعلان حكومة الكاظمي، نجاحها مؤخرا في قتل 17 من قادة تنظيم «داعش» لا يعني انتهاء الأعمال الإرهابية بشكل كامل في العراق، للأسباب المذكورة أعلاه وأسباب أخرى.

ويبدو واضحا انه ما دامت المؤسسة العسكرية العراقية، أسيرة للأجندات السياسية المحلية والإقليمية، وما دام هناك مشروع «للدولة العميقة» باضعاف الدولة مقابل تقوية الفصائل الولائية، في استنساخ للنموذج الإيراني، لذا ستظل الحكومات عاجزة عن انهاء الإرهاب والعنف، رغم وجود امكانيات وخبرات عسكرية وأمنية كبيرة لديها ورغم الدعم الكبير من التحالف الدولي. وهو ما يعزز القناعة بأن الخروقات الأمنية لن تنتهي في العراق أبدا، وسيتواصل نزيف دماء الأبرياء، لسبب بسيط هو ان أسبابها والجهات التي تقف وراءها ما تزال موجودة في البلد بقوة، وهي قادرة على التحرك بسهولة في الأوقات والأماكن التي تناسب مشروعها.

سوريا: تنظيم «الدولة الإسلامية» يهاجم مجلسا مدنياً في عمق

ينقل تنظيم «الدولة» هجماته إلى مناطق جديدة ويستهدف منطقة سيطرة قسد بشكل رئيسي كونه قادرا على التخفي بين مدنييها، بعد ان اخلي سبيل عدد منهم من سجون وحدات حماية الشعب.

منهل باريش

قتل تنظيم «الدولة الإسلامية» مسؤولتين محليتين في قلب المنطقة التي يسيطر عليها التحالف الدولي للقضاء على «داعش» وقوات سوريا الديمقراطية «قسد» في ريف بلدة الشدادي جنوبي محافظة الحسكة.

وفي هجوم لافت، اقتحم عناصر تنظيم «الدولة» مجلس قرية تل الشاير، الأسبوع الماضي، واقتادوا الرئيسة المشتركة لمجلس تل الشاير، سعدة فيصل الهرماس، ونائبتها هند لطيف الخضر. وقام عناصر التنظيم بتصفية السيدتين بالقرب من القرية. وأشار مصدر محلي من أبناء بلدة الشدادي القريبة لـ «القدس العربي» إلى أن عناصر التنظيم «بعد قتل سعدة وهند قاموا بفصل رأسيهما عن جسديهما بهدف ترهيب أهالي المنطقة المتعاملين مع الإدارة الذاتية».

وشكل مقتل القياديتين في المجلس صدمة كبيرة في أوساط العاملين في «الإدارة الذاتية»، خصوصا العربيات اللواتي بدأن يشعرن بالتهديد والخوف على حياتهن مع وصول خلايا التنظيم إلى شرق بلدة الشدادي ومهاجمة المجلس في وضح النهار.

وأدان القائد العام لـ«قسد» مظلوم عبدي، الجريمة التي استهدفت الإداريتين في مجلس بلدة تل الشاير جنوب الحسكة. وقال في تغريدة على تويتر، الاثنين: «الشهيدة سعدة الهرماس والشهيدة هند الخضير طالتهما أيادي الغدر والجبن أثناء قيامهما بواجب خدمة منطقتهما».

وفي السياق نفسه، أدانت بعثة سفارة أمريكا في دمشق مقتل المسؤولتين في مجلس تل الشاير، وقالت الخميس، في بيان مقتضب «لقد تلقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ببالغ الحزن والأسف خبر وفاة هند لطيف الخضر وسعدة الفيصل الهرماس» ووصفت القتيلتين بأنهما «كرستا حياتهما لخدمة مجتمعاتهما» وقدمت البعثة العزاء «نتقدم بتعازينا لذويهم وان ما أصابكم من حزنٍ أصابنا» متهمة تنظيم «الدولة» بقتلهما.

واستهدف مقاتلو التنظيم رتلا للفرقة الرابعة يضم حافلات عسكرية وعربات حماية تضم سيارات نوع بيك آب، مثبت عليها رشاشات ثقيلة ومدافع نوع 23 ملم، ووقع الرتل في كمين نصبه عناصر التنظيم في منطقة الشولا على طريق تدمر – السخنة– دير الزور، وهاجم عناصر تنظيم «الدولة» الرتل، ظهر الأحد الماضي، موقعين 30 عنصرا بين قتيل وجريح، وأعطبوا عددا من الآليات والحافلات. في حين اعترف النظام السوري بمقتل ثلاثة عناصر وجرح 15 آخرين، وبث صورا لباصات النقل الداخلي (الباصات الخضر) وقد تعرضت لأضرار طفيفة، اقتصرت على النوافذ الجانبية.

وبثت حسابات مقربة من شركة «فاغنر» الأمنية الروسية صوراً لمروحيتين هجوميتين تطيران على ارتفاع منخفض للغاية تقومان بتمشيط إحدى مناطق البادية دون تحديدها. وحسب الشريط المصور قدر ناشط محلي لـ «القدس العربي» أن المنطقة الظاهرة في الفيديو والتي تشكل مجرى لمياه الأمطار والسيول هي منطقة مؤدية إلى فيضة ابن مويتع وهي إحدى أكبر الجيوب التي ينشط فيها التنظيم ومنها ينطلق في أغلب هجماته الأخيرة المتركزة بين الشولا وكباجب في ريف دير الزور الغربي.

قريبا من المنطقة، فجر عناصر التنظيم خط غاز فرعي بالقرب من السخنة، الجمعة، وتلى ذلك اشتباكات بين عناصر التنظيم وقوات النظام، وأرسل النظام تعزيزات إلى تلك المنطقة بهدف تأمينها وإصلاح خط الغاز المدمر.

وفي اليوم ذاته، تعرضت الفرقة الرابعة التابعة لقوات النظام السوري لعدة هجمات على نقاطها المنتشرة في بادية البوكمال الغربية في ريف دير الزور الشرقي.

وأحصت «القدس العربي» مقتل عناصر من الفرقة الرابعة، وجرح عشرة آخرين جراء هجوم استهدف مواقعهم، وذكرت صفحات شخصية لعناصر الفرقة أن «داعش تسلل في توقيت واحد على عدة نقاط ليلاً، ونقل الجرحى إلى المستشفيات القريبة في دير الزور والميادين وبعضهم إلى المستشفى العسكري في دير الزور، وبعضهم أصيب بجروح بليغة، ما يرجح ارتفاع أعداد القتلى».

وأشارت الصفحات إلى وصول مساندات متعددة إلى مكان الاستهداف من عناصر ميليشيا الدفاع الوطني وتعزيزات إضافية من الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري وعناصر لواء القدس الفلسطيني الموالي لروسيا. في المنطقة ذاتها، نصب مقاتلو التنظيم كمينا لدورية على الطريق الترابي المحاذي للحدود السورية العراقية، داخل الأراضي السورية، أدى إلى مقتل سبعة عناصر – على الأقل– من الفرقة السابعة.

من جهة أخرى، أوقفت قوات النظام حركة الآليات على طريق تدمر– دير الزور في المنطقة الممتدة من بلدة السخنة وصولا إلى تقاطع الشولا. واستمر توقف الحركة عدة ساعات، ليعلن النظام لاحقا بتأمين الطريق إثر عمليات تمشيط وملاحقة لخلايا تنظيم «الدولة» في مقطع الطريق المذكور والذي تحول آخر شهرين إلى جحيم بالنسبة لقوات النظام، بسبب هجمات عناصر تنظيم «الدولة» شبه اليومية والتي أوقعت عشرات القتلى، وكان أكبرها حصيلة للفرقة الرابعة التي يقودها اللواء ماهر الأسد شقيق رئيس النظام السوري، نهاية عام 2020 حيث قتل قرابة 50 عنصراً.

ويركز التنظيم هجومه على حافلات المبيت التي تنقل أعداداً كبيرة من مقاتلي قوات النظام قادمين من حمص إلى دير الزور، وهم جنوده الحاصلين على إجازات أو الذين يقوم بتبديلهم كل ثلاثة أشهر، وعناصر جدد أرسلوا لمساندة رفاقهم في دير الزور بهدف مواجهة التهديدات المتزايدة وشبه اليومية لتنظيم «الدولة».

وخسر لواء «القدس» الفلسطيني في 17 كانون الثاني (يناير) الجاري خمسة من مقاتليه، وأعلن اللواء المدعوم روسياً مقتل خمسة من عناصره في شمال السخنة على الطريق الواصل بين السخنة في ريف حمص والرصافة جنوبي محافظة الرقة. وتعرض لواء القدس إلى عشرات الهجمات والكمائن في تلك المنطقة حيث ينتشر على كامل الطريق بين الكوم شمالا والسخنة جنوبا، مرورا بمنطقة الكم. وتوكل مهمة حراسة تلك المنطقة للواء القدس وينتشر في منطقة الشولا وجنوبها أيضا، في الطريق الواصل إلى حقل التيم وحقول منطقة السخنة.

المنطقة الأمريكية ويحول الشولا إلى جحيم ضد قوات النظام

تدريجياً، ينقل تنظيم «الدولة» هجماته إلى مناطق جديدة لم يكن قد وصل إليها منذ هزيمته في ربيع 2019 في مخيم الباغوز على الضفة اليسرى لنهر الفرات قرب الحدود السورية العراقية. ويستهدف منطقة سيطرة قسد بشكل رئيسي كونها الأكثر كثافة سكانية في منطقة سرير النهر، وما زالت تضم أعداداً كبيرة من أهالي القرى العربية هناك، وكونه قادرا على الاحتماء والتخفي بين مدنييها، خصوصا وان عددا كبيرا من مقاتلي التنظيم اخلي سبيلهم من سجون وحدات «حماية الشعب» الكردية بعد وساطات عشائرية، فعاد عدد كبير منهم إلى العمل لصالح التنظيم مجددا فيما قتل التنظيم وما زال يستهدف كل الذين غادروه بشكل فعلي.

وينتهج التنظيم سياسة القوة والبطش، كما فعل سابقا، ضد كل الذين عملوا مع مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي، سياسيا أو عسكريا. فهو يستهدف أعضاء المجالس المدنية بالتوازي مع المنتسبين العسكريين إلى قسد. وربما يرى في المنضوين المدنيين في «الإدارة الذاتية» خطرا أكبر كونه يؤلب المجتمع كاملا ضده، تحديدا المرأة العاملة في الإدارة. ويريد التنظيم أن يوجه رسالة شديدة اللهجة بقتل النساء العاملات في المجالس، انه لن يسامح أحدا بمن فيهم النساء، وهو ما سيدفع وجهاء العشائر والآباء بصورة عامة إلى منع بناتهم من العمل في الإدارة الذاتية خشية على حياتهم.

وشيئا فشيئا، تتحول عقدة تقاطع الطرق في الشولا غرب دير الزور إلى بؤرة سوداء، مصير داخلها الموت بالتأكيد. فإذا كان النظام غير قادر على حماية أرتاله على الطريق بين السخنة وكباجب والشولا فانه لن يتمكن من حماية المدنيين على الطريق. ويذكر وقف الحركة المؤقتة عليها ببدايات ما حصل في عام 2012 عندما فقد السيطرة عليه، وأصبح يقوم بتسيير الأرتال الكبيرة التي تضم سيارات المدنيين والعسكريين، في حين يسيطر فصائل الثوار على الطريق عدا عن مرور تلك الأرتال والتي لم تكن تسلم من هجمات ثوار المنطقة وكتائب «الجيش الحر» المحلية، وهو ما يعرض سيطرة النظام في شرق سوريا إلى اختبار جديد قريبا.

اتهامات للبحرين والإمارات بنسف المصالحة

دول الخليج ورهان تجاوز تداعيات أزمة حصار قطر وفتح صفحة جديدة

ما تزال مسألة الثقة بين العواصم التي فرضت حصاراً على الدوحة، والدولة التي تضررت منها، بحاجة لبعض الوقت، وهو ما يؤكده المسؤولون في مناسبات مختلفة.

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

يرصد المتابعون والمراقبون للشأن الخليجي، تفاعلات المشهد السياسي في المنطقة ما بعد قمة العُلا، والمصالحة بين دول مجلس التعاون الست، ومصر، ومدى تكريسها على أرض الواقع، للتأسيس لمرحلة جديدة من العلاقات.

الرسائل الإيجابية المتبادلة بين الدوحة والرياض، تعطي حتى الآن مؤشراً عن امكانية توجيه البوصلة نحو تعزيز منحى العلاقة بين دول الخليج، لو استكملت نحو باقي العواصم.

المسؤولون في قطر، يؤكدون في المناسبات أن ما تحقق في قمة العُلا والبيان الموقع، هو خريطة طريق للمرحلة المقبلة، وتأسيس لمسار تصالحي يحقق الاستقرار في المنطقة، والتأكيد على التزامها لترسيخه.

وشددت لولوة الخاطر مساعدة وزير الخارجية القطري والمتحدثة باسم الخارجية، أنه «لا بد في البداية أن نُرسي حقيقة أن الحصار والأزمة الخليجية لم تكن خيارنا، ولا يمكن أن تكون تفضيلنا، هذه الحقيقة لا بد أن نقر بها، أما وقد قلنا ذلك؛ فمما لا شك فيه أن قطر تعاملت مع هذا الحصار على أنه واقع، والحقيقة أنها نهضت إلى مستوى التحدي، وحقّقت عدداً من المكاسب».

وما تزال مسألة الثقة بين العواصم التي فرضت حصاراً على الدوحة، والدولة التي تضررت منها، بحاجة لبعض الوقت، وهو ما يؤكده المسؤولون في مناسبات مختلفة.

تجاوز الأزمة

ومؤخراً أكدت المتحدثة باسم الخارجية القطرية، أن الدول ستحتاج إلى وقت لإعادة بناء الثقة، فهذه مسألة لا بد من لفت النظر إليها. وهذا العامل أي الثقة، يرتبط أيضاً بحسابات أخرى تتعلق بالسياسة الخارجية للدول.

ففي قمة العُلا أكد المشاركون أن الاتفاق تم على ضرورة عدم التدخل في شؤون الدول.

لكن ما تزال أبو ظبي تصرح بضرورة تناغم الدوحة مع سياساتها. وفي هذا السياق يشير المسؤولون القطريون، أنه فيما يتعلق بالعلاقة مع إيران أو العلاقة مع تركيا، التي تعتبر إيجابية، تعتبر الدوحة نفسها مقدرة لوقوف الدولتين معها في سنوات الحصار، ومن المروءة أن يقدر الأمر. طبعاً هي علاقات ممتازة.

ترى نهى أبو الدهب الخبيرة في السياسة الخارجية أنه فيما تقلب قطر والدول المحاصِرة الأربع الصفحة وتسير قدماً، ينبغي على منطقة الخليج استعراض الضرر السياسي والاجتماعي الذي سبّبته الأزمة الخليجية ومعالجته والإقرار به، خصوصاً أن التصدّعات في النسيج الاجتماعي الخليجي لا يمكن عكسها ولا نسيانها بسهولة.

وتضيف الباحثة أنه في الفترة التي سبقت قمّة العلا، أيقن بأنّ قطر وافقت على إسقاط دعواها الدولية ضدّ الدول المحاصِرة كخطوة مصالحة. مع ذلك، تبعث جهودها لحماية الذاكرة الشعبية عن الحصار رسالةً واضحة بأنّه سيتمّ تذكّر السنوات الثلاث ونصف السنة الماضية على أنّها فترة ظلم ومقاومة وصمود، وليس مجرّد فترة من التوتّرات السياسية.

قطر خرجت من الأزمة أقوى

ويرى معهد بروكنغز الدوحة، أن الحصار اتّسم بتأثير معاكس، عبر جعْل قطر أكثر استقلالية من قبل عن دول مجلس التعاون الخليجي. فقد عزّزت الدوحة روابطها الاقتصادية والسياسية مع تركيا، وهي منافس إقليمي للمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتّحدة. وبحكم الضرورة، وطّدت قطر أيضاً روابطها التجارية مع إيران، إذ أصبح المجال الجوّي الإيراني ممرّاً حيوياً لقطر للوصول إلى باقي أقطار العالم. وأصبحت قطر أيضاً منفصلة اقتصادياً عن المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين. فقد كانت الغاية من الحصار فرض ضغط اقتصادي على الدوحة. فقبل الحصار، كانت الدولة الخليجية، تستورد الكثير من البضائع والخدمات التي تستهلكها من خلال الدول المجاورة لها. وبعد الحصار، اضطرّت إلى العثور بسرعة على مسارات إمداد بديلة وزيادة الإنتاج المحلّي للبضائع والخدمات الأساسية وتوسيع ميناء حمد الذي بدأ العملَ في أوائل العام 2017.

ويشدد الباحث والخبير نادر القباني على نحو مماثل، أن دول مجلس التعاون الخليجي تواجه كلّها ضغوطاً اقتصادية جرّاء تضاؤل احتياطات النفط والغاز، وعائداتها. وتختلف في ما بينها من ناحية الجدول الزمني لهذا التضاؤل، لكن ينبغي عليها كلّها أن تتعامل مع هذا التحدّي. وقبل بضعة أشهر من جائحة فيروس كورونا المستجدّ، نشر صندوق النقد الدولي تقريراً توقّع فيه أنّ معظم دول مجلس التعاون الخليجي يمكنها استنزاف ثروتها المالية في غضون 25 سنة. ولا شكّ في أنّ الجائحة وانخفاض أسعار النفط الذي نتج عنها قد قصّر هذا الجدول. وبرهنت الجائحة بحدّ ذاتها على أهمّية التكامل الإقليمي حول السياسات والاستجابات بشأن الصحّة العامة. ويكمن المستقبل لدول مجلس التعاون الخليجي بتنويع اقتصاداتها وتحريرها. ويمكن أن يعود التكامل الاقتصادي الإقليمي بفائدة كبيرة إن استطاعت الدول التخصّص بقطاعات وسلع وخدمات مختلفة تسمح لها بتحقيق المكاسب من التجارة فيما بينها. لتحقيق ذلك، ينبغي عليها أن تتطوّر وتتخصّص. بالتالي، يتطلّب التكامل الإقليمي الناجح أن تحظى الدول الفردية بأسس اقتصادية أقوى.

انقسامات خفية

ووفق تقرير من مجلة «فورين بوليسي» فإن إنهاء «الحصار» القطري تطور إيجابي، لكنه غير كاف، إذ أن أزمة الخليج لم تنته بعد. وترى المجلة أن المصالحة نجمت عن الإرهاق ورغبة ولي العهد السعودي محمد بن سلمان في تغيير صورته الملطخة مع الإدارة الأمريكية الجديدة. وتشير المجلة إلى أن المصالحة تمت دون أي تنازلات من قطر بسبب دعمها للحركات الإسلامية أو أي ندم من قبل السعودية والإمارات على عواقب «الحصار». ويقول التقرير إن التركيز على رمزية المصالحة جيد لتماسك مجلس التعاون الخليجي على المدى الطويل، لكن انعدام الثقة بين قطر، والدول الأخرى، والتنافس المستمر بين الدوحة وأبو ظبي والاختلاف الحاد حول إيران وتركيا، والتنافس الجيوستراتيجي في أفريقيا، قد يعيد تسخين الأزمة في المستقبل القريب. وتوقع تقرير المجلة أن تشدد هذه الاختلافات الاحتكاك داخل مجلس التعاون الخليجي خلال فترة إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن.

ويشير التقرير إلى أنه رغم تذبذب العلاقات بين هذه الدول منذ منتصف التسعينيات، إلا أن أزمة 2017 كانت حادة، وكان تأثير «الحصار» ملموساً على مستوى النخبة والشعب وخلف شرخا مجتمعيا دائما.

ويرى التقرير أن التنافس المستمر بين الإمارات وقطر قد يعرقل أي تطبيع للعلاقات في الخليج. وفي الوقت الذي تدين الإمارات حركات الإسلام السياسي، تدعم قطر هذه الحركات مثل جماعة الإخوان المسلمين.

ويخلص التقرير إلى أنه حتى لو حاولت هذه الدول تجاوز شروخها الإيديولوجية، فإن الأولويات الجيوستراتيجية المتضاربة قد تعرقل الوصول إلى مصالحة حقيقية.

وأشارت «الفورين بوليسي» في تقرير بحثي عن التطورات السياسية في المنطقة، إلى أن مجلس التعاون الخليجي لا يزال منقسماً بخصوص إيران وتركيا، وهو ما سيعيق التعاون في القضايا الأمنية.

البحرين وتخريب مسار المصالحة

انتقد مسؤولون ومتابعون للشأن الخليجي البحرين، وكشفوا محاولات السلطات في المنامة، تخريب المسار، وإثارة خلافات تم طي مسارها.

ويستشهد المراقبون بالتصريحات التي يدليها عدد من المسؤولين، وعلى رأسهم وزير الخارجية، وبعض المستشارين في ديوان الملك، وولي عهد البحرين.

ومؤخراً ادعى الدكتور عبداللطيف بن راشد الزياني وزير الخارجية أن السلطات القطرية لم تُبدِ بعد صدور بيان العلا أية بادرة تجاه حلحلة الملفات العالقة مع مملكة البحرين، أو استجابة للتفاوض المباشر حول تلك الملفات. رئيس الدبلوماسية البحرينية، كشف نوايا بلاده من دون مواراة، وصرح أنه يبقى على الدوحة التعامل مع متطلبات التوافق الخليجي، ومراعاة مصالح البحرين الاستراتيجية، والإسراع في معالجة القضايا العالقة بين البلدين بما يضمن علاقات سليمة وإيجابية بين البلدين في المستقبل.

ورد الدكتور خالد الخاطر الباحث في السياسة النقدية وعلم الاقتصاد السياسي، على المسؤولين البحرينيين، ونفى مزاعمهم.

وقال في تصريح أنه عملياً لا يوجد قضايا عالقة، على حد ادعاء سلطات المنامة. وشدد أن البحرين كسبت حوار (جزيرة كانت قديماً تتبع قطر) وهي قطرية وما كان يفترض ذلك.

ويتوقع الخبراء أن تتضح معالم العلاقة بين دول مجلس التعاون الخليجي، على ضوء التطورات الإقليمية، والتفاعلات البينية بين العواصم الست، ومحيطها.

وستتحدد ملامح المرحلة المقبلة وفق تحركات واشنطن مع عودة الديمقراطيين لسة الحكم في البيت الأبيض، وترقب الخيارات التي تتخذها إدارة جو بايدن.

الأردن «الجدلي» بين «الإقصاء والإصغاء»: من يتحدث لمن بين النخب الحائرة؟

يتحدث تيار المعارضة التقليدي الكلاسيكي بوضوح ومنذ سنوات عن الإقصاء والتهميش وإقفال كبار المسؤولين الأبواب والنوافذ أمام واحدة من أهم وأفضل القيم الأردنية المتوارثة وهي «الإصغاء».

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

«هل نذبح أولادنا سيدي؟» تلك عبارة قالها أحد رجال الدولة الأردنية معلقا على الجدل الضخم الذي اثير في الشارع والبرلمان حول تعيين نجل رئيس وزراء سابق براتب اعتبره المعترضون كبيرا.

«من هتفوا عام 2011 على دوار الداخلية لإسقاط النظام أصبح بعضهم اليوم مسؤولين ووزراء ويرسمون المساحات لا بل يحددون من ينجح أو يسقط في الانتخابات».

تلك أيضا عبارة سياسية حارة وحادة قيلت من أحد الرموز المقربين من دوائر القرار وفي اجتماع سيادي مغلق. وهي على الأرجح عبارة تعكس مفارقة يقر الجميع من سكان الطبقات العليا في النخبة الأردنية بانها لم تعد مفهومة، فموجة الربيع العربي أعادت تقسيم الخريطة النخبوية، وأعادت إنتاج الأدوار وتيار الموالاة الصلب المتهم من الحراك الشعبي بكل علبة الاتهامات، يشتكي ويترنح تحت وطأة السؤال عن استراتيجية الوجوه الجديدة، لا بل أحيانا عن أطقم الإدارة والسكرتاريا التي توضع بين أحضانها المواقع والوظائف العليا فيما يغيب المفكرون والمثقفون وفي الكثير من الأحيان يغيب السياسيون من المحسوبين على طبقة رجال الدولة.

في كل حال الجميع يتذمر في الحالة السياسية الأردنية.

وخلف الستارة والكواليس قيلت عبارة ثالثة مهمة حاولت التذكير بأن أرفع وأكبر رموز الدولة الأردنية وفي عام 2011 وعندما كانت تسقط الأنظمة المجاورة، كانت تتجول مشيا على الأقدام وسط الأردنيين المخلصين في مخيم البقعة للاجئين الفلسطينيين وفي رواية أخرى في مخيم الوحدات.

يسمع مثل هذا الكلام ضمن الأطر المرجعية لصالح بعض الذين تم اختبارهم طوال سنوات من رموز الموالاة.

لكن المفارقة ان من يشتكي اليوم على الدوام هم رموز الموالاة الكبار وأيضا كبار المعارضين مما يقود إلى السؤال الأصعب: إذا كانت المعارضة مع الموالاة برسم الشكوى والتذمر والتضجر وشعور بالإقصاء فمن الذي يدير الأمور نخبويا أصلا؟ من هم هؤلاء الذين يتولون مواقع الصف الأول في الإدارة العليا؟ طبعا بالمقابل يجد سياسي رفيع المستوى ومخضرم مثل طاهر المصري نفسه حائرا وهو يسأل وبصورة لم تعد هامسة: عندما يكون لنا رأي أو وجهة نظر في خدمة الوطن والدولة، مع من نتحدث اليوم؟

قالها وسمعتها «القدس العربي» في الحالتين قبل المصري وزير البلاط الأسبق الدكتور مروان المعشر وفي منزل الوزير الأسبق المسيس والمثقف الدكتور طالب الرفاعي وأمام حشد من الشخصيات الوطنية المتنوع: لا يوجد من يسمعنا أو نستطيع التحدث معه.

الأغرب أن تيار المعارضة التقليدي الكلاسيكي القديم الموثوق ممثلا بقادة ورموز الإخوان المسلمين يتحدث بوضوح ومنذ سنوات عن الإقصاء والتهميش وإقفال كبار المسؤولين الأبواب والنوافذ أمام واحدة من أهم وأخطر وأفضل القيم الأردنية المتوارثة وهي «الإصغاء».

الإصغاء واجب وطني ونمط أردني نبيل في رأي شخصية وطنية إسلامية معتدلة جدا وحريصة مثل الشيخ عبد الرحيم العكور، لكن عندما يزيد الإقصاء ينمو إلى جانبه وبحرص وكفاءة تجنب الإصغاء.

من يتحدث لمن؟ أحد أكثر الأسئلة الأردنية النخبوية حساسية والحاحا وبلا جواب، فالمفارقة وعلى رأي الدكتور المعشر ان الحكومات عندما يتوفر لها خيارين أو سيناريوهين للتصرف ازاء إشكال واحد بدأت تذهب تلقائيا وعشوائيا إلى «السيناريو الأسوأ» مع ان السيناريو الآخر الأقل سوءا متاح أيضا.

شرح المعشر في باب التوضيح وفي جلسة مغلقة بحضور «القدس العربي»: في أزمة كورونا مثلا ثمة خياران متاحان لكن ذهبنا إلى الأسوأ منهما وهو السيناريو الأمني البوليسي عبر أوامر الدفاع والإغلاق بهدف التحكم. ولم يحصل لا تحكم فيروسي ولا فائدة أو إنتاجية في تحقيق الهدف بعد الاحتياج.

مجددا من يتحدث لمن؟ ومجددا يشخص رئيس المجلس الاقتصادي الاجتماعي الخبير الدكتور محمد الحلايقة المشهد على أساس ضرورة ملحة للعودة إلى بناء «محتوى سياسي وطني» يمكن ان يقود الفرقاء جميعا إلى الحد الأدنى من التوافق في إطار مشروع أفقي مسؤول لتخفيف الخسائر وتحقيق بعض المكاسب على الأقل.

سيناريو مختصر وفعال اقترحه الحلايقة علنا عدة مرات. لكن مشكلته تكمن في ان ماكينة القرار في الدولتين العميقة وشقيقتها التي على السطح تعلم مسبقا بأن مثل هذا السيناريو يتطلب الإقرار بأن المحتوى السياسي الوطني في المجتمع والنقابات المهنية والأحزاب السياسية تم تفريغه منهجيا بدون اتجاه.

والأهم بدون إنتاج مشروع بديل مما راكم في الارتجال والعشوائية وفي أزمة المصداقية بين الدولة والناس.

رغم ذلك يحذر القيادي البارز في الحركة الإسلامية الشيخ زكي بني ارشيد من ترك الخندق الوطني، فالوطن أغلى والدولة لجميع أولادها وعلينا جميعا الجلوس على الطاولة للتحدث بنوايا حسنة وبدون أحكام مسبقة، الأمر الذي يمكن اعتباره رومانسيا في المطلب السياسي لكنه محطة ملحة وضرورية عند الرغبة في التعاطي مع الواقع الموضوعي.

الأهم وفي الخلاصة ان هذا النمط من التعليقات ضمن حوارات شهدتها «القدس العربي» بالجملة الأسبوع الماضي على الأقل أصبح أكثر رواجا والأسئلة نفسها تتكرر بدون إجابة فيما يعكس هذا التنميط تمدد الأزمة وعنوانها اليوم ان المعارضة غاضبة والموالاة تتذمر. وبالتالي الكرة طائشة والملعب مفتوح وأوامر الدفاع التي كان الهدف منها التصدي لكورونا أصبحت عبئا على الدولة والوطن والشعب أيضا، طبعا تلك قصة أخرى.

الانشقاقات في الأحزاب التركية الكبرى تتواصل وتتسع

من شأن تفكك حزب الشعوب الديمقراطي الكردي وارتباك دعمه لتكتل المعارضة أن يؤدي إلى تسهيل مهمة اردوغان في حسم أي انتخابات مقبلة.

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

تتواصل وتتسع الانشقاقات بالأحزاب التركية الكبرى في مشهد ينذر بإعادة رسم الخريطة السياسية في البلاد مع وصول الانشقاقات لكبرى الأحزاب وتشكل العديد من الأحزاب الجديدة التي ستجبر تكتلي الموالاة والمعارضة على إعادة رسم تحالفاتها السياسية وربما ظهور تكتل سياسي ثالث قبيل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقررة عام 2023 والتي يمكن أن تجبر التحولات السياسية المتسارعة كافة الأطراف على القبول بتبكير موعدها في ظل شكوك متزايدة حول إمكانية الانتظار حتى عام 2023.

وفي أحدث وأبرز هذه الانشقاقات، أعلن 3 نواب في البرلمان التركي، الجمعة، استقالتهم من حزب الشعب الجمهوري أكبر أحزاب المعارضة بالبلاد، لينخفض بذلك عدد نواب الحزب في البرلمان من 138 إلى 135 نائب.

وفي مؤتمر صحافي عقده النواب محمد علي تشيبي، وحسين عوني أقصوي، وأوزجان أوزال، في البرلمان بالعاصمة أنقرة، اتهموا قيادة الحزب بإقصاء عدد من النواب والأعضاء من الحزب. وكان أبرز ما تطرق له النواب في المؤتمر، الحديث عن اقصاء قيادات في الحزب وعلى رأسها محرم إنجي (المرشح السابق للحزب للانتخابات الرئاسية) وابتعاد قيادة الحزب عن مبادئ أتاتورك (مصطفى كمال مؤسس الحزب والجمهورية التركية) بالإضافة إلى الإشارة إلى ضرورة «وضع مسافة واضحة» بين حزب الشعب الجمهوري، وقيادات حزب الشعوب الديمقراطي (على خلفية اتهام الحزب بالارتباط مع منظمة بي كا كا الإرهابية).

ويتوقع أن تكون هذه الاستقالات مجرد بداية داخل أروقة حزب الشعب الجمهوري، حيث يُنتظر استقالة عدد أكبر من النواب والقيادات خلال الأسابيع المقبلة تمهيداً للانضمام إلى الحزب الجديد الذي ينوي محرم إنجي تشكيله وذلك عقب تعاظم الخلافات بينه وبين قيادة الحزب واتهامه لزعيمه كمال كليتشدار أوغلو بأنه «زعيم ديكتاتوري داخل الحزب ويتبع سياسات فاشلة».

ويعتبر إنجي من أبرز قيادات الحزب وخاض الانتخابات الرئاسية مقابل الرئيس رجب طيب اردوغان ورغم خسارته، إلا أنه تمكن من الحصول على 30 في المئة من أصوات الناخبين وهي أعلى نسبة يحصل عليها الحزب منذ عقود ما دفعه للسعي لتشكيل حزب سياسي جديد عقب توجيه اتهامات حادة لقيادة حزب الشعب الجمهوري.

ومن شأن هذا الانشقاق أن يضعف أكبر أحزاب المعارضة الذي ارتفعت لديه الآمال مؤخراً بالقدرة على الإطاحة بحزب العدالة والتنمية في الانتخابات المقبلة، وهو ما دفع الناطق باسم حزب الشعب الجمهوري أوزغور أوزال لاتهام اردوغان بمحاولة تفكيك الحزب ودعم المنشقين. وفي وقت سابق اتهمت قيادات بالحزب محرم إنجي بالحصول على دعم من أردوغان لتشكيل حزب جديد، وهي اتهامات ينفيها إنجي والعدالة والتنمية على حد سواء.

وتتمحور الخلافات داخل حزب الشعب الجمهوري حول الهوية الفكرية للحزب وتحالفاته السياسية، لاسيما فيما يتعلق بالهوية العلمانية والتحالف مع حزب الجيد –قومي محافظ– والسعادة –إسلامي–، وخلافات أخرى حول التحالف مع حزب الشعوب الديمقراطي المتهم بتقديم دعم لتنظيم بي كا كا الإرهابي، كما تبرز الخلافات في السنوات الأخيرة حول مرشح الحزب للانتخابات الرئاسية بين مؤيد لمرشح خالص من الحزب، ومؤيد لمرشح توافقي قادر على هزيمة أردوغان حتى ولو من خارج الحزب.

هذا الحراك الكبير داخل أطر حزب الشعب الجمهوري، سبقه حراك أكبر داخل حزب العدالة والتنمية الحاكم الذي انشق عنه عدد ليس قليلا من القيادات التاريخية الكبيرة، حيث انشق رئيس الوزراء السابق احمد داود أوغلو مشكلاً «حزب المستقبل» قبل أن ينشق وزير الاقتصاد السابق علي باباجان مشكلاً «حزب التقدم والديمقراطية» وسط ابتعاد للرئيس السابق عبد الله غول وعدد من القيادات عن حزب، وتكهنات بإمكانيات انضمام الأحزاب الجديدة المنشقة من رحم العدالة والتنمية إلى تحالف المعارضة الانتخابي أو تشكيل تحالف انتخابي ثالث.

وسبق ذلك أيضاً، الانشقاق الذي عصف بحزب الحركة القومية حليف أردوغان في السلطة، حيث انشقت نهاية عام 2017 القيادية البارزة ميرال أقشنار مشكلة «حزب الجيد» الذي نجح في دخول البرلمان والتحالف مع المعارضة التركية، وحديثا توجد تكهنات حول إمكانية حصول حراك داخل حزب الجيد الذي قد يشهد هو الآخر انشقاقاً جديداً.

ورغم أهمية كافة الانشقاقات السابقة، إلا أن الحراك المتصاعد داخل اروقة حزب الشعوب الديمقراطي –الكردي– يعتبر الأبرز في هذه الفترة، حيث تدور تكهنات حول إمكانية حصول انشقاق كبير داخل أروقة الحزب بسبب الاتهامات له بالتعاون مع «بي كا كا» وهو الانشقاق الذي قد يمهد الطريق أمام الحكومة لإغلاق شق الحزب الأصلي، حيث أن أي انشقاق داخل البيت الكردي – الشعوب الديمقراطي– سيعزز رواية الحكومة بأن أجنحة في الحزب تقدم الدعم فعلياً لتنظيم بي كا كا.

ومن شأن أي انشقاق أو إغلاق لشق من الحزب أن يؤدي لأكبر تغيير في التركيبة السياسية في البلاد، حيث كانت أصوات الأكراد في الانتخابات المختلفة في السنوات الأخيرة هي المتغير الأهم والحاسم، ومن شأن تفكك حزب الشعوب الديمقراطي الكردي وارتباك دعمه لتكتل المعارضة أن يؤدي إلى تسهيل مهمة اردوغان في حسم أي انتخابات مقبلة.

وبشكل عام، فإن هذه الانشقاقات وما نتج وسينتج عنها من أحزاب جديدة سيفرض بلا شك على التكتلات الكبرى إعادة حساباتها وتكتلاتها الانتخابية كما يتوقع بقوة أن تفرز تكتلا انتخابيا ثالثا بعيداً عن تكتلي الموالاة الذي يضم العدالة والتنمية والحركة القومية، وتكتل المعارضة المدعوم من الشعب الجمهوري و«الجيد» والشعوب الديمقراطي، ليعاد رسم الخريطة الحزبية والسياسية في البلاد من جديد، وهو أمر يجعل من تكهن نتيجة الانتخابات المقبلة أمراً معقداً لحين اكتمال المشهد السياسي الجديد في البلاد.

السياسة الخارجية لإدارة بايدن في الشرق الأوسط والعالم لن تختلف كثيراً عن نهج ترامب

سوريا ستكون أحد أكثر تحديات السياسة الخارجية لبايدن، وقد يحاول إبقاء الخيار العسكري مفتوحاً لتعزيز أجندة حقوق الإنسان والنفوذ الأمريكي في المنطقة وإعادة بناء الثقة مع الحلفاء.

قوات أمريكية في سوريا

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

فاجأ وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، الجمهوريين في مجلس الشيوخ خلال جلسة تعيينه، الأسبوع الماضي، بالموافقة على الكثير من بنود السياسة الخارجية للرئيس السابق دونالد ترامب، لا سيما الصين والشرق الأوسط، على الرغم من اختلافه بشكل جوهري عن أسلوب وتكتيكات ونبرة ترامب.

وردد بلينكن إشارات قريبة من إدارة ترامب بشأن الأمن القومي والدفاع الوطني واستراتيجية المحيطين الهادئ والهندي، إضافة إلى التأكيد على قرارات ترامب الداعمة لكيان الاحتلال الإسرائيلي، بما في ذلك نقل السفارة، مع تعهد بتعزيز مسار التطبيع بين الدول العربية وإسرائيل.

وأشار محللون أمريكيون إلى أن إدارة بايدن قد تعود إلى الشرق الأوسط على الأرجح بسياسة خارجية تدخلية، إلا أن أنها لن تبتعد كثيرا عن سياسات إدارة ترامب، وفي الواقع، فإن خيارات بايدن محدودة في المنطقة، حيث تضاءل وجود القوات الأمريكية في المنطقة، كما أن هناك توجهات في واشنطن لكي يلعب كيان الاحتلال الإسرائيلي دور الشرطي في المنطقة.

وتوقع المحللون الأمريكيون بأن مجموعات الضغط داخل وخارج الإدارة ستكبح طموحات بايدن في منح الأولوية للقضية الفلسطينية في المنطقة، ولكنهم أشاروا في نفس الوقت إلا أن إرث ترامب في الشرق الأوسط، هو أمر مشكوك فيه، وأنه من الأفضل أن يبتعد بايدن تماماً عن سياسات سلفه. واتفق الخبراء أن الولايات المتحدة لم تفعل في السنوات الأخيرة أي شيء لتعزيز الأمن القومي أو موقف أمريكا في المنطقة، وبالنسبة لسوريا فلم تكن قرارات ترامب نزيهة، وقال المحللون إن سوريا ستكون بلا شك أحد أكثر تحديات السياسة الخارجية لبايدن، على الرغم من أنّ الولايات المتحدة لا تملك سوى خيارات محدودة هناك، ولكن من المرجح أن يحاول بايدن إبقاء الخيار العسكري مفتوحاً لتعزيز أجندة حقوق الإنسان والنفوذ الأمريكي في المنطقة وإعادة بناء الثقة مع الحلفاء.

ورسم وزير الدفاع لويد اوستن، ومدير المخابرات الوطنية، افريل هاينز، في جلسات الاستماع، لقطات سياسية تشير إلى استمرارية كبيرة بين إدارتي ترامب وبايدن في مسائل الأمن القومي، وكلاهما وعد بتكريس المزيد من الاهتمام بالصين، باعتبارها «خصماً متنامياً».

وعلى سبيل المثال، أكد أوستن أن «الصين هي التهديد الخطير للولايات المتحدة، ويجب أن تكون منطقة المحيطين الهندي والهادئ هي محور تركيز الوزارة»، في حين قال هينز إن الصين «تمثل تحدياً لأمن الولايات المتحدة وازدهارها» مؤكداً على تأييده لموقف عدواني أكثر حزماً من إدارة أوباما وترامب.

وبالطبع، هناك مجالات صارخة في الخلاف بين إدارات بايدن وترامب، مثل مشاركة الولايات المتحدة في اتفاقية باريس، التي أعادها بايدن في غضون ساعات من أداء اليمين الدستورية، ونيته في العودة إلى خطة العمل المشتركة بشأن برنامج إيران النووي.

وكرر وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، موقف بايدن بأن عودة واشنطن إلى الاتفاق النووي ستحتاج إلى تصحيح «بعض العيوب» الملحوظة في الاتفاقية الأصلية، وجعلها «أطول وأقوى» من خلال تقييد برنامج إيران الصاروخي ودعمها للميليشيات بالوكالة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، مما سيساعد على تمريرها في الكونغرس بعد تبديد الكثير من المعارضة من الجمهوريين.

وبدا نهج بلينكن أقرب إلى التوجيه الحازم لفريق سياسة إدارة بايدن تجاه الصين أكثر من سياسة «عش وأسمح لغيرك بالعيش» التي دعا إليها مستشار الأمن القومي جيك سوليفان ومنسق السياسة الصينية كورت كامبل.

واتفق بلينكن مع وزير الخارجية السابق، مايك بومبيو في وصف قمع الحكومة الصينية لأقلية الأيغور المسلمة بأنها «إبادة جماعية» بما يتفق أيضاً مع الكلمات القاسية التي استخدمها بايدن ضد الصين بشأن الأقلية المسلمة هناك.

وأشارت إدارة بايدن إلى أن الحكومة الصينية قد استخدمت مستويات جديدة من الفظائع، التي لم يستخدمها السوفييت على ما يبدو في مشاريع الإبادة الجماعية مثل وضع الرجال في معسكرات اعتقال و«إعادة التعليم» وتمركز الجنود في منازلهم كأفراد جدد في الأسرة.

ولاحظ محللون أمريكيون أن بعض الدول العربية اعتقدت أن بإمكانها رسم الخريطة السياسية للمنطقة في غياب الإدارة الأمريكية، ولكن بعد نصف قرن من المحاولات، أدركوا جميعاً حدودهم، وعلى سبيل المثال كانت التجارب فاشلة للغاية في ليبيا واليمن، ولم يتمكنوا في أحداث أي تأثير، مما يعني العودة إلى الارتباط مع واشنطن بشكل قوي، وهذا يتناسب مع سياسة بايدن في إعادة الانخراط في المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بدول الخليج، ولكن ملامح الانخراط لن تختلف كثيراً عن إدارة ترامب، وهي في النهاية تصب في تحقيق المزيد من المكاسب لكيان الاحتلال الإسرائيلي، ومنع إيران من الحصول على سلاح نووي بأسلوب عدواني عسكري أو بأسلوب دبلوماسي.

ولن تُعرف آفاق السياسة الخارجية لبايدن على المدى الطويل، إلا إذا تسببت الصين أو كوريا الشمالية في حدوث أزمة أمن قومي خطيرة، أو عندما تجد إدارة بايدن نفسها على حافة الهاوية لأزمة عالمية مفاجئة، ولكن حتى تلك اللحظة، فإن الإشارات الأولية من إدارة بايدن تقدم صورة للعودة إلى سياسات قريبة من ترامب وأوباما وبوش، ومن المرجح أن يتم الحفاظ على النهج المختلف لفريق ترامب في السياسة الخارجية.

وكما ذكرنا سابقاً فقد أكدت إدارة بايدن أنها تدعم اتفاقيات التطبيع بين بعض الدول العربية وكيان الاحتلال ولكنها شددت في نفس الوقت على أنها ستلقي «نظرة فاحصة» على بعض الالتزامات التي تنطوي عليها، وهي تتراوح بين صفقات الأسلحة مع الإمارات إضافة إلى اعتراف الولايات المتحدة بمغربية الصحراء.

وعلى اية حال، تملك إدارة بايدن حاليا لحظات من الفرصة السانحة لإعادة التفكير في دور أمريكا في العالم والشرق الأوسط، ولكنه، في الواقع، لن يختلف كثيراً عن نهج ترامب، باستثناء التركيز على موضوع حقوق الإنسان والاتفاق الإيراني.

لتعيد رسم الخريطة السياسية في البلاد

حدث الأسبوع

نشطاء الثورة في السجون ومواقع التواصل منفذ المصريين لتذكر ثورتهم

عشر سنوات ثورة: مصر الرسمية تحتفل بعيد الشرطة والشعبية بـ «25 يناير»

القاهرة ـ «القدس العربي»:
تامر هنداوي

احتفالان مختلفان شهدتهما مصر في الذكرى العاشرة لثورة كانون الثاني/يناير 2011 التي أطاحت بالرئيس المصري الأسبق محمد حسني مبارك. ففي الوقت التي احتل شعار عيد الشرطة شاشات القنوات الفضائية في تجاهل تام لذكرى الثورة الشعبية الأهم في تاريخ المصريين الحديث، في محاولة لإثبات هزيمة الثورة التي انطلقت أولى فعالياتها ضد أداء الشرطة يوم 25 كانون الثاني/ يناير 2011 كان الأمر مختلفا على مواقع التواصل الاجتماعي.

الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، ذكر ثورة يناير على استحياء، خلال كلمته في الاحتفال الذي نظمته وزارة الداخلية بمناسبة عيد الشرطة الـ 69.

وقال: «الاحتفال بعيد الشرطة يتواكب مع ذكرى ثورة 25 يناير التي قادها شباب مخلصون متطلعون لمستقبل وواقع أفضل».

وأضاف: «أقول لشباب مصر إن وطنكم يحتاج إلى السواعد الفراتية والجهود الصادقة لاستكمال طريق الإصلاح والبناء والتنمية وتحقيق آمال المصريين في مستقبل مشرق يوفر لجميع المواطنين فرصا متساوية في الحياة الكريمة».

ورغم التجاهل الرسمي، نجح نشطاء مصريون في فرض احتفالهم بالثورة على مواقع التواصل الاجتماعي، عبر هاشتاغات «أنا شاركت في ثورة يناير، وثورة يناير المجيدة و10 سنين ثورة».

وكما كانت مواقع التواصل الاجتماعي هي وسيلة المصريين قبل عشر سنوات للدعوة لثورتهم عن طريق صفحة حملة اسم «كلنا خالد سعيد» التي تبنت الدعوة لأول مظاهرة ثورة 25 كانون الثاني/يناير 2011 مثلت تلك المواقع منذ المصريين للاحتفال بثورتهم، وأكد النشطاء أن أهداف الثورة التي تمثلت في العدل الاجتماعي والحرية ما زالت تراود المصريين.

صورة من ارشيف الذكرى الخامسة لثورة يناير

محمد البرادعي، نائب رئيس الجمهورية سابقا، علق على الذكرى مؤكدا أنه «لا يمكن وأد مسيرة الشعوب نحو الحرية».

وغرد في حسابه على «تويتر» أمس: «ثار المصريون لحريتهم وكرامتهم عندما سُدت أمامهم أبواب التغيير. واجهوا تحديات وعقبات عديدة وخُدعوا كثيراً وأخطأوا كثيراً وضحوا كثيراً ولكن في كل ذلك تعلموا وتغيروا كثيراً».

أرامل مبارك

نقيب الصحافيين السابق، يحيى قلاش، قال: «الذين قامت ثورة يناير لاقتلاعهم، لتحقيق العدل والكرامة والحرية، هم وحدهم الذين يتسيدون المشهد، وهم الذين يلهثون الآن لبيع كل شيء».

وتحت عنوان «شاركت في يناير» أضاف: «بعضهم من أرامل مبارك، وراكبون على أكاذيب وأدعياء، أحنا بتوع يناير والمجلس العسكري وإخوان، ومتسللون من 30 حزيران/يونيو 2013 ـ المظاهرات الشعبية التي أطاحت بالرئيس الإسلامي محمد مرسي، وأشباه شباب سابق التجهيز على كل لون».

أما الباحث في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية عمار علي حسن، فقال إن ثورة يناير «ليست مؤامرة لكنها ثورة شعبية عظيمة تم التآمر عليها».

وكتب في تدوينة عبر صفحته على «فيسبوك»: «حين أخرج من شقتي يسبقني الأمل وأعود في نهاية المساء وأنا قابض عليه، تقع عيني على ملصق بوجوه بعض شهداء الثورة على باب شقتي موضوع منذ شباط/فبراير 2011 فأمعن النظر فيهم وأقول لهم بكل وجداني وعقلي في ذهابي وإيابي: والله لن أخون دماءكم أبدا، حتى لو انضممت يوما إلى قافلتكم البريئة الجريئة، لم تكن يناير مؤامرة إنما ثورة شعبية عظيمة تم التآمر عليها».

لحظة انكسار

كذلك علق الناشط السياسي، شادي الغزالي حرب، قائلاً «على يقين أن لحظة الانكسار التي تشهدها ثورة يناير حاليا هي لحظة مؤقتة وعابرة وإن انتصارها الحقيقي قادم».

وأضاف: «10 سنين مرت على ثورة يناير، أهم وأجمل إنجاز حققه الشعب المصري في تاريخه الحديث، ولأول مرة شعر إنه يستطيع أن يكون فاعل، الإنجاز الذي دفع دول في المنطقة لإنفاق مليارات لإجهاضه والانقضاض عليه».

وأكمل «لدي يقين أن لحظات الانكسار لحظات مؤقتة وعابرة، وأن انتصارها الحقيقي قادم، سلام لشهداء الثورة الأبرار، سلام لمصابي الثورة الأبطال، سلام لكل المعتقلين بتهمة حب الثورة ولكل المناضلين المخلصين لأهدافها، عيش. حرية. عدالة اجتماعية. كرامة إنسانية».

تكالبوا على الثورة

كذلك قال المرشح الرئاسي السابق المعارض السياسي حمدين صباحي، عبر حسابه على فيسبوك: «الله يا شعب الله. 25 يناير أجمل تجل لأنبل شعب».

بينما علق المحامي الحقوقي المرشح الرئاسي السابق خالد علي: «ثورة 25 يناير هي أخلص محاولات بنات وشباب هذا البلد في القرن الـ21 للعيش والحرية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية».

وتابع: «تكالبوا على الثورة لإجهاضها ولقهر وتشويه كل أنصارها، فتحية إلى الثورة الخالدة وإلى أرواح شهدائها ومصابيها وأسرهم، وتحية لكل من آمن بها وكل من لم يتنازل عن الحلم بتحقيق أهدافها».

واستطرد: «الحلم بغد مختلف ما زال حاضرا ولو أتعبنا، ورغم الألم لم نفقد قدرتنا على الأمل، ربما تعبنا لبعض الوقت، ربما هزمنا كثيرا، لكن يبقى أننا لم نكسر تماما».

أما الصحافي المعارض عضو مجلس نقابة الصحافيين، عمرو بدر، فقال عبر فيسبوك: «صباح رائع على أجمل يوم عشناه في حياتنا كلها. صباح غيرنا فيه التاريخ (لا يزال) مشوار الحياة يحمل لنا وقفات».

و تحت عنوان «مصر تشتاق للعدل والمحبة» أصدر حزب «الكرامة» بيانا بمناسبة حلول الذكرى العاشرة لثورة الخامس والعشرين من كانون الثاني/ يناير 2011 التي أطاحت بالرئيس المصري الأسبق محمد حسني مبارك.

وقال الحزب في بيانه: «10 سنوات على ثورة الشعب، وما زالت أرواح شهدائها وأنات مصابيها وأشواق الحالمين بالتغيير تفرض علينا واجباً مقدسا أن تظل الأهداف النبيلة التي ناضلوا من أجلها تدوي في الآفاق وتشكل الأحلام وتصوغ السياسات (عيش ـ حرية ـ عدالة اجتماعية ـ كرامة إنسانية ـ استقلال وطني)».

وأضاف: «رغم مرور 10 سنوات، ما زالت مصر تئن من تراجع الحلول السياسية، وما زال أكرمنا وأنبلنا سجناء الرأي والمناضلين الوطنيين في السجون ومن بينهم أبناء حزبنا. ونحن إذ نجدد مطالبنا بالإفراج الفوري عنهم نذكّر بأنه لا يستقيم عدل ولا تصح مروءة بينما يُحرم هؤلاء من نور الشمس».

حاجز الصمت

واعتبر الحزب أن «أبرز المكتسبات الجديرة بتعظيمها ما حققه الشعب بصمود وجسارة عندما شق حاجز الصمت والخوف وعبّر سلمياً عن مطالبه في الميادين، فزادته التجربة وعياً وتمسكا بالحقوق والحريات، وانفتح جيل جديد من أبناء مصر على العالم وهو يحمل بين جوانحه تجربة ملهمة».

وواصل أن «قوى المجتمع ـ في الحكم قبل المعارضة ـ في أمس الحاجة اليوم لإرساء قيم المشاركة الفاعلة وتهيئة الأجواء لممارستها، حتى تتمكن من أن تتنفس هواء نقياً، وهو الطريق السالك والآمن حفاظا على تماسك النسيج الاجتماعي والجبهة الداخلية في مواجهة تحديات الأمن القومي ومخاطر الإرهاب».

ووجه الحزب التحية لـ«العمال الصامدين في مواجهة سياسات التصفية والتخريب للشركات».

إلى ذلك، أعلنت جماعة الإخوان المسلمين تمسكها بـ 5 بنود بينها «استمرارها في مواصلة الكفاح».

وأكدت في بيان «مواصلة الكفاح بين صفوف الشعب» وأن «تكون مصر وطنا للجميع وليست حكرا لفئة أو حزب أو جماعة» وأن «يصير الشعب صاحب القرار النهائي في قضاياه الوطنية واختيار من يحكمه عبر انتخابات نزيهة». وشملت البنود الخمسة أيضا: «التأكيد على أن حق الشهداء والمصابين والمتضررين (دون ذكر أعدادهم) لن يسقط» و«مطالبة المجتمع الدولي بدعم تطلعات الشعب المصري».

سجناء الرأي

قضية سجناء الرأي ونشطاء يناير المحتجزين في السجون على ذمة قضايا كانت حاضرة في المشهد.

وأطلقت منظمة «العفو» الدولية، أمس، حملة تغريد للمطالبة بالإفراج الفوري عن النشطاء والمدافعين عن حقوق الإنسان، الموقوفين تعسفيا في مصر.

وجاءت الحملة بمناسبة مرور 10 سنوات على ثورة 25 كانون الثاني/يناير في مصر، التي أطاحت بالرئيس الأسبق حسني مبارك.

وقالت المنظمة عبر حسابها على تويتر: «عشر سنوات على ثورة 25 يناير في مصر، ولا يزال العديد من الناشطين والمدافعين عن حقوق الإنسان قيد الاحتجاز التعسفي».

وتابعت: «سنشارك أسماء هؤلاء الناشطين طوال أيام الأسبوع، وندعوكم للمبادرة بالتحرك والمطالبة بالإفراج عنهم فورا». ودعت جميع المهتمين بالعالم، إلى إعادة التغريد بشأن الموقوفين للوصول إلى الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، قائلة: «دعوا الرئيس السيسي يعلم أنكم متضامنون معهم».

الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، طالب بأن تكون الذكرى العاشرة للثورة، بداية جديدة تبدأ بالإفراج عن الشباب والسياسيين والعودة إلى أهداف الثورة وتطلعاتها.

وقال الحزب في بيانه: كانت ثورة يناير – وما زالت– مصدر إلهام لكل دعاة التغيير والتقدم، حيث أثبتت للكافة أن التغيير ليس مستحيلاً، وقد توارث شباب مصر بالفعل هذا الأمل والحماس للتغيير وجعل الوطن أفضل.

وتابع: يرى بعض المراقبين أن الثورة لم تحقق أهدافها حيث لا يزال السواد الأعظم من شعبنا يفتقد الحد الأدنى من الحياة الكريمة في ظل غياب فاضح للعدل الاجتماعي وافتقاد واضح للحد الأدنى من الحريات والحقوق التي أقرها الدستور والمواثيق الدولية التي وقعت عليها مصر.

وزاد: هذه الرؤية لا تلم بكل نتائج الثورة ولا ترصد ما حققته على الأرض لشعبنا، فالثورات لا تنجح أبداً في تحقيق الجنة على الأرض، لكنها تحقق للشعوب خطوات مهمة في اتجاه تحقيق تطلعاتها، وقد نجح شعبنا بالفعل في الإطاحة بنظام مبارك وفتح ذلك الطريق أمام إسقاط حكم الإخوان في جولة ثانية، ولا يمكن إغفال حجم هذه الإنجازات، وبالاضافة إلى ما تقدم، أدت الثورة وما بها من زخم إلى انضمام مئات الألوف من الشباب إلى المجال السياسي بصفة خاصة والمجال العام بصفة عامة، وبفضل هذا الزخم الذي يستمر في التوهج وإلهام الآلاف من الشباب لا يزال العديد منهم ينضم إلى العمل السياسي كلما لاحت فرصة رغم ضيق الهامش السياسي المتاح إلى حد لم تعرفه مصر منذ بضعة عقود.

في الموازاة، دعا الأكاديمي المصري البارز حسن نافعة، الجمعة، النظام الحاكم إلى «طي صفحة» المعتقلين السياسيين في البلاد. وقال نافعة في تغريدة عبر حسابه على موقع «تويتر»: «آن الأوان لكي يتعامل النظام بعقلية مختلفة مع المعتقلين السياسيين. فما زال هناك آلاف المعتقلين بتهم ملفقة وقضوا في السجن سنوات بلا محاكمة ودون سند من القانون».

وأضاف متسائلا: «مصر بحاجة إلى فتح صفحة جديدة. فمتى نطوي الصفحة القديمة؟».

وحسن نافعة (73 عاما) هو الرئيس السابق لقسم العلوم السياسية في جامعة القاهرة (أكبر جامعة حكومية) أوقفته السلطات المصرية في أيلول/ سبتمبر 2019 بتهمة «مشاركة جماعة إرهابية في تحقيق أغراضها ونشر أخبار وبيانات كاذبة» قبل أن تطلق سراحه في آذار/مارس 2020.

أين كان بايدن من ذاكرة «الربيع العربي»؟

صبحي حديدي

في مطلع سنة 2011، قبل أن تطلق هيلاري كلنتون، وزيرة الخارجية الأمريكية يومذاك، تحذيرها الشهير من أنّ الحكّام العرب يخاطرون بـ«الغرق في الرمال» إذا لم يستجيبوا لمطالب شعوبهم؛ كانت إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما في حال من المفاجأة إزاء احتمالات ما سيُسمى بـ«الربيع العربي» شبيهة، إلى حدّ غير قليل، بحالها قبيل سقوط شاه إيران وانطلاق الثورة الإسلامية. صحيح أنّ زين العابدين وحسني مبارك ومعمر القذافي، ثمّ لاحقاً علي عبد الله صالح وبشار الأسد، وبدرجة أقلّ آل خليفة في البحرين؛ لم يكونوا في مصافّ مماثلة للشاه، فضلاً عن كونهم هم أنفسهم في درجات مختلفة لجهة المصالح الأمريكية؛ إلا أنّ حسابات مجلس الأمن القومي في إدارة أوباما، ومعها المخابرات المركزية وتقديرات خبراء الشرق الأوسط في الخارجية، لم تكن على قدر المطلوب منها في استباق الوقائع العاصفة.

ذلك بعض السبب، وليس كلّه أو أغلبه كما يتوجب القول، في أنّ طرازاً من التأتأة اللفظية طبع الفارق بين أقوال أوباما نفسه وأقوال وزيرة الخارجية كلنتون، ووزير الدفاع روبرت غيتس، ورئيس أركان القوات المسلحة الأدميرال مايكل مولن، ومساعد وزيرة الخارجية جيفري فلتمان، ومساعدها للشؤون السياسية بيل برنز... وبمعزل عن خصوصية التدخل الأمريكي/ الأطلسي في ليبيا، كان قفاز التحدّي الذي ألقاه مبارك في وجه متظاهري التحرير، والذي وُجّه أيضاً إلى البيت الأبيض، هو الذي أتاح سماع تلميحات أوباما حول انتقال منتظم في مصر يتوجب أن يكون «ذا معنى، سلمياً، ويبدأ الآن». كذلك انتظر فريق البيت الأبيض حتى شهر أيار (مايو) من العام ذاته كي يسمع من أوباما، خلال خطبة ألقاها في وزارة الخارجية، تأكيداً صريحاً على أنّ الولايات المتحدة تقف إلى جانب الشعب التونسي. وأمّا الشعوب صاحبة العلاقة، فلسوف تنتظر فترة أطول، خاصة في سوريا (ولكن ليس البتة في البحرين!)، كي ينطق الرئيس الأمريكي بالدرّة المكنونة، حول فقدان أمثال بشار الأسد شرعية الحكم.

استرجاع تلك السياقات يستهدف طرح أسئلة لعلها تكتسب راهنية ذات مغزى: أين كان جو بايدن، نائب الرئيس الأمريكي، من كلّ ملابسات الربيع العربي تلك؟ وهل يصحّ الافتراض بأنه كان على تباين من نوع ما، في كثير أو قليل، مع سيد البيت الأبيض؟ وفي ضوء ما يتردد عن عزمه عقد «مؤتمر ديمقراطي» شامل، يخصّ كما للمرء أن ينتظر شعوب الشرق الأوسط أكثر من أمريكا ذاتها، هل ثمة حظوظ في تغييرات هنا وهناك؟ وإذا صحّ أن الموقف من إيران، بمعنى مراعاة طهران أو حتى استدراجها على خلفية برنامجها النووي، كان واحداً من أحجار الزاوية في سياسات أوباما؛ فهل منهجية بايدن المقبلة تجاه الملفّ ذاته ستبدّل شيئاً، طفيفاً أو جوهرياً؟

ثمة بعض المعنى، ولكن ليس كلّه هنا أيضاً، في تعليق جزء من محاولات الإجابة على دلالات استعادة بعض كوادر أوباما، أو حتى الرئيس الديمقراطي الأسبق بيل كلنتون؛ أمثال أنتوني بلينكين في وزارة الخارجية، أو روبيرت مالي كمبعوث إلى إيران، أو وليام برنز في إدارة المخابرات المركزية، أو سوزان رايس في قيادة السياسة الداخلية... غير أنّ الأصل الأهمّ، حتى يتضح العكس بالطبع، أنّ تطابقاً شديداً كان يحكم علاقة أوباما بنائبه بايدن في مبدأ أوّل يحكم تسخير السياسة الخارجية لخدمة مصالح الولايات المتحدة: أنّ أوزان تلك المصالح أثقل بكثير مما يزن هذا المبدأ الأخلاقي أو ذاك، إلى جانب المنطق البسيط الذي يفترض صياغة المواقف تبعاً لمعطيات كلّ دولة على حدة.

وكما أنه لم يكن من عزاء للذين راهنوا على أوباما من بعض معارضات «الربيع العربي»، فالأرجح أنّ فقدان العزاء سوف يكون مصيرهم ذاته مع بايدن؛ إنْ لم يكن أسوأ، وأشدّ خيبة!

في ذكراها العاشرة: غابت الثورة وحضرت كورونا

القاهرة ـ «القدس العربي»: حسام عبد البصير

كبرت ثورة يناير وبلغت من عمرها عقداً، وبينما تضيق على الأغلبية الفقيرة والنخبة ومن ثم السلطة، ما زال من شارك فيها وحمل الراية طلباً لإزاحة الديكتاتور الذي حكم البلاد طيلة عقود ثلاثة متوقفاً عند الحد الأدنى من الأماني. وها هو الآن نفس الجيل يطالب بذات المطالب التي من أجلها قامت الثورة وشعارها التاريخي الذي أخفقت حكومات في تحقيقه «عيش ..حرية ..كرامة اجتماعية» ومالبثت ان عادت الملايين للمربع صفر حيث باتت الكلمة أشد خطراً من الرصاصة ومجرد الاشتباه بالحنين للثورة يدفع صاحبه الكلفة مرتفعة. في العشرية الأولى للثورة وبينما الأغلبية باتت تقاتل في خندق الباحثين عن رغيف وفرصة للعلاج دخل الفيروس القاتل كورونا، طرفاً في المعركة موجها سهامه ضد الطرفين معاً السلطة والشعب، كأن استدعاء المطالب التاريخية والعادلة للثورة يعد نزقاً لا يمكن بأي حال مجرد التفكير فيه.

تصريح الرئيس عبد الفتاح السيسي غداة الذكرى العاشرة للثورة هو تثمين في نظر ثوار يناير حينما قال «يناير ثورة قادها الشباب المخلصين، وهم يتطلعون لمستقبل وواقع أفضل، وأقول لشباب مصر أن وطنكم يحتاج لسواعدكم وجهودكم لاستكمال طريق البناء والتنمية وتحقيق آمال المصريين ليوفر فرصا متساوية في الحياة الكريمة» وذلك على الرغم من أن أذرع السلطة الإعلامية ما زالت ترمي الحدث الكبير في ذكراه العاشرة بأنه مصدر الموبقات والشرور التي حلت بمصر بداية من سد النهضة والانفلات الأمني الذي تعرضت له البلاد قبيل وعقب رحيل مبارك. وبينما يقسم كثير من إعلاميي السلطة على ان الثورة باتت نسياً منسياً، يرى أنصارها أنها حية في القلوب وما زالت تثير الجدل. ويجزم كثير من المراقبين من أنصار الثورة وكذلك من الموضوعيين من المنتمين للسلطة ان القوى الوطنية المصرية بحاجة إلى حوار وطني حقيقي من أجل تجاوز حال الكساد السياسي التي أضحت تقف حائلاً دون تحقيق مطالب يناير.

الإخوان كانوا هناك

رغم انهم كانوا من بين من توجهوا لميدان التحرير غداة الثورة إلا انهم باتوا يشبهون «البطة السوداء» في أعين باقي القوى الوطنية وقد بات ميدان التحريرعلى وجه التحديد يمثل لكوادر الإخوان ظلالاً لنكبة وخيبة أمل أكثر من كونه ذكرى خالدة. فبعد مرور عقد على شمس «يناير» لم تفلح الجماعة التي يعاني أفرادها الشتات في الداخل والخارج في ان تحصل على حكم بالبراءة من التهمة التي تلاحقها من قبل خصومها «شركاء الميدان في السابق» والتي تتمثل في التآمر على الثورة ومحاولة التهام المكاسب لأنصارها. وعلى مدار الأسابيع الماضية نشطت الآلة الإعلامية للسلطة في شن هجوم ما زال قائماً ضد الجماعة وجرى استدعاء كل المزاعم القديمة بهدف شيطنة ليس فقط تيار الإسلام السياسي بل مختلف قوى المعارضة. عقد كامل لم يكن كافياً لأن تنجو الجماعة من تداعيات اتهام خصومها لها ببيع الثورة والثوار لصالح المجلس العسكري آنفاً مما أسفر عن مزيد من العزلة لها وكانت النتيجة غربة تعاني منها الجماعة التي فقدت الرهان على النخبة والسلطة في آن واحد. وفيما يشير الكثير من المراقبين إلى ان الإخوان ما زالوا يحظون بشعبية وحضور بدليل استمرار الهجوم الإعلامي على الجماعة يترقب الشارع السياسي المرحلة المقبلة وما يمكن ان تسفر عنه وهل من الممكن ان تقدم السلطة على مصالحة تاريخية مع سائر قوى المعارضة؟ والجماعة وبحسب ما يتسرب من معلومات تولي بصرها صوب البيت الأبيض فالزائر الجديد بحسب ما يراهن بعض المتعاطفين مع الإخوان وغيرهم من قوى المعارضة قد يمارس ضغوطاً على السلطة القائمة كي تخفف القيود المفروضة على العمل السياسي وكذلك الإفراج عن المحبوسين في قضايا سياسية ومعظمهم من أنصار الجماعة، وهو الحلم الذي يراود الكثير من أعضاء الجماعة ومن يتعاطف معهم والذين ذهبت صيحاتهم للإفراج عن ذويهم سدى. وعلى الرغم من التسريبات التي تطلق حول قبول الإخوان عقد صلح مع السلطة إلا ان ما يصدر عن الجماعة يؤكد عدم صحة تلك المزاعم. وقد استبقت الجماعة الذكرى العاشرة ببيان أكدت خلاله على تمسكها بـ 5 بنود وفي مقدمتها استمرارها في مواصلة الكفاح، ودعت لأن تكون مصر وطناً للجميع وليس حكرا لفئة أو حزب أو جماعة، وأن يصير الشعب صاحب القرار النهائي في قضاياه الوطنية واختيار من يحكمه عبر انتخابات نزيهة. وأكدت استمرار مواصلة الكفاح بين صفوف الشعب.

لم يتعلموا بعد

سؤال قديم يتجدد مع كل ذكرى للثورة، لماذا تعجز الجماعة بعد مرور عقد على الثورة عن استدعاء بريقها القديم وجذب الجماهير لقضيتها؟ مما لا ينكره الكثيرون ومن بينهم من يتسم بالموضوعية من رموز الإخوان ان ثلة من الأخطاء الفادحة، ارتكبتها الجماعة أدت بها في النهاية لأن تفقد شعبية مثلت لها فيما مضى حاضنة كانت بمثابة الوقود الذي تستمد منه قوتها ونفوذها خاصة في زمن الانتخابات والأحداث المحلية والعربية والإسلامية، وهو البريق الذي خفت لحده الأدنى ليبدأ زمن الخسارات الفادحة التي لا تقف أسبابه عند بطش السلطة بل تمتد لأخطاء الجماعة نفسها والتي تبنت خطاباً عنيفاً أسفر عن انفضاض الكثير عنها لينتهي بها الحال إلى ما آلت إليه من تمزق وفقدان للأنصار. ويشير البعض إلى ان السبب الرئيسي لتوقف الجماعة عن التظاهر مرده عدم استجابة الجماهير لها فضلاً عن رسوخ أقدام السلطة في مواقعها ومواجهة أي حراك باعتباره خروجا على سلطة الدولة وشرعيتها.

رهان على الوقت

الطرفان راهنا على الوقت، الثوار من أجل ان يستعيدوا الجماهير للميادين مرة أخرى والسلطة وأنصارها ليتسى الناس الثورة. بالكاد وعلى مضض تستدعي الحكومة وأجهزتها الثورة عبر برقيات خاطفة يتبادل خلالها المسؤولون التهنئة بمناسبة عيد الشرطة ويذكرون على مضض التحية بمناسبة الثورة «اللي متتسماش». مؤخراً وفي تصرف نادر قررت الحكومة استمرار فتح المقاهي سواء في ذكرى مرور عشرة أعوام على الثورة أو ذكرى يوم تنحي مبارك وهو ما فسره كثيرون باعتباره رسالة بأنها نجحت بالفعل في تجفيف منابع الثورة تلك التي لم تجد له مكاناً سوى منصات التواصل بتغريدات وبيانات «إحياء عشرية يناير». ومؤخراً خلت الشوارع والميادين من أي مظاهر للاحتفال بالثورة وهو ما مثل رصيداً إضافيا من ثقة السلطة في أجهزتها.

الثورة ترف

بحلول الذكرى العاشرة للحدث المزلزل كانت الحكومة التي يترأسها الدكتور مصطفى مدبولي قد أعدت للأمر عدته، فالسلطة التي تقف بالمرصاد لأي دعوة للحراك الجماهيري لديها من المبررات ما تقنع به الكثيرين، وقبل أيام أعلن رئيس الوزراء المصري مصطفى مدبولي تراجع معدل الفقر في مصر لأول مرة منذ 20 سنة وهو ما يعتبره أنصار السلطة القائمة أبرز دليل على ان شعارات ثورة يناير لها نصيب الأولوية في تخطيط الرئيس السيسي الذي يترجم تلك المطالب الثورية عبر افتتاح المزيد من المشروعات التي تمثل أمل الجماهير والتي تهدف لخلق العديد من فرص العمل للعاطلين من الشباب وكذلك بناء المساكن للمقيمين بالأحياء العشوائية. غير ان خصوم السلطة يستشهدون بما أعلنه الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر في 2019 عن ارتفاع معدلات الفقر في البلاد ما يشير لعدم دقة ما أعلنه رئيس الوزراء.

وقال الأديب يوسف القعيد لـ«القدس العربي» إن الرئيس السيسي يلبي مطالب الثورة التي نادت بها جموع المصريين، فالبلاد تواجهها المزيد من المشاكل لأجل ذلك فالعمل ثم العمل من أجل توفير حياة كريمة للأغلبية الفقيرة يعد على رأس الأولويات. واعترف مجدي شندي رئيس تحرير صحيفة «المشهد» أن ثورة يناير لها تقديرها في قلوب المصريين كما ان العقد الأول من عمر الثورة شهد صعوبات تعرضت لها البلاد لذا كان من الطبيعي على السلطة ان تضع نصب عينيها هدفا رئيسيا يتمثل في تأمين الدولة واستقرارها ومحاولة ضمان ألا يتكرر مشهد الخروج في 25 يناير، كما ان الظروف التي واجهها العالم منذ اجتياح وباء كورونا للبشر أصاب اقتصاد العالم. ويرى شندي بأن الحكومة نجحت بالفعل رغم صعوبة الظروف في حصد الانجازات التي تمثل هدفاً لطموح فقراء المصريين مثل سن معاشات الضمان الاجتماعي، ومشروع تكافل وكرامة، فضلاً عن مشروعات تطوير القرى.

سجين ومهاجر ومتلون

السؤال الذي فرض نفسه في الذكرى العاشرة للثورة اين اختفى رموز الميدان الذين مثلوا الشرارة الأولى للحدث ومنهم وائل غنيم الذي اعتبره البعض أيقونة الثورة قبل ان يغير معتقداته أخيراً ويعادي الكثير من رموزها لأسباب اعتبرها البعض موضوعية لها علاقة بالتردي الذي آلت إليه أوضاع البلاد لاحقا. وهو يعد أحد أبرز مفجري الثورة من خلال تأسيس صفحة «كلنا خالد سعيد» التي لعبت دور المحرك الرئيسي في حشد الجماهير للتظاهر ضد نظام مبارك. ومن بين من تستدعيه الذاكرة محمد البرادعي الحاصل على جائزة نوبل للسلام 2005 بالمشاركة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية خلال عمله مديرا لها. والذي رشحه الكثيرون للعب دور محوري عقب الثورة لنقل البلاد من مضمار البؤس والشقاء للعالم المتقدم، وقد عاد إلى مصر في 2010 وأصبح رئيس الجبهة الوطنية للتغيير المعارضة التي دعت لإسقاط مبارك.

ومن بين مفكري الثورة حازم حسني وحسن نافعة المفرج عنهما بعد ان أمضيا عدة أشهر في السجن وكذلك الدكتور يحيي القزاز ويحيي حسين عبد الهادي. كما يوجد من رموز الثورة من اكتفى بالنضال عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهم حشد كبير من رموز الثورة وشبابها، وبينما آثر كثير منهم السلامة هاجر كثيرون للخارج. ورغم وجود أحمد ماهر مؤسس حركة «6 أبريل» المعارضة التي كان لها الدور الرئيسي في تنظيم المظاهرات خارج السجن إلا انه اختفى عن الأنظار وشغل من قبل منصب المنسق العام الحركة حتى عام 2013. ومن رموز الثورة المحكومة اسراء عبد الفتاح وهي من مؤسسي حركة «6 إبريل» المعارضة الداعية للمظاهرات. اعتقلت عدة مرات قبل اندلاع الثورة، ثم أصبحت من أشد المعارضين لحكم الإخوان. ومن الوجوه الثورية احمد دومة الذي يقضي عقوبة السجن المشدد 15 عاماً في قضية التعدي على مبان حكومية ومنها مبنى مجلس الوزراء. ومن أبرز اللواتي اختفين عن المشهد في العقد الأول للثورة اسماء عبد الفتاح التي كانت ضمن الذين فازوا بجائزة ساخاروف لحرية الفكر التي يمنحها الاتحاد الأوروبي. وتعد المحامية الموجودة قيد الحبس ماهيتور المصري من أبرز الوجوه الثورية التي تبوأت موقع الصدارة في الفعل الثوري. وقد كشفت السنوات الخمس الماضية عن ظهور جيل جديد من السياسيين الشبان المنضوين تحت لواء السلطة والذين جاؤوا نتاجاً لمؤتمرات الشباب التي حرصت السلطة من خلالها على تخريج كوادر سياسية شابة تحمل عبء العمل العام مستقبلا وهو الأمر الذي طالب به الرئيس السيسي ونالت الفكرة ترحيباً بين الأحزاب السياسية.

العالم والربيع العربي: من تأييد الثورة إلى تشجيع الإصلاح من الداخل

إبراهيم نوار

بعد عشر سنوات من الربيع العربي الذي تحول إلى صيف ساخن متوتر ثم إلى خريف وشتاء بارد، تحتاج النخب السياسية في الدول العربية إلى إعادة قراءة المشهد، لاستخلاص الدروس والعبر والاستعداد لجولة جديدة من جولات التغيير، فالحلم لم يسقط، لكنه وقع في مواجهة حقائق صادمة. الربيع العربي كان انتفاضة لتحقيق الحرية والانعتاق من سلطة الحاكم الفرد، بهدف تحقيق التنمية وتوفير لقمة العيش الكريمة وفرص العمل الشريفة النظيفة، وإقامة العدل في بلدان محرومة منه منذ قرون من الزمان. النظم القائمة في العالم العربي فشلت حتى الآن في اجتياز الاختبارات الرئيسية التي تمنحها مشروعية الاستمرار. فشلت في اختبار التنمية، وفي إتاحة فرص العمل، والعدالة، والديمقراطية، وفشلت في اختبار توفير الرعاية الصحية لمواطنيها، والاعتماد على الإرادة الوطنية في تحقيق الأمن القومي. فشلت حتى في منح مواطنيها الشعور بالأمل في غد قريب، فماذا تبقى لها من مقومات المشروعية بعد ذلك؟

وفي هذا السياق أتناول رؤية لثورات الربيع العربي من منظور غير عربي، حيث أعرض بعض ملامح تقييم اثنين من أهم المفكرين في العالم لثورات الربيع العربي، وأشير باختصار إلى بعض ما جاء عن ثورة 25 يناير وثورات الربيع العربي لدى كل من هنري كيسنجر في كتابه «النظام العالمي» وفرانسيس فوكوياما في كتابه «النظام السياسي واضمحلاله» الذي يمثل الجزء الثاني من كتابه الضخم عن نشوء وتطور واضمحلال النظم السياسية في العالم. وحتى نستفيد من ملاحظات كل من كيسنجر وفوكوياما أعرض النقاط التالية استنتاجا من دراسات كل منهما:

أولا: التغيير السياسي وسيلة وليس غاية. وقبل أن تفكر في تغييره عليك أن تعرف أولا ما هي الغاية منه، وأن تعرف كيف يمكن أن تتحقق. وقد أكد كيسنجر أن الحكم على الثورات يكون بما تنتهي إليه ويتحقق بعدها، وهو ما يعني ان طبيعة الثورة لا تتحدد بطبيعة القوى التي قامت بها، أو الشعارات التي ترفعها، وإنما تتحدد بما تنتهي إليه من نتائج. وربما يكون ذلك أقسى الأحكام التي أصدرها كيسنجر على ثورات الربيع العربي.

ثانيا: أن النظام السياسي له مقومات أساسية يجب أن تتوفر في كل وقت، لأنها إذا غابت فإن الفوضى تحل محلها. فوكوياما تناول هذه النقطة بعناية وتفصيل في دراساته، لأن هذا هو موضوعه الأكاديمي، بينما كيسنجر يتناول العلاقات الدولية حتى وهو يعرض التناقض بين مفهوم الدولة الويستفالية، والمفاهيم الأيديولوجية المتداولة عن الدولة في الشرق الأوسط.

ثالثا: أن الديمقراطية الليبرالية عملية سياسية طويلة المدى، وليست انتقالا من حالة إلى حالة، وهي تحتاج لنضال طويل من أجل تحقيقها، والاستمرار في النضال لحمايتها وتطويرها.

رابعا: الثورة هي أيضا عملية سياسية، وليست مجرد قدرة على إسقاط حاكم، فاسقاط الحاكم ليس ثورة، وإنما هو خطوة تؤدي لخلق حالة فراغ سياسي يستفيد منها الطرف الأكثر تنظيما، والأشد قوة لفرض سيطرته وإدارة مؤسسات الحكم.

رابعا: من المهم جدا أن نتأمل ملاحظات هنري كيسنجر عن شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» الذي كان شعار كل ثورات الربيع العربي، والتحالفات التي دخلت فيها القوى الديمقراطية مع قوى ذات مصالح متناقضة، خصوصا في مصر وتونس.

خامسا: التقييم الذي قدمه كيسنجر عن السياسة الخارجية الغربية تجاه البلدان العربية شديد الأهمية، خصوصا الاستنتاج القائل حكومات الديمقراطيات الغربية انتقلت من تشجيع الثورة إلى «تشجيع التغيير من الداخل». وأظن أن الإدارة الجديدة في البيت الأبيض ستتبنى هذا المنطق.

سادسا: قراءة كل من كيسنجر وفوكوياما وغيرها من علماء السياسة البارزين في العالم تؤكد أن السياسة علم، وأن التغيير علم، وأن الثورة علم، ولن يستطيع جيل الربيع العربي أن يتقدم وأن يحقق الحلم إلا بالعلم والجدية والوعي بمتغيرات الواقع المحلي والعربي والخارجي.

إن حلم تحقيق طموحات الربيع العربي لم يمت وما تزال جذوته مشتعلة. كما أن بناء الديمقراطية هو عملية تاريخية ممتدة، وليس انتقالا من حالة إلى حالة بين عشية وضحاها.

غياب المؤسسات

يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه «تطور واضمحلال النظام السياسي» (2014) أن انتشار الديمقراطية يعتمد أساسا على مدى قبول شرعية مفهومها الذي يعتبر أن كل المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات وشروط المشاركة السياسية. ويستخدم الأكاديميون في مجال العلوم السياسية في الوقت الحاضر مصطلح «الطلب على الديمقراطية» لقياس درجة قبول مشروعية الديمقراطية، فكلما زاد قبولها تزيد الحاجة إلى إقامتها. وقد تناول فوكوياما ثورات الربيع العربي وعلاقتها بتطور النظام السياسي في كتابه المذكور، واستنتج أن إحدى المشاكل الرئيسية التي تواجه واقع ما بعد الربيع العربي في بعض البلدان مثل ليبيا يتمثل في غياب المؤسسات الضرورية، وأنه لحل تلك المشكلة يجب أن يوجد مصدر واحد رئيسي للسلطة، التي تمارس شرعية احتكار القوة في البلاد، وبدون ذلك لا يتوفر الأمان ولا فرص الازدهار الاقتصادي لأي مواطن. هذا الحل الذي يقدمه فوكوياما لا يعني بالضرورة إقامة نظام ديمقراطي، وإنما يعني فقط توفير الحد الأدنى من الشروط اللازمة لإقامة «نظام سياسي» ينهي حالة اللانظام والفوضى التي تلت ثورات الربيع العربي.

عجز القوى الديمقراطية

وكشف هنري كيسنجر في كتابه «النظام العالمي» (2014) أهم المعضلات التي واجهتها ثورات الربيع العربي وفشلت في حلها، وهي كيفية التعامل مع الفراغ السياسي الذي نشأ بعد سقوط رموز الحكم الفردي. وقال أن شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» الذي تردد بقوة في ميادين التحرير في مصر وتونس ودول الربيع العربي عموما لم يقدم إجابة على سؤالين رئيسيين، الأول يتعلق بتعريف كلمة «الشعب» تعريفا سياسيا دقيقا، والثاني يتعلق بطبيعة النظام الذي سيحل مكان السلطة القائمة. ومضى في تحليله مؤكدا أنه بمجرد نجاح ثوار ميدان التحرير في تحقيق هدفهم الأولي بإسقاط مبارك، فإنهم بذلك فتحوا بابا واسعا للصراع بين النظام الذي ظل قائما بأيديولوجيته كما هي، وبين الأيديولوجية الجهادية للإخوان المسلمين. من وجهة نظره فإن إسقاط مبارك كان لحظة فارقة بين النظام وبين الفراغ السياسي، الذي أصبح محركا لصراع عجزت عن المشاركة فيه بفاعلية القوى والعناصر الديمقراطية، التي تمتعت بقيادة الميدان، لكنها لم تكن تملك المؤسسات والقدرات التنظيمية والتعبوية للاستمرار في صراع لإدارة وإعادة تشكيل مؤسسات الدولة. ويصطدم هذا التقييم مع ما يتفاخر بعض قيادات الربيع العربي من أن عظمة تلك الثورات أنها كانت «بلا قيادة». وقال كيسنجر أن القوى صاحبة الايديولوجية الدينية والعسكرية برهنت على أنها أقوى وأفضل تنظيما من عناصر وجماعات الطبقة الوسطى في ميدان التحرير.

الحريات والقيم الديمقراطية

هذه المعضلة التي واجهتها ثورات الربيع العربي في الداخل كانت تقابلها معضلة سياسية كبرى في السياسة الغربية تجاه المنطقة. وقال كيسنجر أنه على الرغم من تأييد الديمقراطيين والجمهوريين للثورة والتغيير، فإن وجهات النظر في الحزبين انقسمت بين تيارين، الأول يتبنى أسبقية «القيم الديمقراطية» والثاني يعطي الأسبقية لـ «الاحتياجات الاستراتيجية» المتعلقة بتوازن القوى في المنطقة. وقد وجد التيار الأول أن الفرصة أصبحت سانحة للمرة الأولى منذ منتصف القرن الماضي لتعزيز قوة التيار الديمقراطي الليبرالي في مواجهة أيديولوجيتين شموليتين هما الحكم العسكري، والحكم الديني. بمعنى آخر فإن كيسنجر يعترف ضمنا بأن الاستقطاب السياسي الحقيقي في مصر قبل ثورات الربيع العربي كان بين تيارين، هما التيار الديني المتمثل في الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الجهادية، والتيار القومي الذي يحكم بقوة المؤسسة العسكرية. ومن ثم فإن لحظة الثورة في ميدان التحرير كانت بارقة أمل لإنهاء ذلك الاستقطاب وفتح الباب لقوة ثالثة، هي التيار الديمقراطي الليبرالي، لكن هذا التيار كان يعاني من عجز في القدرات التي يمكن أن تجعله لاعبا رئيسيا قادرا على الاستمرار في الصراع، وانتهى به الأمر للتحالف مع مرشح الإخوان مرة، ثم التحالف مع المؤسسة العسكرية للتخلص من حكم الإخوان في المرة الثانية.

التعارض بين المصالح والقيم

أما التيار الثاني في السياسة الغربية تجاه ثورات الربيع العربي وما تلاها من حالة فراغ سياسي وصراعات، فإنه انطلق حسب كيسنجر من أولوية الاحتياجات الاستراتيجية وعدم الإخلال بتوازن القوى في المنطقة. وعلى الرغم من أن إدارة أوباما في ذلك الوقت أيدت رحيل مبارك، وأعلنت خطة للانتقال السياسي في سوريا داعية الأسد إلى التنحي عن الحكم، وخسرت سفيرها في ليبيا الذي تم اغتياله في بنغازي، فإنها سعت في السنوات التالية للتصالح مع الأنظمة القائمة، بالدعوة التي أطلقها أوباما في خطابه من جامعة القاهرة، إلى ما يمكن وصفه بأنه عملية «إصلاح ديمقراطي من داخل النظام وليس من خارجه» خصوصا بعد أن اقتنع صناع القرار في الديمقراطيات الغربية ذات المصالح الكبيرة في الشرق الأوسط، بأن إمكان تحقيق انتقال ديمقراطي من خارج النظام لا يجد التأييد أو القدرات في الوقت الحاضر. الأكثر من ذلك أن كيسنجر كشف النقاب عن حقيقة أن المؤيدين للانتقال الديمقراطي «لم يجدوا قيادات تدرك أهمية الديمقراطية إلا باعتبارها وسيلة لفرض سيطرتهم». ولذلك وخوفا من انتشار الفوضى وتهديد المصالح الاستراتيجية، فإن صناع السياسة الغربيين وجدوا أن الطريق العملي في الوقت الحاضر يتمثل في تأييد الوضع القائم في كل من مصر وتونس، مع العمل على إصلاح الأوضاع غير المستقرة في البلدان الأخرى بما فيها ليبيا وسوريا واليمن، بما يحقق أولا إقامة «نظام سياسي» بالمفهوم الذي عرضه فرانسيس فوكوياما، وليس بالمعنى الديمقراطي الليبرالي، مع العمل على تشجيع الإصلاح السياسي من الداخل، وهي الاستراتيجية التي تميل إليها الإدارة الجديدة في البيت الأبيض.

تناقضات تنتظر الحل

ومن أهم الاستنتاجات التي قدمها كيسنجر في تحليله أن ثورات الربيع العربي «كشفت عمق التناقضات السياسية الداخلية التي تعيشها الدول العربية، لكنها عجزت عن تقديم الحلول لها». هذا الاستنتاج ينطوي على حقيقة أن تلك التناقضات ما تزال قائمة، وأنها تنتظر الحلول العملية، وأنها حتى يتحقق ذلك لن تكف عن العمل، ولن تتوقف عن إفراز آثارها في كل نواحي الحياة. وكلما طالت فترة الانتظار للحلول كلما زادت حدة التقلصات وكلما تراكمت التشوهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما نراه بوضوح في البلدان العربية بشكل عام، متجسدا في فساد العلاقة بين الدولة والمجتمع، ونضوب الروح المجتمعية، خصوصا بين الشباب، الذين أصبح حلم الأغلبية الساحقة منهم الهجرة إلى الشمال والغرب. لقد استطاع هنري كيسنجر أن يقدم تحليلا موضوعيا ومنصفا إلى حد كبير لثورات الربيع العربي. ويكفي في حق هذه الثورات أنها دقت جرس الإنذار، وكشفت التناقصات الداخلية العميقة التي تراكمت عبر عشرات السنين. وقال كيسنجر أن ثورات الربيع العربي جاءت حين أدرك جيل جديد من الشباب العربي أهمية القيام بانتفاضة من أجل تحقيق الديمقراطية الليبرالية، لكن هذا الجيل «تم إبعاده، وإرباكه، أو حتى سحقه».

ومع ذلك فإن المخلصين لشعارات يناير يرددون بقوة حتى الآن شعار «لساها ثورة يناير». الذين لا يدركون ذلك يجهلون التاريخ، ويتجاهلون دورة الحياة. إن ثورات الربيع العربي التي ألهمت عشرات الملايين من الشباب حول العالم، وثورة ميدان التحرير في مصر التي كانت أول ثورة في تاريخ البشرية يتم الحشد لها وتنظيمها لا مركزيا باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، ما تزال حتى الآن رمزا للأمل وللقدرة على تحقيق الحلم لتحقيق الحرية والعدالة والتنمية أو شعار «عيش – حرية – كرامة إنسانية» على الرغم من كل الحقائق الصادمة.

«الربيع العربي» في تونس: بين المكاسب الديمقراطية والانتكاسات السياسية والاجتماعية مسار لم يكتمل

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

يعيش التونسيون هذه الأيام على وقع الذكرى العاشرة لثورتهم التي انطلقت أحداثها بين17 كانون الأول/ديسمبر 2010 و14 كانون الثاني/يناير 2011 وأدت إلى إسقاط نظام بن علي، قبل ان تنطلق موجة «الربيع العربي» إلى دول عربية أخرى سواء في المغرب العربي أو مشرقه. وتاهت كل تلك الثورات أو الانتفاضات العربية في دوامة التجاذبات والصراعات الداخلية والخارجية وتحولت إلى حروب أهلية مدمرة وقاسية كما حصل في سوريا وليبيا واليمن. وكانت تونس طيلة السنوات الماضية الاستثناء العربي الوحيد في محيط معقد يعجّ بالأزمات السياسية والتخبطات الأمنية والعسكرية. ولعل السؤال الذي ظل يطرح نفسه هو هل تحققت أهداف الثورة التونسية بعد مرور كل هذه السنوات؟

لقد طالب أبناء الخضراء بديمقراطية تتسع لأحلامهم ولإرادتهم التي تغنىّ بها يوما ما شاعرهم أبي القاسم الشابي: «إذا الشعب يوما أراد الحياة ...فلا بد أن يستجيب القدر» وكأنه كان يتوقع ان تنفجر من تحت رماد الغضب، ثورة شعبية عارمة تطيح بواحدة من ديكتاتوريات المنطقة. ولكن رغم النجاحات العديدة التي تحققت، من انتقال ديمقراطي سلمي وصعب وانتخابات حرة أتت بطبقة سياسية جديدة إلى الحكم، ودستور جديد يتناغم مع مطالب الثورة فسح المجال أمام الحريات الفردية وضمان حرية الرأي والتعبير والصحافة وغيرها من المكاسب، إلا ان هذا المسار عرف تعثرات عديدة، وأخفق في نواح عدة، فالتونسيون الذين حلموا بالتخلص من الديكتاتورية وفساد الحكم الأوحد وجدوا أنفسهم رهينة الصراعات السياسية وتخبط الأحزاب وفوضى التجاذبات والانقسامات التي تحول البرلمان في باردو إلى ساحة لها، وهو ما كان له وقع سيء لدى جلّ التونسيين الذين يشعرون اليوم بالأسى والخيبة لمآل ثورتهم المنقوصة وهم يراقبون تخبطات نخبتهم السياسية التي اختاروها بصناديق الاقتراع وأوصلوها للحكم. ويعتبر بعضهم ان ثورتهم سرقت ولم تحقق أهدافها في العدالة والحرية وفي محاكمة منظومة الفساد وإرجاع الأموال المنهوبة. كما ان هناك اليوم صراعا صامتا وعميقا لكنه بدأ يخرج إلى العلن وتسلل ببطء إلى أجهزة الدولة، وذلك بسبب «شخصنة» هذه التجاذبات السياسية التي كانت لها ترددات وأصداء خطيرة عطلت العمل الحكومي والمؤسساتي، وذلك خلال حقبة الباجي وخلافه مع رئيس الحكومة يوسف الشاهد

واليوم أيضا يتكرر السيناريو بين الرئيس قيس سعيد ورئيس الحكومة هشام المشيشي.

لقد بات التونسيون أمام سلطة جديدة بثلاثة رؤوس تتصارع على النفوذ والصلاحيات أضف إلى ذلك ان المنظومة القديمة تمترست وراء الإدارة وكأن الشعب غيّر فقط رأس النظام لكن المنظومة ظلت موجودة ومترسخة في إطار ما سمي بطيّ صفحة الماضي والمصالحة خشية من تكرار السيناريو المر الذي شهدته باقي دول الربيع العربي.

نجاح ديمقراطي ونقائص

ليس صدفة ان توصف تونس اليوم بأنها الإستثناء في بلدان الربيع العربي، باعتبارها تمكنت من النجاح في عملية انتقالها الديمقراطي رغم العثرات العديدة ودون أن تنساق إلى الفوضى والإقتتال الأهلي. فقد جنح فرقاؤها السياسيون إلى الحوار في أحلك الفترات والأزمات، وتم الحوار برعاية محلية ودون وصاية خارجية من أي طرف كان وذلك من خلال اضطلاع منظمات المجتمع المدني العريقة بتقدمها الاتحاد العام التونسي للشغل، بدورها التاريخي على الوجه الأكمل لإنقاذ البلاد.

وبالإضافة إلى وعي الطبقة السياسية التونسية بخطورة الإنزلاق إلى الحرب الأهلية، توجد في تونس مؤسسات راسخة ساهمت في ضبط الأوضاع والحفاظ على الأمن والاستقرار خلال المراحل الانتقالية الصعبة. فهناك إدارة عريقة تستطيع أن تعمل من تلقاء نفسها حتى في حالة الفراغ في السلطة، ومؤسسة عسكرية حقيقية حرص الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة على أن يكون ولاؤها للوطن دون سواه، وليس للزعيم الأوحد بما في ذلك بورقيبة نفسه، ورحل بن علي وقبله بورقيبة وبقي ولاء هذه المؤسسة لتونس وهي تلتزم اليوم الحياد في صراعات السياسيين فيما بينهم.

وفي تونس أيضا مؤسسة أمنية تأتمر بأوامر من هو في الحكم بقطع النظر عن انتمائه السياسي أو الفكري أو العقائدي، ويتغير النظام المدني العريقة يتقدمها الاتحاد العام التونسي للشغل، بدورها التاريخي على الوجه الأكمل لإنقاذ البلاد.

وبالإضافة إلى وعي الطبقة السياسية التونسية بخطورة الإنزلاق إلى الحرب الأهلية، توجد في تونس مؤسسات راسخة ساهمت في ضبط الأوضاع والحفاظ على الأمن والاستقرار خلال المراحل الانتقالية الصعبة. فهناك إدارة عريقة تستطيع أن تعمل من تلقاء نفسها حتى في حالة الفراغ في السلطة، ومؤسسة عسكرية حقيقية حرص الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة على أن يكون ولاؤها للوطن دون سواه، وليس للزعيم الأوحد بما في ذلك بورقيبة نفسه، ورحل بن علي وقبله بورقيبة وبقي ولاء هذه المؤسسة لتونس وهي تلتزم اليوم الحياد في صراعات السياسيين فيما بينهم.

وفي تونس أيضا مؤسسة أمنية تأتمر بأوامر من هو في الحكم بقطع النظر عن انتمائه السياسي أو الفكري أو العقائدي، ويتغير النظام وتبقى هذه المؤسسة تقوم بدورها على الوجه الأكمل شأنها شأن القضاء رغم الهنات التي تشوب هاتين المؤسستين. هذا بالإضافة إلى مؤسسات أخرى عديدة ساهمت في صمود البلد وحفظت استقراره وحمته من التفكك سواء في مرحلة فراغ السلطة بعد الإطاحة بنظام بن علي أو خلال المرحلة الانتقالية التي طالت بعض الشيء.

انتخابات حرة وشفافة

ولعل ما يحسب لتونس أنها رسخت التقاليد وراكمت النجاحات في تنظيم الانتخابات الحرة والنزيهة سواء تعلق الأمر بالمجلس التأسيسي في سنة 2011 أو الانتخابات الرئاسية والتشريعية لسنة 2014 وسنة 2019 بالإضافة إلى الانتخابات المحلية والمجلس الأعلى للقضاء. وحصل نتيجة لذلك التداول السلمي على السلطة بين أربعة رؤساء للجمهورية وثمانية رؤساء حكومات خلال عشر سنوات من البناء السياسي للتأسيس لأول ديمقراطية عربية غير طائفية وغير محروسة من مؤسسة ملكية أو عسكرية.

وحتى وفاة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي وهو يمارس الحكم لم تؤثر سلبا على استقرار البلد، حيث تم تطبيق الدستور بسلاسة وانتقلت السلطة إلى رئيس مجلس النواب محمد الناصر الذي أصبح مؤقتا رئيسا للجمهورية إلى حين إجراء الانتخابات الرئاسية. وتم بالفعل إجراء هذه الانتخابات، وعلى دورتين كالعادة، وانتقلت السلطة مجددا بطريقة سلسة إلى الرئيس المنتخب الجديد قيس سعيد، أستاذ القانون الدستوري بالجامعة التونسية، ليصبح الرئيس الثامن للجمهورية التونسية والرابع في ظل الجمهورية الثانية. وكان لهذا الانتقال السلس للسلطة مدعاة فخر للتونسيين بديمقراطيتهم الوليدة.

كما نجح التونسيون من خلال المجلس الوطني التأسيسي في كتابة دستور جديد وذلك خلال ثلاث سنوات، وأجريت على أساسه الانتخابات التشريعية والرئاسية لسنة 2014 والانتخابات الرئاسية والتشريعية لسنة 2019 والانتخابات المحلية وانتخابات المجلس الأعلى للقضاء. وتضمن هذا الدستور جملة من الحقوق والحريات العامة والخاصة اعتبرت ثورة حقيقية تضاف إلى الثورة التي حصلت سنة 2011 في مجال تأسيس الأحزاب والجمعيات والتي لم يعد تأسيسها بحاجة إلى الترخيص من وزارة الداخلية مثلما كان الأمر في السابق، إذ يكفي اليوم إعلام رئاسة الحكومة من خلال رسالة مضمونة الوصول بوجود هذه الجمعية وإشهارها لاحقا في الجريدة الرسمية دون الحاجة إلى ترخيص.

لكن دستور سنة 2014 الذي يعتبر الرابع في تاريخ البلاد، يتعرض اليوم إلى انتقادات واسعة تتعلق بشكل النظام السياسي الذي تم إقراره وهو نظام هجين، شبه برلماني، احتار في تصنيفه فقهاء القانون الدستوري، وخلق لخبطة على مستوى السلطة التنفيذية على وجه الخصوص. فخلافا لباقي الأنظمة البرلمانية ينتخب رئيس الجمهورية في النظام التونسي الجديد بالإقتراع العام والمباشر، ويعطي الانتخاب المباشر من الشعب للرئيس قيمة اعتبارية هامة جدا تعادل قيمة أعضاء البرلمان مجتمعين، يدركها ويؤكد عليها فقهاء القانون الدستوري، لكن رغم أهميته التي يستمدها من الشعب مباشرة فإنه محدود الصلاحيات أسوة بالرئيس غير المنتخب من الشعب في النظام البرلماني. فساكن قرطاج الحالي، كما الأسبق قائد السبسي، لديه شعور بالضيم بما أنه صاحب الشرعية الكبرى، لكن الصلاحيات التنفيذية الأساسية هي بيد رئيس الحكومة الذي لم ينتخبه الشعب ولا ينتمي بالضرورة إلى الحزب الأول الفائز بالانتخابات التشريعية. كما خلق هذا النظام السياسي حالة من عدم الاستقرار باعتباره يفرض نصابا كبيرا حتى تنال التركيبة الحكومية تزكية البرلمان وهو ما يجعل الحكومة، التي تتشكل من ائتلاف واسع لضمان تزكيتها، سرعان ما تنهار بمجرد انسحاب أحد الأحزاب. ويرى البعض ان هذا الدستور كان على مستوى الشكل يعبّر بالفعل عن مطالب الثورة التونسية بالحريات والحقوق ولكنه على مستوى التطبيق واجه صعوبات عديدة حتى الآن مما عمّق أكثر الأزمة السياسية التي تشهدها البلاد.

الانتقال الاقتصادي والاجتماعي

وتبقى معضلة تونس الأساسية هي الدمار الاقتصادي الذي طال البلد منذ عشر سنوات نتيجة لعدم الاستقرار السياسي ولكثرة الاضرابات والسياسات الخاطئة التي تم انتهاجها منذ الثورة إلى اليوم. فقد أصبحت الأرقام الاقتصادية التي تم تسجيلها خلال السنة التي أطيح فيها بنظام بن علي، مراجع يطمح الجميع في العمل على تحقيقها في مرحلة أولى للإنطلاق لاحقا لتحقيق ماهو أفضل.

فالصادرات تراجعت نتيجة لتوقف الإنتاج الطاقي والمنجمي والصناعي وتهميش القطاع الفلاحي وذلك بسبب الاضرابات والمد الثوري «الربيعي» الذي لم ينقطع، وهو ما اضطر الدولة إلى استيراد عديد المواد التي كانت تنتجها. وزاد الطين بلة الشلل الذي أصاب القطاع السياحي بسبب العمليات الإرهابية التي شهدها البلد خصوصا في سنوات الثورة الأولى.

وساهم كل ذلك في تراجع مدخرات البلاد من العملة الصعبة وهو ما ساهم بدوره في تراجع سعر الدينار التونسي وانحداره إلى مستويات قياسية لم تعرفها تونس حتى في أحلك فترات تاريخها الحديث. كما تسبب كل ذلك في تراجع التصنيف الإئتماني السيادي الذي تقوم به الوكالات العالمية المختصة وتسبب أيضا في كثرة التداين من الخارج رغم أن للبلد موارده الكافية التي تتناسب وحجمه السكاني المحدود بفضل سياسة تحديد النسل التي فرضت منذ الاستقلال. وتسببت الأزمة الاقتصادية بدورها في أزمة اجتماعية خانقة حيث ارتفعت نسب البطالة والفقر وانعدمت التنمية ليس فقط في الجهات الداخلية بل حتى في المناطق التي كانت تصنف على أنها محظوظة. والسبب في ذلك أن الطبقة السياسية التي حكمت في السنوات العشر الأخيرة تجاهلت مطالب الشباب العاطل والمناطق المحرومة التي انتفضت على نظام بن علي وهي بالأساس مطالب اجتماعية ولا علاقة لها بالأجندات السياسية.

والمفارقة اليوم انه في الذكرى العاشرة للإطاحة بنظام بن علي، تشهد شوارع العاصمة التونسية مشاهد الاحتجاجات نفسها وكأن شيئا لم يتغير، فرغم ان الثورة حققت عديد الإنجازات في المجال السياسي وفيما يتعلق بحقوق الإنسان والحريات، إلا انها بحقوق المستويين الاجتماعي والاقتصادي فشلت فشلا ذريعا ولم يستجب هذا «الربيع التونسي» لمطالب التونسيين بالعدالة الاجتماعية والمساواة بين الجهات في التنمية. ففي الوقت الذي كانت فيه مؤسسات الدولة منهكة ومتخبطة في انتقالها الديمقراطي كان هناك جيل جديد ينمو ويترعرع في ظل وضع اقتصادي واجتماعي صعب نتجت عنه مطلبية كبيرة واحتجاجات عمت البلاد هدأت تارة ثم عادت لتنفجر تارة أخرى.

لقد تحول اليوم هذا الجيل الجديد إلى قنبلة موقوتة ويمكن في أية لحظة ان تستقطبه الجماعات الإرهابية أو أن يرتمي في أحضان مراكب الموت والهجرة غير النظامية التي شهدت تصاعدا كبيرا طيلة الأعوام الماضية. فتونس الخضراء لم تعد تتسع لأبنائها وأحلامهم المؤجلة، ونزيف هجرة الشباب، بمن فيهم الكفاءات، يتواصل وسط حالة من اليأس والإحباط.

فالحرومون والمهمشون الذين عادوا إلى الشارع مؤخرا للمطالبة بتحسين أوضاعهم بعد أن تجاهلتهم الطبقة السياسية في السنوات الأخيرة، طيلة عقد كامل من الزمان، لا يعنيهم ما تحقق في مجال البناء الديمقراطي وّحقوق الإنسان والحريات، ولا يعنيهم نيل المنظمات التونسية التي رعت الحوار الوطني لجائزة نوبل السلام. لقد دقوا ناقوس الخطر وأنذروا وأكدوا على أنه لا مجال للحديث عن ربيع تونسي والبطون في الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى والجهات الداخلية خاوية. فاليوم لا تزال شرائح تونسية واسعة متعطشة للكرامة والعدالة والمساواة الاجتماعية التي لم تتحقق، وكأن الثورة ابتلعت أبناءها.

قوى دولية وإقليمية أجهضت الربيع الليبي بالتواطؤ مع نخب محلية

رشيد خشانة

اعتقد الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي أن ليبيا ليست تونس، وأن نظامه الذي استمر 42 عاما، ليس واهنا مثل نظام جاره زين العابدين بن علي، كي تعصف به ثورة سلمية شبابية، في أقل من شهر. لكن مع اندلاع الثورة في مصر، بزخمها البشري وشعاراتها الراديكالية، شعر «الأخ القائد»، كما كان يُحبُّ أن يُنادى، بأن ألسنة اللهب تقترب من خيمته، وأن رياح التغيير تهزُّ أوتادها، من الغرب (تونس) والشرق (مصر).

في البدء انطلقت حركة احتجاجية في بنغازي في 15 شباط/فبراير وكان محورها ذا طابع حقوقي يتعلق بمطالبة أسر المعتقلين السياسيين في مجمع بوسليم السجني، في أطراف العاصمة طرابلس، بمعرفة مصائر أبنائهم، الذين قضوا في مجزرة قادها القذافي وأبناؤه وصهره عبد الله السنوسي رئيس المخابرات، العام 1996. وتفجر الوضع في بنغازي مع اعتقال محامي أسر الضحايا فتحي تربل، في اليوم التالي، فتوسعت المظاهرات سريعا، وانتشرت في عدد كبير من المدن، متأثرة بما كانت تشاهده من تفاعلات الثورة في كل من تونس ومصر.

ثمنُ حل الجيش

وعلى الرغم من أن القذافي كان أمر قبل الثورة بحل الجيش النظامي مخافة حدوث انقلاب ضده، فإنه أطلق الكتائب التي يقودها أبناؤه لقصف المتظاهرين السلميين، برا وجوا، حتى بات كثير من المراقبين يخشون من وقوع مجازر في البيضاء والوجبان وبنغازي ورقدالين وجبل نفوسة والزنتان.

وتفاديا لذلك السيناريو، تشاورت كل من فرنسا وبريطانيا، بمباركة أمريكية، لإنشاء منطقة حظر جوي تُمنع بمقتضاها الطائرات الحربية الليبية من التحليق فوق المدن. وصدق مجلس الأمن على مشروع القرار، فيما أحجمت روسيا عن استخدام حق النقض، وهو موقف ندم عليه الروس، بسبب التداعيات السلبية التي عرفها الصراع، بعد تكثيف التداخلات الدولية في الأزمة.

تحرير طرابلس ومقتل القذافي

وأكمل الثوار مسار الانتفاضة بدخولهم إلى طرابلس المحررة يومي 21 و22 آب/اغسطس قبل قتل القذافي في سرت يوم 20 تشرين الأول/أكتوبر في ظروف ما زالت غامضة ومريبة. وبالرغم من تشكيل مجلس وطني انتقالي في بنغازي، انبثق منه «مكتب تنفيذي» قام مقام حكومة انتقالية، برئاسة محمود جبريل (وزير التخطيط في عهد القذافي) فإن اليد العليا كانت للقوى الدولية، التي دخلت على خط الصراع الليبي–الليبي. وخطط الرباعي فرنسا وبريطانيا والإمارات والسعودية لدفع الأمور، بعد التخلص من القذافي، نحو إعادة تأهيل أركان نظامه، بمن فيهم ضباط الجيش المنحل. وبعدما كانت إدارة الرئيس باراك أوباما أميل إلى الطريق «الثوري» الذي يقوض أسس النظام السابق، سرعان ما انضمت إلى موقف السعودية والإمارات ومصر، خصوصا بعد قمع انتفاضة البحرين. وأدى التسابق بين تلك القوى الدولية والإقليمية من أجل اقتسام النفوذ في ليبيا المنهكة، إلى تدويل واسع للربيع الليبي.

ندم جوبي

ويُقر اليوم وزير الخارجية الفرنسي آنذاك آلان جوبي، بأن التدخل العسكري الغربي «فشل تماما». ولعب جوبي، في ظل رئاسة نيكولا ساركوزي، دورا محوريا في استصدار قرار مجلس الأمن الرقم 1970 بتاريخ 26 شباط/فبراير 2011 الذي شرع التدخل العسكري في ليبيا. ويُرجح مراقبون أن ساركوزي هو من أمر بقتل القذافي تفاديا لكشف دور العقيد الليبي في تمويل حملته الانتخابية العام 2007 وهي التهمة التي ما انفكت تلاحقه قضائيا حتى اليوم. وعبر جوبي لصحيفة فرنسية، بمناسبة مرور عشر سنوات على اندلاع انتفاضات الربيع العربي، بما فيها ليبيا، عبر عن ندمه قائلا إنه ليس متأكدًا من أن شعوب المنطقة أكثر سعادة اليوم مما كانت عليه في العام 2011. وأبدى أندرس فوغ راسموسن الأمين العام السابق للحلف الأطلسي، شعورا مماثلا حين أكد أخيرا، «أن درس ليبيا كان سلبيا، وهو ما جعل الحلف يُحجم لاحقا عن التدخل في العراق وسوريا» على ما قال.

نُخب فاشلة

بالرغم من انتخاب برلمان انتقالي «المؤتمر الوطني العام» المؤلف من 200 نائب في 2012 لم يتسن إجراء فرز سياسي، ولا تركيز مؤسسات تنفيذية جديدة، ولم يتحقق الاستقرار، بل تعرضت بعض المناطق التي كانت محسوبة على النظام السابق إلى أعمال حرق وانتقام شنيعة، أسوة بما عرفته مدينة تاورغاء (شمال) من تدمير وتهجير لسكانها. واستبدت الميليشيات التي شكلها أمراء الحرب، بالسلطة في غالبية المناطق واختطفت المؤسسات الجديدة، بما فيها حكومة الوفاق التي شكلها المهندس فائز السراج في 2018 والتي لم يستطع رئيسها ووزراؤها الدخول إلى القاعدة البحرية في طرابلس، من أجل تسلُّم حقائبهم الوزارية إلا مُمتطين ظهر خافرة بحرية. ولم تستطع تلك الحكومة التي تألفت بموجب اتفاق بين الفصائل الليبية في اجتماع استضافه منتجع الصخيرات في المغرب العام 2015 تفادي حرب أهلية جديدة بين الحكومة المعترف بها دوليا والجنرال المتقاعد خليفة حفتر.

وفي ظل تضعضع مؤسسات الدولة وغيابها تماما من جنوب البلد، تمدد تنظيما «القاعدة» و«داعش» نحو الشمال لمحاولة السيطرة على بعض المدن الساحلية، مثل سرت ودرنة. وتطلب إخراج العناصر المتشددة المسلحة من سرت حربا دامية استمرت أشهرا، فيما انفلت الجنوب من قبضة السلطة المركزية، التي لم تتجاوز دائرة نفوذها تخوم طرابلس. بالمقابل أرسى الجنرال حفتر، وهو من رفقاء القذافي، حكما عسكريا منشقا عن السلطة المركزية، قوض جميع الأهداف التي قامت من أجلها الانتفاضة. واعتمد حفتر على رئيس البرلمان المنتخب في 2014 عقيلة صالح ليُضفي شرعية على توليه قيادة ما دعاه «الجيش الوطني الليبي». ويتألف عامموده الفقري من مرتزقة أتين من تشاد والسودان، قبل استقدام آلاف من عناصر الشركة الأمنية الروسية «فاغنر» للإجهاز على دفاعات طرابلس. غير أن الدعم التركي لحكومة الوفاق، وخاصة بالطائرات المسيرة، أفشل الهجوم وحمل الطرفين على التوقيع على اتفاق لوقف إطلاق النار.

وإذا الموءودة سُئلت...

استطاع حفتر وأبناؤه وأد مكاسب الربيع الليبي في المنطقة الشرقية، مهد الانتفاضة، بنشر مناخ من الترهيب، وضرب حرية التعبير ومحاصرة وسائل الإعلام وملاحقة الأصوات المعارضة وسجنها أو قتلها. ومن آخر ضحايا هذه القبضة الفولاذية المحامية والنائبة سهام سرقيوة، التي اختطفها أحد أبناء حفتر ويُرجح أنه اغتالها. وعلى عكس شعارات الحرية والكرامة التي رددها الثوار الليبيون، أفسح حفتر في المجال أمام العناصر السلفية المتشددة، المنتمية إلى تيار رجل الدين السعودي ربيع المدخلي، والذي وضع مبررات للخضوع إلى الحكام، حتى لو كانوا ظلمة، بدعوى «درء الفتن».

وفي المنطقة الغربية، تحول غالبية «الثوار» السابقين إلى أعضاء في كيانات مسلحة استقوت على الدولة بحجم السلاح الذي تملكه، ومصادر التمويل غير الشرعية المتعددة، التي يتصرف فيها أمراؤها. وباتت الحكومة والمجلس الرئاسي يعتمدان على تلك الكيانات من أجل بسط الأمن في العاصمة، وحماية الحكومة نفسها.

معركة الاستفتاء على الدستور الجديد

بهذا المعنى تلاشت أهداف الثورة واضمحلت، مع تنامي سطوة الميليشيات، على قوى المجتمع المدني، التي كانت تحمل لواء التغيير الجذري. ويجوز القول إن عسكرة الحياة اليومية باستحواذ الجماعات المسلحة على مصادر نفوذ متنوعة، حرف انتفاضة شباط/فبراير عن مسارها، ووضع مصيرها بين أيدي قوى الثورة المضادة، شرقا وغربا. وستكون إحدى المعارك الحاسمة في هذا الإطار الاستفتاء المرتقب على مشروع الدستور، والذي سيسبق إجراء الانتخابات العامة، المقررة للرابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر المقبل. والمأمول أن يبتُّ المشروع فسحة الحريات الفردية والعامة التي ستتاح للأفراد والأحزاب والنقابات، وأن يُحدد نوعية النظام السياسي الذي سيُعتمد في المستقبل.

لكن مناقشة مشروع دستور والاستفتاء عليه لا يمكن أن يتما بشكل طبيعي في ظل وجود قوات أجنبية وميليشيات مسلحة في كافة أنحاء البلد. وهذا هو معنى الدعوة الأمريكية الملحة، لمغادرة القوات النظامية والميليشيات الأجنبية الأراضي الليبية، إلى جانب حظر إرسال الأسلحة إليها، وهما أمران صعبا التحقيق في مناخ يغلب عليه منطق القوة لا منطق الحق.

ومن الخطوات المهمة التي يمكن أن تُعيد إحياء أهداف الثورة سن قوانين تحظر التداخلات الأجنبية في الانتخابات، وتُعاقب من يعتمد على التمويلات الخارجية، وتضع على السكة بناء مؤسستين عسكرية وأمنية حديثتين. وقد باشرت الحكومة الحالية بإيجاد نواة للجيش النظامي المرتقب، بالاتفاق مع دول حليفة على إقامة دورات تكوينية لطلائع الجيش الليبي الجديد، الذي يُؤمل الليبيون أن يكون مختلفا عن جيشي القذافي وحفتر.

اليمن: الثورة نجحت في إسقاط سلطة صالح وفشلت في إنهاء نظامه

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

«الشعب يريد إسقاط النظام» بهذه العبارة انطلقت حناجر الشباب العاطش للتغيير في 11 شباط (فبراير) من العام 2011 في شوارع العاصمة صنعاء وغيرها من المدن اليمنية، والتي ما زالت محفورة في الذاكرة، وهي الصورة الذهنية التي تبقت من مآثر الثورة الشعبية اليمنية، ضد نظام الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، والتي قادت إلى تغيير صالح، لكنها لم تنجح في تغيير نظامه.

مثّلت الثورة الشعبية في اليمن طموح شريحة واسعة من الشعب، ما عدى أتباع نظام الراحل علي صالح، وكان الأمل معقود فيها من حيث الانتقال من حكم العسكر السلطوي الفاسد، إلى حكم الشعب المدني الشفاف والنزيه، ولكن هذا الطموح سرعان ما تبدد إثر التدخلات الإقليمية والدولية، التي بدت في ظاهرها من أجل الحفاظ على مسار الثورة، لكن أهدافها البعيدة كانت لوأد الثورة ونسفها من الأعماق حتى لا تقوم للقائمين عليها قائمة في المستقبل.

وكانت في مقدمة تلك التدخلات، المبادرة الخليجية التي تبنتها المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي، والتي تدخلت تحت مبرر الاسهام في حل الأزمة اليمنية كدول جوار، لضمان انتقال السلطة سلميا من الرئيس صالح إلى نائبه عبدربه منصور هادي، وظهرت أبعادها ومخاطرها لاحقا، حيث تحكمت الدول الخليجية وحلفاؤها الغربيون بالمشهد اليمني برمته وأصبحت السلطة التي جاءت بها الثورة في صنعاء أداة طيّعة بيد تلك القوى لتحقيق مشاريعها التدميرية في اليمن.

كانت المؤشرات الأولية في عام الثورة تعطي انطباعا ايجابيا بأن الدول الغربية تقف إلى جانب الثورة الشعبية في اليمن، من منطلق دعم المسار الديمقراطي في البلاد، الذي تدعوا اليه تلك الدول وتعتبره من قيمها السياسية والحضارية التي تسعى إلى تحقيقها في الدول النامية، غير أن تلك المؤشرات تحولت لاحقا إلى النقيض، عبر دعم مسار المبادرة الخليجية وتأييد سياسة الدول القمعية التي تبنتها وتبنت الثورات المضادة للربيع العربي، وكانت سببا أساسيا في قمع الثورة اليمنية ووأدها في مهدها.

وعلى الرغم من تيسير دول المبادرة الخليجية لعملية نقل السلطة من علي صالح إلى نائبه هادي، إلا أن الأيام كشفت فيما بعد أن هذه المبادرة لم تكن سوى (وسيلة شيطانية) على حسب تعبير بعض الساسة، لتهدئة غضب الشارع اليمني من أجل وقف انتقال العدوى الثورية إلى الجارة السعودية وما وراءها من دول الخليج، والتي قامت تلك الدول بعدها بالعمل التدريجي ليس فقط لوأد الثورة ولكن أيضا لتدمير البلد برمته، عبر هذه الحرب الطاحنة، المشتعلة منذ أكثر من ست سنوات.

وكشفت العديد من الدلائل والمعطيات أن جماعة الحوثي التي اجتاحت العاصمة صنعاء بعد نحو سنتين ونصف من الإطاحة بالرئيس صالح وسيطرتها على مؤسسات الدولة فيها في غضون ساعات بدون تدخل قوات الجيش أو الأمن، لم تكن جماعة ذات قدرة عسكرية أو بشرية أو مالية حتى تنجح في ذلك، بقدر ما كانت أداة تنفيذية بيد المحركين الإقليميين والدوليين للوضع في اليمن، وفي مقدمتهم السعودية والإمارات والولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا، التي سهلت لجماعة الحوثي الوصول إلى صنعاء عبر بقايا جيش المخلوع صالح، بهدف قمع التحوّلات الجديدة التي أفرزتها الثورة الشعبية، بمبرر سيطرة الاسلاميين عليها، بينما واقع الحال بعيد عن ذلك.

العوامل المحلية والإقليمية والدولية

وإجمالا شهدت الثورة الشعبية اليمنية موجة من النجاح وموجات من الاخفاق، بفعل العوامل المحلية والإقليمية والدولية، التي جاءت جميعها ليست لصالح الثورة، وتوحدت في مجملها ضد أهدافها، عبر مصالح متشابكة وتخادمات ثنائية، بين القوى المحلية والإقليمية والدولية.

الباحث السياسي اليمني نبيل البكيري قال لـ«القدس العربي» إن «اليمن سجّل واحدة من أنصع الثورات الشعبية السلمية والمدنية في شعب قبلي مسلح، ولكن هذه الثورة الجميلة التي رسمت صورة عظيمة عن أروع صور الكفاح السلمي المدني في مجتمع قبلي ذكوري مسلح، تم إجهاضها قبل أن تتمكن من التحول نحو الانتقال السياسي الديمقراطي وتم وأدها سريعا، بتكالب قوى الداخل والخارج المعارضة لأي تجربة عربية ديمقراطية».

وأضاف «رأينا كيف وقف الجميع ضدا للثورة اليمنية ككل الثورات العربية، فتحالفت الأقليات الطائفية مع دول الثورات المضادة العائلية في الخليج لوأد هذه الثورة التي صبت في مصلحة قوى الأقليات الطائفية المدعومة إيرانيا».

وأوضح البكيري ان «حالة الحرب الدائرة اليوم في اليمن هي نتيجة طبيعية لإجهاض الثورة السلمية المدنية، وبالتالي فهذه الحرب التي أحرقت الأخضر واليابس ما كان لها أن تنفجر لولا التحالف غير المعلن بين قوى الثورات المضادة محليا وإقليميا وخارجيا، وهو ما يتطلب إعادة قراءة المشهد من جديد ورسم خريطة جديدة تقف على عوامل الإعاقة وكيف يمكن تجاوزها وخلق معادلة سياسية جديدة ترتكز على إسقاط الإنقلاب أولا وإعادة بناء خريطة تحالفات وطنية جديدة لاستعادة الدولة وبنائها من جديد».

إلى ذلك قال الكاتب السياسي ياسين التميمي لـ«القدس العربي» إن «الثورة الشبابية الشعبية السلمية في اليمن حققت مثلها مثل معظم ثورات الربيع العربي، الأهداف الحيوية المتمثلة في إسقاط الأنظمة وتأسيس مسارات سياسية جديدة للتغيير، تقوم على مبدأ الديمقراطية والشراكة الوطنية، وتعلي من أهمية الأدوار السياسية للأحزاب والكيانات المدنية».

وأوضح أن الذي حدث هو ان ثورة الحادي عشر من شباط (فبراير) اليمنية 2011 واجهت مؤامرة خارجية مثلتها الثورة المضادة التي تتخذ من أبو ظبي مقرا لها. وقال «اختارت الأنظمة القمعية طريقا مكلفا لحماية نفسها ينتهي إلى تدمير بلدان الربيع العربي، ليبدو الربيع مكلفا ونذير شؤم للشعوب التي ثارت ودرسا قاسيا يمنعها من العودة إلى ذات الطريق».

واستدرك التميمي بقوله «لكن الربيع العربي شق خط التغيير ودفعت الشعوب كلفا كبيرة بحيث لا تستطيع ان تتحمل عودة الأنظمة القمعية وفسادها وانحطاطها». موضحا أن «هناك حالة جديدة من المواجهة في سياق الثورة تجري في جبهات القتال ومن خلال المشاريع السياسية التي تتفاعل في أوساط النخب السياسية داخل اليمن وخارجها وكلها تقريبا تتأسس على ثورة شباط (فبراير) ومخرجاتها وتستهدف المواجهة مع التركة السيئة لنظام المخلوع صالح ومع ميليشيا الحوثي المسلحة التي جلبها إلى المشهد السياسي لتكشف عن مشروعها السياسي الطائفي المرتبط بإيران».

من جانبه قال أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة صنعاء الدكتور عبدالباقي شمسان لـ«القدس العربي» إن أسباب اندلاع ثورات الربيع العربي عموما واليمن خصوصا راجعة إلى الأزمة الحادة التي كانت سائدة في المشاركة السياسية واحتكار السلطة لصناعة القرار وتفشّي ظاهرة الفساد، وهيمنة المؤسسة العسكرية لعقود طويلة على السلطة، واحتكار الحكم بأثواب متعددة، وتم خلالها إضعاف الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني من أداء دورها في المجتمع.

وأوضح شمسان أن «إسقاط رأس النظام كان أقصى طموح للشباب الثائر، ولكن لم يكن لديهم برامج ورؤية سياسية واضحة للحكم، فقد كانوا قوة احتجاج وليس قوة اقتراح، بمعنى أنهم لم يكونوا يملكوا مشاريع سياسية لما بعد الثورة». مشيرا إلى ان الأحزاب السياسية العتيقة ركبت موجة الثورة وصادرت طموحات الشباب الثائر وسارت بها بعيدا عن تطلعاتهم.

وأضاف ان الدول الإقليمية وفي مقدمتها السعودية تدخلت في اليمن من خلال المبادرة الخليجية بشأن انتقال السلطة من علي صالح إلى نائبه عبدربه منصور هادي، والتي استخدمتها الرياض تدريجيا لوأد الثورة الشعبية في اليمن، عبر الابقاء على نصف السلطة لعلي صالح ومنحه الحصانة، وأخيرا وأد ما تبقى من السلطة عبر اتفاق الرياض. مشيرا إلى أن هذا التوجه السعودي صادف هوى لدى الدول الغربية في قمع التحولات التي جاءت بها ثورات الربيع العربي ومنها اليمن، إثر هيمنة الاسلاميين على تلك التحولات.

صورة ارشيفية من ثورة اليمن

وأوضح أن التحولات الاجتماعية لا تتم مرة واحدة، وأن ما حدث في المنطقة سيستمر طويلا، وان كان هناك دولا تقليدية لم تشهد تحولات سيتم اخفاتها بنماذج دول الربيع العربي التي حاولت التغيير وإلى أين وصلت، لاقناع تلك الشعوب هناك بأن وضعهم يعد الأفضل، ولكن الوضع في اليمن أو في غيره من دول الربيع العربي قد انطلق ولن يتوقف قطار التغيير، بل سيقود المنطقة حتى في تلك البلدان التقليدية إلى مزيد من انتشار التحولات السياسية.

وذكر أن الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى انفجار ثورات الربيع العربي ما زالت قائمة وأن التحولات التي شهدتها هذه الدول لم تلب طموحات شعوبها حتى الآن، وبالتالي قد تشهد المنطقة موجة ثانية وثالثة من التحولات لتحقيق التطلعات الشعبية التي اندلعت من أجلها ثورات الربيع العربي التي دفعت الشعوب ثمنا باهضا من أجل تحقيق أهدافها.

عشرة أعوام على البركان العربي: عمل غير منجز كشف هشاشة النظام الديكتاتوري وضعف نظام ما بعد الاستعمار

إبراهيم درويش

مرت عشرة أعوام على انطلاقة ما عرف بالربيع العربي الذي جدد الآمال بعالم عربي وشرق أوسط جديد غير الذي تخيلته الولايات المتحدة وإسرائيل، وحاول الرئيس الإسرائيلي السابق شمعون بيريز رسم ملامحه في كتاب شهير، أي عالم عربي تتسيده الولايات المتحدة ووكيلتها إسرائيل بالمنطقة. ومن صور الفوران الشعبي والتغطية الحية من ميدان التحرير في القاهرة وقبلها تظاهرات شارع بورقيبة في تونس التي كانت تتويجا لمسيرة احتجاج على حرق الشاب محمد بوعزيزي بسبب إهانة كرامته وحرمانه من قوت عيشه، ظن الكثيرون أن أملا جديدا ولد ومعه عالم عربي محمل بالوعود والإمكانيات.

ولم تمض سنة إلا وتحولت صرخات «خبز، حرية، عدالة اجتماعية» إلى حطام وشتاء عربي قاس. فالثورات أسقطت أربعة ديكتاتوريين تسيدوا الرواية في أوطانهم لأكثر من قرن بينهم إن جمعنا عدد السنوات التي حكموا فيها بلدانا عربية مهمة. وولدت أجيال عربية لم تعرف من العالم إلا رئيسا واحدا ظل يجدل لها التاريخ وينسج لها الرواية بناء على هواه وهوى من معه.

وقد كتب الكثير عن الحلم العربي الضائع الذي بدأ في كانون الثاني/يناير 2011 بهروب زين العابدين بن علي من تونس، والهزات التي تبعت ذلك من سقوط حسني مبارك في مصر ومعمر القذافي في ليبيا وعلي عبد الله صالح في اليمن، فيما قرر بشار الأسد في سوريا سحق الثورة تحت جنازير الدبابة معتمدا على حلفائه في موسكو وطهران، أما حاكم البحرين فقد استعان بقوات من الخارج لسحق ثورة ميدان اللؤلؤة بالمنامة. وتمت استعادة الفصل المحزن في الكثير من التقارير والتحليلات التي قدمتها الصحف الأجنبية. وزار مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» (2021/1/23) ميدان التحرير الذي فقد أصواته وتغيرت صورته وقال إن عبد الفتاح السيسي الذي لولا ثورة 25 يناير لم يكن أحد ليعرفه، تحرك سريعا لمحو ذاكرة الميدان وآثار الثورة. بل ويريد نقل العاصمة إلى أخرى في الصحراء، وما سيتبقى من ميدان التحرير أشباحه وساحة يتخذها المصممون كنقطة للتحدي. وكتب مارتن شولوف في «الغارديان» (2021/1/25) أن مركز الثورة بات اليوم مكانا مختلفا وكذا البلد، فقد تم تغيير صورة الميدان بمسلته الفرعونية المتجهة للسماء مذكرة باليقين الثابت. وتتحرك السيارات في الميدان بهدوء بعد خلوه من المحتجين، وأي محاولة لإثارة أشباح ميدان التحرير يتم قمعها بالقوة لدولة عسكرية حصنت نفسها في أعقاب الثورة.

لا تتعجلوا في الحكم

وهناك دراسات كثيرة حول الأسباب التي أنهت الحلم: عدم التنظيم والقيادة للمتظاهرين، النزاع بين التيارات الإسلامية والليبرالية، الجيش والدولة العميقة التي انتعشت بدعم الثورات المضادة التي مولتها دول الخليج، خاصة السعودية والإمارات وما إلى ذلك.

ومع ذلك ظل الحلم العربي الجديد عملا غير منجز وقابلا للتخلق من جديد كما شاهدنا في عام 2019 عندما أسقطت التظاهرات حاكم السودان، عمر البشير والجزائر، عبد العزيز بوتفليقة، وحكومتي العراق ولبنان. وهو ما يعطي فكرة أن التعجل في الحكم على الانتفاضات والثورات الشعبية يقود أحيانا إلى نتائج غير صحيحة. فقد سئل رئيس الوزراء الصيني تشوان لاي في عام 1972 عن تأثير الثورة الفرنسية فأجاب «من الباكر الحديث عنها» وكان يقصد ثورة الطلاب الفرنسيين عام 1968 مما يذكرنا أن الأحداث العالمية العظمى تبدو مختلفة عن المنظور الوقتي.

والثورات العربية تذكرنا باستثنائيتها، وبعد عقد من انتفاضة المنطقة ضد الطغيان، تبدو الديكتاتورية أقوى من أي وقت مضى، وقد استنفذت السكان وصدمتهم. ومصر اليوم كما نقول صحيفة «الغارديان» (2021/1/29) تعيش مخاض أسوأ أزمة حقوق إنسان في تاريخها وقد تعمق الفقر وعاث فيروس كورونا الفساد في البلاد، رغم ما يدعيه الرئيس عبد الفتاح السيسي. والأكثر رعبا هو عدد القتلى الذين سقطوا في العالم العربي منذ اندلاع بركان الفورة الحماسية والملايين الذين تشردوا وهاجروا من بلدانهم التي مزقتها الحروب الأهلية. فقد حول بشار الأسد سوريا إلى مسلخ وانتعش ونما تنظيم الدولة الإسلامية الذي أعمل آلة القتل وسط الفوضى في العراق وسوريا وليبيا. وبعد عقد على رحيل القذافي لا تزال المعركة في ليبيا مستمرة، أما اليمن فقد تحولت الحرب الأهلية إلى حروب أهلية ونزاع بالوكالة. ولعب الربيع العربي دورا أبعد من المنطقة، وربما كان له أثر كما تقول «الغارديان» على قرار حكومة بيجين قمع المسلمين في إقليم تشنجيانغ وتغيير هويتهم. وأثر على النزاعات الشعبوية في أوروبا التي بدأت تلوح بخطر الإسلام والمهاجرين للتحكم بالمسلمين في أوروبا. والحالة الفرنسية ومحاولات إيمانويل ماكرون ضد ما أسماها «الإنعزالية الإسلامية» دليل واضح.

ومهما قيل عن طبيعة الثورات الشعبية العربية من غياب التنظيم وضعف القيادة وخلاف الأيديولوجيا فاللوم لا يقع في النهاية على الذين حلموا بغد عربي جميل، بل وعلى الحكام الذي قرروا سحقهم والقوى الأجنبية التي أدى تدخلها لزيادة الأوضاع سوءا. وانتهزت تركيا وروسيا والإمارات العربية المتحدة والسعودية الفرصة لتقوية تأثيرها، مما حول سكان المنطقة إلى قطع شطرنج في لعبة جيوسياسية.

وفي نهاية العام الماضي أجرت صحيفة «الغارديان» استطلاعا بين سكان دول عربية ووجد أن الربيع العربي زاد من مستويات الظلم الاجتماعي، لكن المشاركين في الثورات خارج الدول التي لم تنزلق إلى الحروب، لم يندموا على الاحتجاجات. وأكدت الثورات العربية أن بنى السلطة التي ورثتها الدول من الاستعمار لم تعد قادرة على مواجهة الانفجارات السكانية والمجتمعات الشابة التي بات تشعر بالاختناق من سيطرة نخبة فاسدة على الحكم وتبحث عن فرصة لها. مما أكد مرة ثانية كذب أسطورة أن الطغيان هو أساس للاستقرار وان المجتمعات العربية لا تصلح للديمقراطية. وهي مقولة صدقتها الدول الغربية وواصلت دعم نفس الأنظمة التي قتلت شعوبها وملأت السجون بعشرات الآلاف من دعاة الحرية أيا كانت هويتهم، إسلامية، علمانية، صحافيين ودعاة حقوق إنسان. وظل دونالد ترامب يتغزل بالسيسي «ديكتاتوري المفضل» ويدافع عن محمد بن سلمان ويؤكد أنه حماه بعد جريمة مقتل الصحافي جمال خاشقجي. ورفض ماكرون الربط بين صفقات السلاح وحقوق الإنسان في مصر. وبالغ في تكريم الديكتاتور الذي ارتكب أكبر مجزرة في تاريخ مصر الحديث بأعلى وسام للجمهورية الفرنسية.

هشاشة الديكتاتورية

نعرف إذا أن التاريخ لم يقل قولته في الربيع العربي بعد، لأن الصيرورة مستمرة، ولكن الدروس التي تعلمها الثوريون العرب عدم تكرار أخطاء الماضي. أما الطغاة فقد كان الدرس هو استمرار القمع ومنع أي صوت يطالب بالحرية. وكما قال الباحث تيموتي كالداس في «بلومبيرغ» (2021/1/27) فالديكتاتورية في العالم العربي قامت بتحصين نفسها في وقت واجهت فيه أنظمة الفشل أو الحرب الأهلية وانهارت اقتصاديات ونزح الملايين وفي عدد من الأطراف تتواصل النزاعات العنيفة أو تغذت نتيجة التدخل الخارجي الذي تتنافس فيه الدول الديكتاتورية. وأشار إلى أسطورة عدم صلاحية العرب للديمقراطية التي يروجها الديكتاتوريون ويصدقها الغرب دونما اهتمام بما يقال عن قمع للحرية وانتهاكات حقوق الإنسان. لكن العكس هو الصحيح، ذلك أن الطريقة الفوضوية وغير المتوقعة وغير المتكافئة التي تعاملت فيها الأنظمة مع الثورات وأدت لانهيارها مع المجتمعات التي حكمتها كشفت عن هشاشتها. مما يؤكد أنها مصدر للعنف والاضطراب وليس الاستقرار. ومن هنا فعودة الأنظمة الديكتاتورية يعني أنها قابلة للانهيار تحت وطأة العنف والاضطراب، خاصة عندما تحاول منع التحول الديمقراطي واللجوء للقوة المفرطة، كما فعل الأسد في سوريا. ولأن الحاكم الديكتاتوري يحاول بناء دولة ضعيفة ليبرر بقاءه فانهياره يعني ترك دولة فاشلة كما في ليبيا واليمن. أما في مصر فقد أعادت النخبة تجميع نفسها أثناء عملية الانتقال من الديكتاتورية وجيشت الرأي العام وشنت انقلابا عام 2013 ضد أول رئيس انتخب ديمقراطيا. واستطاعت النخبة هذه الحصول على دعم من ملكيات الخليج التي شعرت بالقلق من انتشار الثورات في كل أنحاء المنطقة. إلا أن الديكتاتور يظل هشا ويخشى من أي حركة، كما فعل السيسي مع دعوة مقاول مصري سابق في أيلول/سبتمبر 2019 للتظاهر وبدأ بنشر أشرطة فيديو على صفحته في فيسبوك من منفاه الاختياري في إسبانيا متهما السيسي والمقربين منه بتبذير أموال الدولة على بناء قصور وفنادق لأنفسهم. ولم يستجب لدعوته في 19 أيلول/سبتمبر 2019 إلا عدة آلاف، لكنه كان كافيا لإثارة غضب الحكومة وبيانات من الرئاسة والبرلمان ووزارة الدفاع. وفي البداية أصر السيسي أن القصور هي جزء من الدولة الجديدة التي يقوم ببنائها. وبعد الاحتجاجات أصدر تصريحات تصالحية ووعد بإضافة أعداد جديدة من المصريين للدعم الحكومي. وفي نفس الوقت قامت الحكومة باعتقال الآلاف خشية أن تتوسع التظاهرات على طريقة 2011. كل هذا ردا على أشرطة فيديو نشرت على صفحة فيسبوك وآلاف من المتظاهرين الذين خرجوا في أنحاء من بلد يصل تعداده 100 مليون نسمة. ورد الحكومة لم تدفعه مصلحة الحفاظ على الاستقرار بقدر الخوف، ومعرفة أن الحكام الديكتاتوريين يسقطون سريعا. فالمظالم التي أخرجت المصريين إلى الشوارع عام 2011 و2019 يشترك فيها سكان المنطقة. ومن هنا فرفض الكثير من الأنظمة التخلي عن نماذج الحكم الديكتاتوري المترافق مع زيادة المتاعب الاقتصادية يعني دائما نهاية أخرى لديكتاتوري هش آخر في قابل السنين. ومصر مثال على هذا.

إلى متى سيظل يحارب شعبه

وفي هذا السياق تساءل الحقوقي عبد الرحمن منصور في مقال بمجلة «فورين بوليسي» (2021/1/27) عن حالة القمع في مصر ووصم كل معارض للنظام بالإرهابي. وقال إن السيسي يستطيع في الوقت الحاضر الاستفادة من موقع مصر في الشرق الأوسط – وكذلك المخاوف العالمية من الاضطرابات السياسية في المنطقة – لترسيخ دولته البوليسية. ومن شبه المؤكد أن تؤدي المزيد من الأزمات في الشرق الأوسط إلى اشتعال أزمة لاجئين أخرى في أوروبا، والتي يحرص قادة الاتحاد الأوروبي على تجنبها بأي ثمن تقريبا. ومن المفارقات أن سياسات السيسي قد تتسبب في حد ذاتها بإحداث مثل هذه الاضطرابات السياسية. نظرا لأن الرئيس يمنع أي نشاط سياسي حقيقي ويغلق المؤسسات الحقوقية ويقضي على المعارضين السياسيين. والأصوات الوحيدة التي تم قمعها هي أصوات المعارضة السلمية، وتلك الأصوات هي التي تمنح المصريين العاديين المحبطين الأمل في مستقبل ديمقراطي تسود فيه العدالة وحكم القانون. وأضاف أن استهداف المعارضين والناشطين يشوه محاولات الحكومة أن تؤخذ على محمل الجد في صراعها ضد التهديدات الحقيقية في منطقة لا تزال مضطربة بشدة – على الرغم من إظهار السيسي للقوة. وسيرفض المصريون العاديون الإجراءات الأمنية للحكومة، وستتعامل أجهزة الأمن الدولية باستخفاف مع قوائم الإرهابيين التي تنشرها القاهرة. إنها مسألة وقت فقط.

الإرث الأوروبي

لا يكفي القول أن الغرب خاصة الولايات المتحدة خيبت آمال دعاة الديمقراطية في العالم العربي، وتخلت عنهم خاصة عندما راقبت إدارة باراك أوباما السيسي وهو يقتل المعتصمين في ساحة رابعة ويعتقل المحتجين السلميين، ورفضت إدارته تصنيف الحركة التي قام بها الجيش ضد الرئيس المنتخب محمد مرسي بالانقلاب، بل وعلينا النظر أبعد إلى بنية النظام السياسي الذي حاول الثوريون تفكيكه والذي يرى آتش إي هيلر في مجلة «بوليتكو» (2021/1/25) بأنه أوروبي، وصمم أثناء الاستعمار لسيادة نخبة أوروبية على شعوب مستضعفة. وظل النظام كما هو بعد رحيل المستعمرين. بالإضافة لهذا فالأنظمة الأوروبية هذه لم تصمم إلا لحكم قطاع سكاني محدود ولم يأخذ بعين الاعتبار النمو السكاني المتزايد وبشكل قوي، خاصة خلال العشرين عاما الماضية. ولأن الأنظمة الاستعمارية هذه صممت من أجل تركيز الثروة في يد طبقة معينة، فقد أدت إلى ثرائها وفقر الغالبية. ونتيجة لعدم المساواة والقمع باسم محاربة الإرهاب الذي تبنته الأنظمة الديكتاتورية فقد بدأت المجتمعات بالضغط من أجل التغيير. وكان لهذه الأنظمة أن تسجل تاريخا لو استجابت ولو بقدر قليل للمطالب الشعبية، لكن قادتها قرروا السير في طريق آخر. وبناء عليه علينا ألا نلوم الثوريين على النتائج والاضطرابات اللاحقة، لأنهم لم يكونوا في موقع المسؤولية. ففي أنظمة ما بعد الاستعمار لم يكن أمام الديكتاتوريين إلا خيارين، الأول وهو التحول البطيء والبدء بمهمة بناء دولة مستقرة قادرة على البقاء في القرن الحادي والعشرين. أما الخيار الثاني فهو عدم التغير خوفا من مطالب الغالبية المتزايدة حصة كبيرة من الكعكة وبالتالي مواصلة القمع. والمشكلة أن هذا الخيار يؤجل المحتوم لكنه لا يوقفه. وفي غياب نظام دولي يحترم القانون ولا يكون دوله انتقائية فيما تريد دعمه من قوانين، تظل شعوب المنطقة موزعة بين قوى عالمية وإقليمية تتصارع على الإرادات الشعبية. وكما يحدث الآن فهناك صراع بين إيران والمحور الذي تمثله إسرائيل والدول التي طبعت. وصراع ثان بين الدول التي تريد الحفاظ على الوضع الراهن وشيطنة الإسلام السياسي وتلك الرافضة لهذا المحور. في النهاية انتهت التجمعات في الميادين وأمن الديكتاتوريون أنفسهم وهيمنت إسرائيل، وحققت شرقا أوسطا تخيله بيريز لكنها لم تقض بعد على الفوران الذي نراه مرة أخرى في تونس ولبنان، وبل وشاهدنه ينطلق ضد ديكتاتور روسيا وسط الصقيع. فإسرائيل لم تتصالح إلا مع أنظمة خائفة تخشى من خسارة الدعم الأمريكي لا مع الشعوب.

حوار

الباحث التونسي الدكتور حمادي الرديسي: الدولة الوطنية أتت بالاستقلال لكنها كانت كارثة على الأقليات

حاوره: رشيد خشانة

اعتبر الباحث التونسي الدكتور حمادي الرديسي أن العرب يقفون اليوم مع الدولة الوطنية، لأنها هي التي قاومت الاستعمار وأتت بالاستقلال، لكنها كانت كارثة على الأقليات وعلى التعدد الاثني واللغوي والعرقي في العالم العربي. وشدد الرديسي الذي ألف عدة كتب فلسفية، على أنه لا مجال لإصلاح الدين إلا من داخل المنظومة الدينية، مثلما انتهى إلى ذلك الإمام محمد عبده. ورأى أننا لم نعرف الإصلاح الديني بل عرفنا إصلاحا سياسيا قاده مصلحون سياسيون، منذ القرن الماضي. ومن الكتب التي أصدرها الرديسي «الاستثناء الإسلامي» و«الإسلام المتردد» ترجمة السيد العلاني، دار الجمل 2019 وقد تحصل الكتاب على جائزة الكتاب الفلسفي اليرياح بفرنسا (2017) وجائزة الكتاب التونسي (2018). وأحدثُ مؤلفاته كتاب «ابتكار الحداثات في الإسلام» ترجمة السيد العلاني، وهو في طور الإصدار. كان لنا معه هذا الحوار وهنا نصه:

○ طغى الإعجاب والانبهار على موقف المصلحين العرب لدى الاتصال بالحضارة الغربية، وكانت القضية المركزية لزعماء النهضة هي كيف «نلتحق بقطار الحداثة» مع المحافظة على خصوصية هويتنا، ألا ترى أننا لم نغادر هذه الاشكالية إلى اليوم؟

● ما حدث في القرن التاسع عشر في العالم العربي قلب تماما ابستيميا وفكريا كل معطيات العالم الإسلامي والإسلام عامة منذ العصر الوسيط، لأن أهم علاقة قامت بين الطرفين هي علاقة مزدوجة، فهناك من جانب إعجاب بالمهيمن، ومن الجانب الثاني هناك ظلم وهيمنة يمارسهما الغرب، فلأول مرة هناك إعجاب، وربما نفسر ذلك بمقولة ابن خلدون التي مفادها أن المغلوب يُقلد الغالب. وهذا الإعجاب انبنى على الشعور بقوة الغرب وهيبته، عندما نزل نابليون في مصر في 1798 فكتاب عبد الرحمن الجبرتي «عيون الآثار» خصص حوالي 150 صفحة لحملة نابليون، فقام بوصفها وصف المُعجبين.

دعني أنظر في أبعاد هذا الإعجاب، فهناك دولة عربية إسلامية تتعرض للغزو لأول مرة منذ حملة هولاكو، لكن هولاكو كان همجيا بينما نابليون لم يكن كذلك. هولاكو لم يكن أرقى من العرب علميا وفكريا، بينما كان نابليون أرقى بكثير، والدليل أنه أقام في مصر «المجمع العلمي» أثناء الحملة. وقد دخل الجبرتي إلى ذلك الفضاء وانبهر بأشياء عجيبة وصفها في كتابه وأثرت فيه. من هنا أتى الإعجاب بالغرب، فقد وجد هناك براءات اختراع ومخطوطات يحتوي بعضها على صور منها صورة النبي.

○ هل هي كتب غربية؟

● لا، شرقية، فكتب الأدب الهامة أصبحت مصورة منذ القرنين الحادي عشر والثاني العاشر حيث تُصاحب النص صور مصغرة مرسومة في الكتاب، وتحتل عادة نصف أوربع الصفحة (أولها كليلة ودمنة) وكانت بعض الكتب المصورة الأدبية منذ القرن الثالث عشر تبدأ بمدح محمد وتضع صورته. كان أول هذه الكتب قصة حب فارسية «فرقا وقلشاه» في بداية القرن الثالث عشر ثم «كتاب مرزبان نامه» المنشور في 1290 ميلادية. فصورة الرسول ظهرت في العديد من الكتب بين القرن الثالث والقرن السابع عشر الميلاديين، وقد تكون الصورة التي تحدث عنها الجبرتي مأخوذة من «السيرة النبوية» المصورة في القرن السادس بأكثر من ثماني مئة صورة (بدليل وجود نسخة منها في المكتبة الوطنية الفرنسية) وربما هي مستخرجة من «جوامع التواريخ» للوزير رشيد الدين سنة 1307 (وهو يهودي أسلم أيام المغول) وكان وزيرا للمغولي غزان خان من سلالة هولاكو.

○ نعود إلى الجبرتي، ماذا ترتب على ذلك الإعجاب؟

● شاهد الجبرتي هذه الكتب العربية القديمة المصورة، كما تابع أبحاث علماء في الكيمياء كانوا يقومون بتجارب علمية، فاندهش وكان هذا الإعجاب الكبير بالغرب، من حيث قدرته على امتلاك وسائل الحداثة، لا يتعلق بالتفوق المادي فقط، وإنما هو أيضا تفوق علمي. استمر هذا الإعجاب إلى أواخر القرن التاسع عشر، واتخذ مظاهر عديدة. وانتقلنا بعد ذلك إلى نوع آخر من العلاقة، أصبح الغرب معه مبتذلا، فما يقوله أو يفعله ليس بالغريب ولا بالعجيب. ونتذكر أنه بداية من القرن التاسع عشر كانت هناك فتاوى عن الشيكولاته (في تونس مثلا)، وأخرى عن استخدام البارود في الصيد من عدمه، أو حول ركوب القطار، وكذلك فتاوى محمد عبده حول ما إذا كان يحق لنا تناول أطعمة غير المسلمين أم لا، وارتداء البرنيطة (الطربوش).

فهناك إذا إعجابٌ بالغرب من ناحية تبني الأفكار وتبني التقنية في الوقت نفسه. وفي هذه العلاقة المزدوجة تبين أن الإنبهار لم يكن يقتصر على التقنية فقط، مثلما يعتقد البعض، وإلا لما كان لدينا كتاب مثل «تخليص الإبريز في تلخيص باريس» لرفاعة الطهطاوي، أو «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» لخير الدين التونسي. هذان الكتابان وغيرهما يتضمنان إعجابا بالقيم والمؤسسات الغربية، ومن تلك القيم الحرية التي اهتم بها الطهطاوي (1834) ثم نجدها في سائر كتب المصلحين، وخاصة الرحالة العرب. من هنا نرى ملامح من الموقف السائد في عصرنا الراهن، فالغرب أصبح لا يبهرنا بل كل ما يُحدثه من جديد هو سذاجة، لأنه صار مألوفا ومبتذلا. ومن المظاهر البارزة لهذا الموقف تعاطينا اليوم مع إنترنت وفيسبوك، فهذه العلاقة ليست مشابهة لموقف الطهطاوي أو خير الدين أو الجبرتي، بما حققه الغرب آنذاك من تقدم حضاري.

من الانبهار إلى الابتذال

هذه النقلة من الانبهار إلى الابتذال كانت لها نتائج هامة فالابتذال جعل علاقة العرب بالغرب أقل توترا، لكنه لم يسمح لهم من جهة أخرى، بفهم أسباب الإبداعات الجديدة لأنها باتت في متناول الجميع، فحتى النظرية السلفية تقول إن تلك الإنجـازات الغربية سخرها الله لنا، فما يصنعون وما يُبدعون وما يخترعون هو نوع من التسخير في صالحنا، نقوم نحن باستهلاكه. هكذا انتقلنا من محاولة فهم لغز الغرب إلى التعاطي معه استهلاكيا، ففي القرن العشرين كتب شكيب أرسلان في 1930: «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟» فهل يوجد اليوم كتاب من هذا القبيل؟ صحيح أن أحد الباحثين التونسيين (علي المحجوبي) كتب مقارنة بين العرب واليابان في هذا الصدد. لكن لا ننسى أن اليابانيين كانوا يعتبرون الغرب متوحشا، ولما ألفوا كتبا في باب أدب الرحلات، بعد عودتهم من الغرب، كانوا ينعتون الأوروبيين بالبربارية (الـوحـوش). مع ذلـك انبـهروا هـم أيضا بالغرب، لكن نتيجة تعاطيهم مع الغرب أتت مختلفة، لأنهم وضعوا كل إمكاناتهم الفكرية والسياسية للانتقال من الانبهار إلى التبني، ثم إلى الإبداع، بينما مررنا نحن من الاعجاب إلى الاستهلاك إلى الابتذال، فكل ثلاثية مختلفة عن الأخرى.

○ تقول إننا لا نختار الدخول إلى الحداثة مثلما ندخل في دين من الأديان، بل نحن مجبرون على الإذعان لمقتضياتها، ويمكن أن نسيطر على مفاتيحها حتى نصبح من البائين لتلك الحضارة، مثلما فعل اليابانيون والصينيون، بالرغم من أنهم ليسوا أوروبيين ولا يدينون بالتوحيد، لماذا لم يسر العرب والمسلمون في هذا المسلك، الذي اعتبره زعماء النهضة، ومنهم خير الدين التونسي، أقوم المسالك للحاق بالحداثة؟

● خصصتُ فصلا من كتابي «الاستثناء الإسلامي» لتجربتي اليابان والصين، وقرأت كثيرا عن اليابان خاصة، فماذا تعلمتُ؟ أن الغرب لما دخل إلى اليابان غازيا، في الظروف نفسها تقريبا التي غزا فيها العالم العربي، خرج اليابانيون بشعار عن قواتهم عنوانه «جيش أوروبي وروح يابانية». وقاد البلد في تلك المرحلة الإصلاحيون «الميجي» (1869–1912)، الذين أتوا بعد «الـشـوغـون»، أي الأرستقراطية العسكرية التقليدية، وهم أشبه شيء بالانكشاريين. وفي عصر «الميجي» تم وضع أول دستور في 1889، أي بعد تونس (1861) وبعد تركيا (1875).

لكن الذين حضروا إشهاره لم يفهموا منه شيئا، وهذا ما يُقال أيضا، بنوع من التهكم، عن دستور 1961 في تونس، من أنه كُتب وقُرئ ولم يفهم بنوده أحد من حاشية الحاكم وكبار الموظفين. وبعد ذلك حصل تأليه للإمبراطور الياباني، فصار لا يغادر قصره وإنما تنتقل صورته فقط عبر المدن فيُقبلها الناس ويُعلنون الولاء لصاحبها.

من المجال الخاص إلى المجال العام

وقرأتُ لدى متخصصين في الشأن الياباني أن سر نجاهم ليس أن الحداثة استعمرت المجال الخاص بل على العكس، أي أن القيم انتقلت من المجال الخاص إلى المجال العام، ومن المنزل إلى المجتمع، وهي التي سيطرت في النهاية، وأصبحت تملك نفوذا حتى اليوم.

في اليابان يتصرف رئيس المؤسسة كما لو أنه أبٌ. بتعبير آخر كان هناك تعايش وليس تلفيقا، وذلـك لأن الاقتصاد يُـدار بواسطة مبادئ الأسرة، وهذا لم نقدر عليه نحن.

○ لماذا؟

● لأننا لم نسلك هـذا المسلك، واتجهنا في اتجاهات أخرى، إذ أن البعض اتجه إلى استيراد التقنية بدون الفكر، والبعض الآخر يريد استيراد الفكر بـدون التقنية، وبعض ثالث لفق بين هذا وذاك. وهناك أسباب أخرى عديدة تتعلق مثلا بالعلاقات الدولية، إذ كنا محل هيمنة لم نستطع الفكاك منها، بينما خاض اليابانيون عدة حروب، ونشأت رأس مالية يابانية وصلت، في حدود الثلاثينات من القرن الماضي، إلى منافسة الغرب. وهذا هو سر نجاح اليابان: فعندما يقول شكيب أرسـلان لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ يُقسم النخبة إلى محافظين وإصلاحيين، وهو يسميهم مرة حداثيين، ومرة أخرى مجددين، وثالثة إصلاحيين... وهؤلاء مخطئون لأنهم إما يريدون المحافظة على تراث السلف، أو هم معجبون بالغرب، لذا فالحديث عن نحن والحداثة، والإسلام والحداثة، يقودنا إلى ثنائيات يجب أن نخرج منها لأننا لم نعد في القرن التاسع عشر، ولا في بداية العشرين. العالم حقق قفزات كبيرة، ولدينا جاليات في الغرب تعيش علاقة أخرى غير «الإسلام والغرب».

أنموذج الهند

ماذا صنعت الهند على سبيل المثال، فبحكم وجود أكثر من 300 ديانة، وأكثر من 3000 فئة أو فرقة وعدة لغات واثنيات، فالطريقة الوحيدة لإدارة المجتمع هي القبول بالتعدد، والتخلي عن أي أرثوذكسية هندوسية، مع وجود هرمية اجتماعية بات الجميع يقبل بها، وفي الوقت نفسه، هناك تحديث يُضاهي ما حصل في الصين واليابان. وعلى الصعيد السياسي كانت الديمقرطية أسلوبا لإدارة الخلاف، فما كان للهند أن تبقى قائمة كبلد لولا الديمقراطية والتعددية. وفي كتاب «الجذور الاجتماعية للاستبداد والديمقراطية»(1966) شرح باريتان مور الحالة الهندية، متسائلا: لماذا كل الديمقراطيات ثرية عدا الهند التي بقيت فقيرة؟ ورد: هذا هو الحل الوحيد، وهو أن حجم البلد وعدد السكان يفرضان التعدد في كل المجالات، وإلا تفكك البلد إلى دويلات وإثنيات وطوائف ولقامت حروب أهلية دائمة.

○ لكن المجتمعات العربية عرفت هذا النوع من التعدد، إذ تعايش فيها المسلمون مع الصابئة والأيزيديين والكلدان...

● فعلا فعندما استهدفت «القـاعـدة» الأيزيديين كان ذلك دليلا على أنهم عاشوا في هذه الربوع إلى اليوم، كما عاش الصابئة والشركس وغيرهم، وهـذه معجزة. أعرف أن العرب اليوم مع الدولة الوطنية، لأنها هي التي قاومت الاستعمار وأتت بالاستقلال، لكنها كانت كارثة على التعدد. ولا أتحدث هنا عن الجانب السياسي، لأننا لو نظرنا إلى هذا الجانب لوجدنا، ربما، بعض المبررات للقائلين بأن المجتمع العربي غير ناضج للديمقراطية. ما أقصده هو أن هـذه الدولـة كانت كارثة على الأقليات وعلى التعدد الاثني واللغوي والعرقي.

○ تقصد صدام حسين مثلا؟

● لا صـدام حـاول المحافظة على الدولة الوطنية، غير أن عـلاقـات الدولـة الوطنية العربية مع الأقليات كانت نفعية، وظهر ذلك مثلا في تعاملها مع الأكـراد. ما أقصده هو تعدد اثني وعرقي وتنوع ثقافي ولغوي. كان هذا التعايش قائما في العصر الوسيط، ثم تضعضع، ففي ظل الدولة العباسية ظل التعايش قائما، وكانت الدولة تعددية لأسباب يطول شرحها، لكن مع مجيء الأتـراك سـاد نظام الملة، أي أن لكل ملة نوع من الاستقلالية التنظيمية. وهكذا فإن الدولة الوطنية عندنا لم تذهب في اتجاه اليابان ولا الهند. ماذا تبقى لنا؟ بقي خيار الحـزب الشيوعي الصيني، والشيوعية لا يمكن أن تنجح فـي مجتمع إسلامي. هو بلا شك حلٌ من الحلول وإلا ما الصين لتصل إلى المرتبة الأولى عالميا. والصين دولة امبراطورية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ويحكمها امبراطور، هو ممثل «السماء» على وجه الأرض (والسماء أبدية). وعرفت الصين أربع مئة إمبراطور إلى سنة 1912 سنة الغائها. حتى في الأفلام الصينية يدور الصراع دائما حول كرسي الامبراطور المتألّه. والصينيون غير مؤمنين لأن الكونفشيوسية ليست دينا، بل هي نوع من الحكمة المبنية على الخضوع وأخلاقٍ الوسطية، ومن ثم سهّل غياب الدين زرع الشيوعية في المجتمع.

○ لعب محمد عبده دورا بارزا في جر حركات الإصلاح في مطلع القرن الماضي نحو رؤية تجديدية للإسلام، وللتحديث معا، وكان لمحاضراته في تونس والجزائر العاصمة وقسنطينة صدى مهم، فإلى أي مدى أثر في ظهور مدرسة إصلاحية مغاربية؟

● من المؤكد أن الإصلاحية المغاربية مختلفة عن الإصلاحية المشرقية. زار محمد عبده تونس مرتين وألقى فيها محاضرات، وبعد الرحلة الثانية (1903) اتجه إلى الجزائر، وعاد من هناك إلى مصر عبر إيطاليا، ومحاضرته موثقة، وهـو عضو تجمعي قـام به الراحل الدكتور منصف الشنوفي. وأورد الشنوفي ما قاله عبده من أنه وجد في تونس نخبة متقدمة حتى على النخبة المصرية في المجال الفكري الإصلاحي. والإصلاح أصنافٌ، ففيه الديني وفيه السياسي والأدبي. لم يكن الأمر متماثلا في المشرق والمغرب، فنحن لم نعرف الإصلاح الديني بل عرفنا إصلاحا سياسيا قاده مصلحون سياسيون، منهم خير الدين باشا والجنرال حسين وأحمد بن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس.

الإصلاح من الداخل أم من الخارج؟

وهـؤلاء جميعا كانوا يعملون في دواليب الـدولـة، فهم ليسوا مصلحين من داخـل المؤسسة الدينية. أما في مصر فظهرت حركة إصلاحـية من داخـل المؤسـسـة الأزهـرية. وعبـده لـم يكن يدعو إلـى الإصلاح الديني بالمفهوم الضيق للكلمة، فهو علماني وكتب رسالة إلى الأفغاني (في شهر شعبان من سنة 1300) بعدما أطلع على ما قاله الفرنسي رينان سنة 1883عـن جمال الدين الأفغاني، فقد وصـف رينـان الأفـغـانـي بـأنه مفكر لا ديني من طراز ابن رشد وابن سينا وتدقيقا «ملحدا». وكان رينان تابع مقالات الأفغاني في «مجلة الحوارات» تفاعلا مع محاضرته (ريتان) في جامعة السوربون عن «الإسلام والعلم» (1883)، فأعجب بها، وأجرى معه حوارا، واتفقا على أن الفلسفة أرقى من الدين. فبمذا علق عبده لما وصلت تلك المقالات إلى بيروت، وكان هو منفيا في لبنان، على إثر ثورة عرابي؟ علق عبده على طرح الأفغاني بقوله، في رسالة خاصة «نحن الآن على سنتك القويمة لا نقطع رأس الدين إلا بسيف الدين» (رسالة بتاريخ 8 شعبان 1300 هـجري). وكتب ما معناه «ليس من حقك أن تغشي سرا بيني وبينك» أي ألا نتكلم بكلام مثل الذي قلته في مقالاتك. وكان الأفغاني قد قال في المقالات المـذكـورة أن الأديـان ضـد الفلسفة والفكر والعقل. ربمـا القليل يعرفون هـذه الرسالة الدحية أن الأفغاني رد على رينان، وهذا غير صحيح. كان ذلك هو مشروع عبده، أي إصلاح الدنيا بالدين، وهو مشروع بروتستانتي قائم على الخروج من الدين بواسطة الدين. هذا هو مشروع عبده، ولذلك فهو مشروع غير أرثوذكسي لا يمكن أن يُصنف من ضمن طرح أهل السنة والجماعة. وعلى عكس الحداثيين المتغربين فهم هو أن لا مجال لإصلاح الدين إلا من داخـل المنظومة الدينية، وهـو توجُّهٌ بروتستانتي، مثلما أسلفنا، لـم يُكتب له النجاح، فعبده يعبر إذا عن اليأس من إصلاح المنظومة الدينية.

المهم أن عبده كان مصلحا سلفيا، وكان يعتقد أنه بالاعتماد على الأصول وباجتهاد عقلي، يمكن أن ننخرط في الحداثة العقلانية، ونكرس تحييد الدولة عن الدين وإقامة الدولة المدنية، وقد كان فعلا يؤمن بالدولة المدنية. وهـو أول مـن استخدم هـذا المفهوم خلال السـجال الذي جرى بينه وبين فرح أنطون، الـذي كـان مُعجبا بكتاب رينان «ابـن رشـد وفلسفته»، بالرغم من أن عبده كـان آنـذاك مفتيا. وقام بجمع الفصول التي نشرها في تلك المجادلة في كتاب «الرد على فرح أنطون» والذي يعرف بـ«الإسلام دين العلم والمدنية». حتى الإخوان المسلمون لما حاولوا الاستفادة من عبده وقال حسن البنا «سنواصل مشروع عبده الإصلاحي»، اقتصروا على المظاهر، إذ صار الأمر متعلقا بنوع اللباس وإطلاق اللحى وصـلاة الجماعة، والاستشهاد بأحاديث معينة بحسب كل حالة، وهـذا تقليد أعمى للماضي إذ انتقلنا معه من السلفية الإصلاحية إلى السلفية التقليدية. لكنه في حقيقة الأمر ماضٍ مُتخيَّلٌ غير موجود في الواقع. وهم يستشهدون أيضا بالأحاديث كما ذكرنا، إلا أن تدوين الحديث يعود إلى القرن الثالث الهجري.

○ من أين أتى اللجوء إلى هذا التبسيط؟

● من الشروح على الشروح وتلخيص التـلاخـيص وهـكـذا وصـلـنـا مـع السلفية الإصلاحية إلى التقليد المبتذل.

○ في الخلاصة ما هو موقفك من مشروع عبده؟

● لا أنخرط فيه. هو حليف لأنه مشروع جدي وصلب، على عكس المشاريع السلفية الأخرى.

○ تقول إن الحداثة أبصرت النور وإلى جانبها استبداد شرقي، وهكذا انتقل الإسلام من تقليد سياسي تـعـددي إلـى سلطوية معاصرة حسب رأيك، فهل عطل الاستبداد حركة التحديث في العالم الإسلامي أم سرّع من نسقها؟

● عملية التحديث تتم عادة إما من الأعلى أو من الأسفل. التحديث من أسفل سبق أن عرفته فرنسا وبريطانيا وأمريكا، أما التحديث من أعلى فهو ما حدث في ألمانيا واليابان. بعد ذلك، وعندما دخلنا إلى عالم تصفية الاستعمار في ستينات القرن الماضي، كانت كل التجارب التحديثية موجهة من أعلى. حتى الهند قامت بإصلاحات تحديثية في الزراعة مثلا في تلك الفترة. ونحن نعرف اليوم ثمار التحديث في فرنسا واليابان وحتى كوريا الجنوبية، التي كانت في نفس المستوى التنموي مع تونس في النصف الأول من القرن العشرين. كما لم تكن الفجوة التنموية عميقة بين بريطانيا ومصر بفضل صناعة القطن. لكن في النهاية هم نجحوا وأخفقنا نحن. لماذا؟ لأن التحديث من الأعلى فشل.

كيفية إدارة التحديث

ويبدو أن الجـواب اقتصادي اجتماعي، أي يتعلق بكيفية إدارة التحديث، فعندما تقوم بالتحديث هناك من ناحية التحديث من أعلى، وهو نوع من المأسسة أو الدولنة لكل ما هو اقتصادي واجتماعي وديني، بما يضع كل الناس في قالب محدد. ليس هناك تحديث تعددي وديمقراطي في تلك الفترة، فالتحديث الليبرالي كان في القرن التاسع عشر ثم في عصرنا هذا فقط. أما في الستينات فلم يكن البنك الدولي يمنح دولارا واحدا من أجل بناء الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان. مع ذلك نجحت تونس نسبيا في التنمية الاجتماعية، وهو ما أهلها لتكون اليوم دولة ديمقراطية. فالدولنة إذا تـؤدي إلـى التسلط، وهـي لم تؤد إلى تقدم اقتصادي، ولا إلى ديمقراطية السياسة. وكان هذا هو سبب اندلاع الثورات. صحيح أن البعض يتحدث عن أيادي خارجية، لكن هذا مناف للواقع، لأن الخارج لا يتدخل في شؤونك عندما تكون قويا. وكوريا مثلا، انتقلت بعد فترة التنمية الشاملة، إلى الديمقراطية. وأتوقع أن الصين أيضا سينتهي بها المطاف إلى انفتاح سياسي في مرحلة من المراحل. فلا يمكن لدولة أن تصبح متقدمة بهذا المستوى ولا تنفتح، وتجد حلولا إصلاحية. مأساتنا أننا لم ننجح على الواجهتين، فلا ديمقراطية ولا تنمية.

○ يُؤخذ على الثورات العربية أنها بلا رؤية ولا برنامج، فما تأثير ذلك في قضية التحديث؟

● صحيح فقد عقد عنها إنها بلا طبقات ولا قيادة، وهـذا صحيح، فإلى حد اليوم لا يوجد نص من الفاعلين الحقيقيين أو من المفكرين يُنظر للثورة. وفي الثورات الفرنسية والأمريكية والروسية والصينية وغيرها سبقتها حركات فكرية. أما هنا فنلحظ فقرا خلفته الأنظمة الاستبدادية. لكن هناك أيضا فقر في النخب نفسها، فالكتب التي صدرت هي عبارة عن دراسـات، وأنا من هؤلاء الذين ألفوا كتبا من هـذا الصنف، إلا أننا ما زلنا نتخبط في صراعات نخبوية حول هل الإسلام دين دولـة؟ وهل المرأة مكملة للرجل أم لا؟ وهل نطبق الشريعة أم لا؟ فسقطت النخبة في الصراعات الأيديولوجية حـول الدين، وفي جميع التحولات في العالم لا نجد هذه الاشكالية الدينية.

من احتجاجات تونس

الإصلاح أصنافٌ، ففيه الديني وفيه السياسي والأدبي

حمادي الرديسي أستاذ متميز في العلوم السياسية بالجامعة التونسية متحصل على دكتورا دولة (1992) في العلوم السياسية تحت اشراف الفيلسوف لوقا فيري ومحمد أركون. له العديد من الإصدارات منها «الوهابية نشأتها وتطورها» و«الإسلام المتردد» وحصل الكتاب على جائزة الكتاب الفلسفي ايرياح فرنسا (2017) وجائزة الكتاب التونسي (2018) آخر اصداراته «ابتكار الحداثات في الإسلام».

حريات

صنفت كجريمة تربك الدول المقصودة وتغير تركيبة سكانها

الهجرة السرية أو تسابق الأفارقة لجنان أوروبا واقتحامهم لغمرات الموت

نواكشوط-«القدس العربي»: عبدالله مولود

تكاد الهجرة السرية أو مشكلة السباق الشبابي الأفريقي المحموم نحو جنة أوروبا أن تكون معضلة بلا حل، مع أن الدول الغربية بذلت جهودا مضنية لصد قوارب المهاجرين الذين التهمت المحيطات الآلاف منهم، ولإيقاف أفواج الملتحقين بأراضيها رغما عنها.

فقد وقعت الدول الأوروبية العديد من الاتفاقيات وعقدت عشرات الندوات والمؤتمرات لاستكناه أسباب الهجرة إلى أوروبا التي أجمع الخبراء على أنها تعود كلها لمعاناة الأفارقة من جحيم الفقر الناجم عن سوء تسيير الحكومات.

وأصبحت ظاهرة الهجرة غير الشرعية مشكلة رئيسية تؤرق الدول المستقبلة للمهاجرين؛ وتعتبر القارة الأوروبية هي الوجهة الأولى للمهاجرين غير الشرعيين من دول شمال أفريقيا والقارة الأمريكية، وهي كذلك الملاذ لسكان المكسيك وكندا وآسيا.

موريتانيا والاتحاد الأوروبي

وخصص الاتحاد الأوروبي لموريتانيا دعما ماليا بـ 3.2 مليارات أوقية، في تنفيذ إستراتيجيتها التي تعالج قضايا عدة بينها تقوية المؤسسات الوطنية ذات العلاقة بإدارة الهجرة، وضمان حقوق المهاجرين، والهجرة والتنمية خاصة ما يتصل بالتحويلات المالية، وحراسة الحدود.

وتتواصل منذ عام 2014 دوريات أمنية موريتانية إسبانية مشتركة على الشواطئ الموريتانية بعد أن وقع البلدان عام 2003 أول اتفاق أمني في مجال الهجرة غير الشرعية، يقضي باحتجاز الأمن الموريتاني للمهاجرين الذين «يثبت» أو «يُفترض» أنهم حاولوا السفر إلى إسبانيا انطلاقا من الساحل الموريتاني، واحتجازهم بمركز إيواء أقيم في نواذيبو، ثم ترحيلهم إلى بلادهم.

إسبانيا وموريتانيا

تواصل موريتانيا التي أنهى وزير داخليتها للتو زيارة لإسبانيا، عمليات التنسيق والتعاون الأمني بين البلدين، لمواجهة تدفق غير مسبوق ملاحظ منذ أسابيع، للمهاجرين الأفارقة القادمين من دول غرب أفريقيا وبخاصة من مالي والسنغال.

ويستغل المهاجرون حالة الانشغال بموجة كورونا التي تكتسح منذ أيام دولا أوروبية وبالذات فرنسا، للتسلل عبر المحيط الأطلسي باتجاه الأراضي الإسبانية، مستعينين بخدمات نقل بحري بالغة الخطورة توفرها شبكات تسهيل الهجرة نحو القارة العجوز عبر الزوارق البحرية.

وتشهد المياه الدولية المقابلة للمنطقة البحرية الموريتانية منذ أسابيع حركات مكثفة لزوارق المهاجرين المتسللين إلى أوروبا؛ وقد أوقفت السلطات الأمنية الموريتانية مئات المهاجرين السريين في عرض البحر ضمن الجهود التي تقوم بها لمحاربة ظاهرة الهجرة السرية.

وضمن التعاون الموريتاني الإسباني الخاص بمواجهة تدفق المتسللين، أعلنت سفارة إسبانيا في نواكشوط مؤخرا عن تخصيص طائرة رقابة خاصة بتتبع زوارق الهجرة السرية المتجهة من شواطئ غرب أفريقيا إلى جزر الكناري.

طائرة استطلاع

وأكدت السفارة «أن تدفقا غير مسبوق للمهاجرين قد لوحظ في الأسابيع الأخيرة وأن العديد من الشبان السنغاليين قد قضوا خلال رحلات التسلل نحو أوروبا».

وأشار بيان السفارة إلى «أن طائرة الرقابة التي خصصتها إسبانيا لرقابة السواحل، وهي من نوع C235 مجهزة بكاميرات ورادارات تمكن من التعرف بارتفاع معين، على الزوارق وهي في عرض البحر».

وأوضح «أن الطائرة ستقوم يوميا بطلعات جوية للرقابة البحرية يشارك فيها عناصر من قيادة الطيران العسكري الموريتاني، وعناصر من خفر السواحل المكلفة بتنسيق العمليات».

وأضاف «أن هذه الطلعات التي تتم في ظل القانون الموريتاني، ستمكن من الكشف عن الزوارق التي تقل المهاجرين المتسللين، حيث ستسلم للبحرية الموريتانية المعلومات المحصلة من الطلعات الجوية اليومية لتمكينها من تنسيق عمليات توقيف الزوارق وإغاثة المنكوب منها».

وأدرج البيان خدمات هذه الطائرة ضمن بروتوكول التعاون الأمني والحدودي الموقع بين موريتانيا وإسبانيا.

تزايد يقلق الغرب

وحسب دراسة أنجزها للتو خبراء في المعهد الوطني الفرنسي للدراسات السكانية عن الهجرة فإن عدد الأفارقة المهاجرين من دول أفريقيا جنوب الصحراء في عام 2050 يقارب لنسبة 25 في المئة من سكان القارة العجوز.

وحسب الدراسة المذكورة، فإن عدد الأفارقة المتجنسين في أوروبا سيكون عام 2050 ما بين 150 و200 مليون نسمة.

وتؤكد الدراسة «أن عدد الأفارقة المهاجرين سيتضاعف عام 2050 لينتقل من 1.5 إلى 2.9 من مجمل سكان فرنسا».

وتؤكد هذه المعلومات، نظرية «اكتساح أوروبا بالمهاجرين» التي توصل إليها الصحافي الاستقصائي الفرنسي رينو كميس والتي تناقلتها على نطاق واسع وسائل إعلام أوروبية يمينية.

وأثارت قضية اكتساح القارة العجوز بالمهاجرين الأفارقة نقاشا كبيرا وساخنا خلال انتخابات ايار/مايو 2019 الأوروبية، حيث طرحت قضية القنبلة السكانية الأفريقية المتوقعة خلال العقود المقبلة، في مقابل أزمة استقبال المهاجرين في أوروبا.

وأشارت الدراسة كذلك إلى أن ضغط هجرة سكان دول أفريقيا ما وراء الصحراء على أوروبا ليس بالشكل الذي يعرضه الإعلام الأوروبي لأن 70 في المئة من مهاجري هذه المنطقة يتوجهون إلى جنوب أفريقيا، بينما تهاجر نسبة 15 في المئة إلى الخليج وأمريكا الشمالية، وتهاجر نسبة 15 في المئة الباقية إلى أوروبا.

وتؤكد الدراسة «أنه من أصل 420 مليون نسمة هم سكان أوروبا الغربية، اليوم، هناك 5.3 مليون مولودون في أفريقيا الشمالية و4.4 مليون مولودون في باقي دول أفريقيا».

وتكافح أوروبا هجرة الأفارقة بأساليب عدة أشهرها تقطير التمويلات لحكوماتهم.

الهجرة الأخطر

غير أن هناك هجرة أخرى أخطر هي هجرة الأدمغة التي تفقد البلاد الأفريقية أطرها ومفكريها الذين تضطرهم ظروفهم لاستثمار قدراتهم ومؤهلاتهم في مواقع خارجية تدفع أكثر.

ومن الأسباب التي شخصتها الهيئات الدارسة للهجرة، افتقار البلدان الأفريقية لمشاريع خاصة بدمج العاطلين عبر تمويلات صغيرة وعبر تسهيلات وقروض للشباب من أجل مساندتهم لإنشاء مقاولات، ومنها غياب مراكز التكوين والتأطير، وانسداد الأفق أمام مشاركة الشباب في الحياة السياسية.

هل الهجرة جريمة؟

حسب التكييف القانوني، فالهجرة غير الشرعية ليست مجرد ظاهرة عادية بل جريمة يعاقب عليها كل من القانون الداخلي والدولي، شأنها شأن الجرائم المنظمة العابرة للحدود.

فظاهرة الهجرة غير الشرعية تعني دخول شخص دولة أخرى بشكل غير شرعي أو حتى بشكل شرعي، ومن ثم تعمد مخالفة القانون في الدولة المضيفة كانتهاء مدة الإقامة وعدم المغادرة، مع وجود نية الإقامة في تلك الدولة.

هناك العديد من الآثار السلبية التي تترتب على الهجرة غير الشرعية، وهذه الآثار لا تقتصر على الدول المهاجر إليها بل تمتد لتطال الدول المهاجر منها، وهذه الآثار اقتصادية واجتماعية وأمنية.

البحث عن جنة الخلود

اعتادت فئات من الشباب الأفريقي التوجه إلى أوروبا باعتبارها جنة الخلود التي ستمكنهم من العمل وتكوين الثروة.

ومع أن عددا من الشباب يختارون الهجرة دون معاناة من ضيق فإن غالبهم يهاجر إلى القارة العجوز فرارا من الاضطهاد وسوء الأحوال.

وقد تضافرت عوامل اقتصادية واجتماعية في حدوث وتطور ظاهرة الهجرة السرية من أفريقيا صوب العالم الأوروبي منها تفاوت المستوى الاقتصادي الناجم عن جمود وتيرة التنمية بالدول الأفريقية، وارتفاع نسبة العاطلين عن العمل بسبب استفحال البطالة التي تمس عددا كبيرا من الشباب الحاصلين على دبلومات عالية.

للهجرة أسباب ودوافع

ومن أسباب الهجرة ما يظهره الشباب المهاجر من رفاهية وثراء، تجعل الشباب يحن إلى الهجرة التي يجد صاحبها المال.

ويؤكد الدكتور سامي محمود الشجلاوي الباحث بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة بيروت العربية «أن ظاهرة الهجرة على امتداد التاريخ الإنساني، ظلت تستجيب لتطلعات الأفراد في مناطق مختلفة من العالم؛ نحو تطوير حياتهم وتغيير ظروفهم لحياة أفضل» مضيفا «أن حدّة الهجرة تنامت مع توجّه الدول إلى فرض التأشيرات ومراقبة الحدود، حيث بدأ الحديث عن هجرة قانونية وأخرى غير قانونية خلافاً للمواثيق الدولية الداعمة لحرية التنقل واللجوء».

ومن بين الأسباب الرئيسية للهجرة غير الشرعية، التباين في المستوى الاقتصادي بين ما يعرف بالدول الطاردة والدول المستقبلة، ومرجع هذا التباين هو أن وتيرة التنمية في الدول الطاردة تسير ببطء شديد، على ما هو الحال عليه في الدول المستقبلة، وهذا من شأنه أن ينعكس سلباً على الأوضاع الاقتصادية في الدول الطاردة بما يؤدي إلى انخفاض مستوى الدخل الفردي، وارتفاع الأسعار وزيادة معدلات البطالة.

تأثير في الاتجاهين

يلاحظ أن الهجرة تحوّلت في عصرنا الحالي إلى معضلة، سواء بالنسبة للدول المصدرة أو الدول المستقبلة، وذلك من منطلق تداعياتها وانعكاساتها المختلفة على الطرفين، حيث عرفت ظاهرة الهجرة غير الشرعية في منطقة المتوسط تطوراً غير مسبوق خلال السنوات الأخيرة، وذلك بفعل الأزمات العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها الكثير من دول منطقة الشرق الاوسط مثل العراق وسوريا.

ويقول الباحث الدكتور سامي محمود الشجلاوي «إن الهجرة غير الشرعية ظلت نتيجة طبيعية لحالة المنع وغلق الأبواب أمام الهجرات الشرعية باتجاه الدول المتقدمة، فالسياسات التي تتبعها الدول الأوروبية في هذا المجال كان لها آثار عكسية، إذ ساهمت في فتح المجال أمام التهريب عبر الحدود الهجرة غير الشرعية، من خلال أشخاص يتاجرون في البشر من أجل تحقيق مكاسب مادية».

ومن الواضح أن البلدان الطاردة أو تلك التي تشهد هجرة غير شرعية تفتقر إلى التنمية وتعاني من قلة فرص العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، كما أنها تعاني من البطالة الشديدة التي يرزح تحت وطأتها عدد كبير من السكان، وخاصة الشباب منهم والحاصلون على مؤهلات جامعية.

تأثيرات وتأثرات

تقول الباحثة عباسة دربال في بحث لها عن الهجرة أن «من أبرز أسباب الهجرة تضييق مساحات الحريات السياسية أو الحرية في التعبير أو ما يسمى بالتغيب على المستوى السياسي، ومنها الحروب والنزاعات الداخلية المسلحة، وما ينتج عنها من ترهيب للمدنيين عبر ارتكاب جرائم ضدهم، ومنها كذلك، حسب الباحثة، وجود اضطرابات أمنية داخلية. وللهجرة أثرها الاقتصادي السلبي على الدولة المستقبلة للمهاجرين غير الشرعيين وكذلك على الدول المصدرة لهم بما تحمله من تهديد الاقتصاد الإقليمي والعالمي عن طريق التدخل في الدول التي تمر بمراحل تحول اقتصادها إلى اقتصاد السوق، حيث تتدخل فيها بشكل يتمثل في قيامها بغسل أموالها المتحصلة من تجارتها غير المشروعة».

تغيير التركيبة

وللهجرة أثرها الاجتماعي كذلك ومن أبرزه، حسب الدكتور سامي محمود تؤدي الهجرة عموماً إلى تغيير التركيبة الاجتماعية لكل من دول المهجر ودول المصدر، كنتيجة لما يسمى بالانتقاء الهجري، حيث يترتب على الهجرة انتقاء العناصر الشابة من المجتمع وبصفه خاصة الذكور إلى دول المهجر، مما يؤثر بالسلب على التركيبة الاجتماعية للمجتمع المهاجر منه والاخرى المهاجر إليه.

وسائل التصدي

بما أن ظاهرة الهجرة غير الشرعية ظاهرة معقدة وخطيرة بكل أبعادها القانونية والاجتماعية، فإنه لا يمكن القضاء عليها أمنياً أي عن طريق اتخاذ التدابير الأمنية، وإنما يتطلب القضاء عليها البحث عن الأسباب المؤدية إليها بمختلف زواياها. تقول الباحثة ليلى جبرائيل «أصبحت الهجرة السرية من إحدى المظاهر العالمية حتى يكون من الصعب القضاء عليها بسهولة، إذا لم تتكاتف الجهود الدولية للتصدي والتحكم في تلك الظاهرة حيث يتم ذلك من خلال اتفاقات ومعاهدات إقليمية دولية».

وأضافت «من وسائل التصدي للهجرة، بناء حواجز على الحدود البرية والبحرية، مع المراقبة بشكل صارم لمنع دخول المهاجرين بهذه الطريقة، كما يتم التعامل معهم بإعادتهم إلى بلادهم الأصلية واحتجاز من ساعدهم على العبور للبلاد الأخرى بهذا الشكل، ومنها منع أصحاب العمل من توظيف الأشخاص المهاجرين قبل التأكد من امتلاكهم لوثائق قانونية تمكنهم من الإقامة في البلاد، إبلاغ السلطات عن المهاجرين السرية وارتكابهم مخالفات في البلاد كالاعتداء على الأشخاص وتدمير الممتلكات».

مخاطر الهجرة

يقع المهاجرون في مخاطر عديدة منها التعرض لحوادث أثناء الهجرة وبخاصة من خلال البحر حيث يستخدم المهاجرون قوارب صغيرة يحمل عليها أعداد كبيرة جداً من المهاجرين بدون وضع شروط سلامة على أرواحهم مما يعرضهم للغرق.

كما يتعرض المهاجرون سرا للوقوع في أيدي عصابات الإتجار بالبشر، والتي يقوم ببيعهم كرقيق أو تتعرض المهاجرات للاستغلال الجنسي والاغتصاب.

ومن آثار الهجرة السلبية اضطرار المهاجر للسكن في أماكن رخيصة لا تملك أدنى شروط العيش الكريم للإنسان، وهو مع ذلك مهدد من حين لآخر باكتشاف أمره وترحيله للبلد الأصلية.

وقد يضطر المهاجرون للسير مسافات طويلة جداً قد تصل لأكثر من ألف ميل بسبب صعوبة الدخول للبلد المهاجر إليها من خلال المنافذ العادية.

حلول ومقترحات

كثرت المقترحات المقدمة عبر الندوات والمؤتمرات لحل مشكل الهجرة أو للحد منها، ومما أوصى به الخبراء الاجتماعيون تنشئة الشباب منذ المراهقة على التعلق بالوطن، ومنها تحفيز الشباب على الاختراع والبحث العلمي، ومنها توفير فرص للشغل مع ضمان العدالة في الأجور، وفتح مجالات لاستثمار المؤهلات الشبابية كالنوادي الثقافية والجمعيات، كما تمت التوصية بالقضاء على المحسوبية وتحقيق مبدأ المساواة والعدالة في توفير فرص العمل وضمان العدالة في الأجور ومشاركة الشباب في الحياة السياسية.

كتب

الباحث العراقي فالح مهدي في «تاريخ الخوف»: منابته وأصوله ورعب القوى المتسلطة

هاشم شفيق

للخوف تاريخياً، منابته وجذوره الأولى، فهو حقل خصب لتجارب القوى العليا، والمتسيّدة والمتجبّرة على الكائن الإنساني الهش والضعيف والمجّرد، أما الجبروت والراعي والمهيمن على المقدرات والسلطة والحياة كلها، منذ بدء التاريخ، فهو الملك، كالملك السومري والبابلي والآشوري والأكدي، والفراعنة، فهم الآلهة قديماً وهم ممثلو الإله، وهم النخبة التي تقود شؤون العامة حيثما كانوا. ولا يفلت من العقاب أي كائن حي يخالف أوامر الآلهة والحاكم بأمره، على مّر الأزمنة التاريخية، وحتى يومنا هذا، حيث يرتدي الخوف مزايا مختلفة، على يد الطاغية والديكتاتور والرئيس المتجبّر والدموي، وما أكثرهم في التاريخ الحديث، بدءاً بهتلر وموسوليني وفرانكو، وليس انتهاءً بصدام حسين وحافظ الأسد ومعمر القذافي، وميليشيات العصر الحديث التي تعيث في العراق ولبنان واليمن خراباً وتدميراً وقتلاً يومياً، وتحت دواع ودوافع ومذاهب شتى.

تحت أفق هذا المنظور، يقدم الباحث والمفكر العراقي فالح مهدي كتابه الجديد «تاريخ الخوف»، متناولاً وعلى نحو علمي وفكري وفلسفي، تواريخ الخوف ونشأته في العالم، بطريقة بحثية علمية، تستند إلى المداليل والأسانيد والبراهين الحديثة والمعاصرة.

يبدأ الباحث كتابه بمقدمة ضافية، يوضح فيها معنى الخوف قاموسياً، عربياً وإنكليزياً وفرنسياً، لكي يكون ملماً بموضوعه ومطلعاً على أس الموضوع مدار بحثه العلمي، وهو يلج منهجاً يعتمد على مقدرته الفكرية والفلسفية والنظرية، ولا يتبنى في بحثه هذا نظريات أيديولوجية ماركسية، أو قومية ودينية، بل يتبنى رأيه ونظريته الشخصية، تلك التي تعتمد الفكر الحر، غير الخاضع لنهج وطريق معيّنين، فسبيله هذا فيه آراء جريئة، حادة، وشخصية، كرّست له عبر تآليفه الفكرية العديدة، منهجاً مائزاً وأسلوباً فكرياً خاصاً به، أي خاصاً بنهجه وبحثه ورؤيته للموضوع من منظار مختلف، وغير منحاز لنظرية ما، تستدعي فكراً مادياً ومثالياً وفلسفياً معيّناً، بل هو يقدم مشروعه الرؤيوي حول مفهومة الخوف، دون أن يستغني بالطبع عن النظر في رأي سديد من تلك النظريات، وشواهدها الفكرية، والعلمية، ولكنه على سبيل المثال، وفي الوقت ذاته ينتقد النظرية العلمية الماركسية، وينتقد الدين ورجالاته، وينتقد الطغاة الكثر، وهو يمرّ مستشهداً وناقداً لهذا القائد والفليسوف والمفكر. ففي معرض تقديمه للكتاب يُنحّي الباحث الأيديولوجيا من طريقه ولا يسمح لها أن تقود أفكاره ورؤاه نحو وجهتها، بل هو هنا في المقدمة ينتقد الدين، ونقد الدين الذي نادى به ماركس، كونه قد جاء بدين جديد قائم على أيديولوجيا الخوف والرعب والامتثال والطاعة، تلك التي برزت جلية لدى لينين في خطبه، وتجسّدت في أفعال وأقوال وقوانين ستالين المرعبة للحياة والبشرية.

يتضمّن الكتاب ستة فصول ذات بعد أنثروبولوجي، تتسم بالبحت والتقصي في تواريخ الزمن، كما يوضّحه الفصل الأول، كالزمن الأيديولوجي، ودور الكتابة في أدلجة الزمن، إلى جانب الزمن التوحيدي، والزمن الهندوسي، والزمن السنين، وتمتع بنظام حسابي دقيق، من ناحية الزمن في ذلك التاريخ البعيد، من حضارة المايا التي كانت لها مدن ومعابد، وسلطة حاكمة، وكذلك جيوش، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي، بينما الزمن لدى السومريين والأكاديين أفقي، ولدى الصينيين القدامى عمودي، وهذا ما وضّحه باب «دور اللغة في صياغة الزمن».

في الفصل الثاني، يخصّص الكاتب هذا الفصل للذاكرة والزمن، فالذاكرة هي مخزن المعلومات لدى الإنسان، وهي تشكل وتصوغ معاني الحياة الماضية والحالية وما سوف تحصل عليه مستقبلا «عبر المقدرة الذهنية لخزن وتذكر ما هو قريب وبعيد، كما يمكن اعتبارها الرغبة النفسية باستحضار الماضي، ولا يمكن تخيّل الإنسان بدون ذاكرة، فمن تذهب ذاكرته كما يحصل مع مرضى الزهايمر، يصبح في عداد الموتى، ومن تضع ذاكرته، يشبه مكتبة عامرة بالكتب والمجلات والصحف والموسيقى تهب فيها النيران».

يرينا هذا الفصل أن الذاكرة مقسّمة إلى أصناف، كالذاكرة الحسية التي تقوم باستقبال المعلومات من خلال إحدى الحواس، وهناك الذاكرة القصيرة التي تصفّي المعلومات، تهمل بعضها، وتخزّن البعض الآخر من المعلومات في رفوفها العالية، وثمة الذاكرة الطويلة التي تساهم في صناعة الأفراد والجماعات، حسب تعبير المؤلف، وهذ الفصل، وهو من الفصول المهمة، يستوفي مفاهيم القداسة والمفكر. فقي معرض تقديمه للكتاب يُنحّي الباحث الأيديولوجيا من طريقه ولا يسمح لها أن تقود أفكاره ورؤاه نحو وجهتها، بل هو هنا في المقدمة ينتقد الدين، ونقد الدين الذي نادى به ماركس، كونه قد جاء بدين جديد قائم على أيديولوجيا الخوف والرعب والامتثال والطاعة، تلك التي برزت جلية لدى لينين في خطبه، وتجسّدت في أفعال وأقوال وقوانين ستالين المرعبة للحياة والبشرية.

يتضمّن الكتاب ستة فصول ذات بعد أنثروبولوجي، تتسم بالبحت والتقصي في تواريخ الزمن، كما يوضّحه الفصل الأول، كالزمن الأيديولوجي، ودور الكتابة في أدلجة الزمن، إلى جانب الزمن التوحيدي، والزمن الهندوسي، والزمن السنين، وتمتع بنظام حسابي دقيق، من ناحية الزمن في ذلك التاريخ البعيد، من حضارة المايا التي كانت لها مدن ومعابد، وسلطة حاكمة، وكذلك جيوش، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي، بينما الزمن لدى السومريين والأكاديين أفقي، ولدى الصينيين القدامى عمودي، وهذا ما وضّحه باب «دور اللغة في صياغة الزمن».

في الفصل الثاني، يخصّص الكاتب هذا الفصل للذاكرة والزمن، فالذاكرة هي مخزن المعلومات لدى الإنسان، وهي تشكل وتصوغ معاني الحياة الماضية والحالية وما سوف تحصل عليه مستقبلا «عبر المقدرة الذهنية لخزن وتذكر ما هو قريب وبعيد، كما يمكن اعتبارها الرغبة النفسية باستحضار الماضي، ولا يمكن تخيّل الإنسان بدون ذاكرة، فمن تذهب ذاكرته كما يحصل مع مرضى الزهايمر، يصبح في عداد الموتى، ومن تضع ذاكرته، يشبه مكتبة عامرة بالكتب والمجلات والصحف والموسيقى تهب فيها النيران».

يرينا هذا الفصل أن الذاكرة مقسّمة إلى أصناف، كالذاكرة الحسية التي تقوم باستقبال المعلومات من خلال إحدى الحواس، وهناك الذاكرة القصيرة التي تصفّي المعلومات، تهمل بعضها، وتخزّن البعض الآخر من المعلومات في رفوفها العالية، وثمة الذاكرة الطويلة التي تساهم في صناعة الأفراد والجماعات، حسب تعبير المؤلف، وهذ الفصل، وهو من الفصول المهمة، يستوفي مفاهيم القداسة والمفكر. ففي معرض تقديمه للكتاب يُنحّي الباحث الأيديولوجيا من طريقه ولا يسمح لها أن تقود أفكاره ورؤاه نحو وجهتها، بل هو هنا في المقدمة ينتقد الدين، ونقد الدين الذي نادى به ماركس، كونه قد جاء بدين جديد قائم على أيديولوجيا الخوف والرعب والامتثال والطاعة، تلك التي برزت جلية لدى لينين في خطبه، وتجسّدت في أفعال وأقوال وقوانين ستالين المرعبة للحياة والبشرية.

يتضمّن الكتاب ستة فصول ذات بعد أنثروبولوجي، تتسم بالبحت والتقصي في تواريخ الزمن، كما يوضّحه الفصل الأول، كالزمن الأيديولوجي، ودور الكتابة في أدلجة الزمن، إلى جانب الزمن التوحيدي، والزمن الهندوسي، والزمن السنين، وتمتع بنظام حسابي دقيق، من ناحية الزمن في ذلك التاريخ البعيد، من حضارة المايا التي كانت لها مدن ومعابد، وسلطة حاكمة، وكذلك جيوش، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي، بينما الزمن لدى السومريين والأكاديين أفقي، ولدى الصينيين القدامى عمودي، وهذا ما وضّحه باب «دور اللغة في صياغة الزمن».

في الفصل الثاني، يخصّص الكاتب هذا الفصل للذاكرة والزمن، فالذاكرة هي مخزن المعلومات لدى الإنسان، وهي تشكل وتصوغ معاني الحياة الماضية والحالية وما سوف تحصل عليه مستقبلا «عبر المقدرة الذهنية لخزن وتذكر ما هو قريب وبعيد، كما يمكن اعتبارها الرغبة النفسية باستحضار الماضي، ولا يمكن تخيّل الإنسان بدون ذاكرة، فمن تذهب ذاكرته كما يحصل مع مرضى الزهايمر، يصبح في عداد الموتى، ومن تضع ذاكرته، يشبه مكتبة عامرة بالكتب والمجلات والصحف والموسيقى تهب فيها النيران».

يرينا هذا الفصل أن الذاكرة مقسّمة إلى أصناف، كالذاكرة الحسية التي تقوم باستقبال المعلومات من خلال إحدى الحواس، وهناك الذاكرة القصيرة التي تصفّي المعلومات، تهمل بعضها، وتخزّن البعض الآخر من المعلومات في رفوفها العالية، وثمة الذاكرة الطويلة التي تساهم في صناعة الأفراد والجماعات، حسب تعبير المؤلف، وهذ الفصل، وهو من الفصول المهمة، يستوفي مفاهيم القداسة

طارق فريد زيدان في «الجورنالجي وكاتم الأسرار»:

محمد حسنين هيكل ومصطفى ناصر تحفظا حول صلابة الاتفاق النووي مع إيران وهوية قتلة رفيق الحريري

سمير ناصيف

صحافيان راحلان مخضرمان من كبار المحللين المطلعين على خلفيات الأحداث في الشرق الأوسط، كانا من المستشارين المقربين جداً من إثنين من أبرز قادة العالم العربي في أواخر القرن الماضي ومطلّع القرن الـ21 اجتمعا في كتاب واحد وتناولا قضية الاتفاق النووي بين إيران والدول الخمس زائد واحد وتوقعا حدوث اهتزازات فيه من منطلق قلّما تصل إلى عمقه التحليلات والتوقعات الأخرى.

هذان الصحافيان اللذان خسرهما العالم العربي في السنوات القريبة الماضية هما محمد حسنين هيكل (المصري الجنسية) ومصطفى ناصر (اللبناني الهوية). هيكل كان المستشار المقرب جداً من الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، الذي ترأس مصر من مطلع خمسينيات القرن الماضي وحتى وفاته عام 1970 والثاني كان كاتم أسرار رفيق الحريري، الذي قاد حكومة لبنان من مطلع تسعينيات القرن الماضي وحتى اغتياله في 14 شباط (فبراير) 2005.

عنوان الكتاب هو «الجورنالجي وكاتم الأسرار: محمد حسنين هيكل ومصطفى ناصر، أسرار وذكريات». وكتبه طارق فريد زيدان وهو كاتب ورجل أعمال سعودي حضر شخصياً ووثّق معظم اللقاءات التشاورية بين الرجلين نظراً لحيازته على ثقتهما، فهو صهر الأستاذ مصطفى ناصر، وكان مصدر ثقة لهيكل أيضاً.

أهم فصلين في هذا الكتاب الذي شمل فصولاً هامة أخرى، هما الثاني والرابع، اللذين سنركز عليهما في هذه المراجعة.

عنوان الفصل الثاني: «اللقاء النووي» وعنوان الفصل الرابع: «مَنْ قتل رفيق الحريري؟».

اللقاء حول الاتفاق النووي تم بين الرجلين في الإسكندرية (مصر) في الليلة التالية لتوقيع ذلك الاتفاق بين إيران والدول الكبرى الست في نيسان (ابريل) 2015 والذي أكد خلاله هيكل لمصطفى ناصر أنه «من شبه المستحيل (أو الصعب جداً) ان يستطيع أي رئيس جمهورية أمريكي أن يوقع على اتفاق بهذه الأهمية (كالاتفاق النووي مع إيران) أو أن يلغيه من دون موافقه الكونغرس الأمريكي، وأن كل رئيس جديد يصل إلى البيت الأبيض يجد حقائق مختلفة عن سابقه وقد يُسقط الخيارات القديمة ويتخذ خيارات جديدة تناسب الأوضاع» (ص 49 ـ 50). ولعل هذا ينطبق على وضع الرئيس جو بايدن حالياً. ذكاء ويُعد نظر هيكل دفعاه أن يتوقع (عام 2015) أن يفعل ترامب (أو غيره) ما فعله ذلك الرئيس عام 2018. وقد توفي هيكل في شباط (فبراير) 2016 أي قبل وصول ترامب إلى الرئاسة. ورحل ناصر منذ عامين.

قال هيكل لمصطفى ناصر في ذلك اللقاء إن: «أمريكا اشتغلت وتشتغل اليوم للضغط على إيران من أجل السيطرة على سوريا والأردن ولبنان، وأن التناقض الأمريكي ـ الإيراني في عام 2015 باقٍ، ما دام نظام الجمهورية الإسلامية قائماً في إيران، إذ أن إيران ملاصقة جغرافياً وسياسياً لروسيا والصين وهما خصما أمريكا الرئيسيين وذلك الواقع الجيوسياسي تواجدَ في العهود الإيرانية السابقة والحالية» (ص 52). وأضاف هيكل في اللقاء: «عندما درس الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي قضية إمكانية التقارب مع إيران، أوضحت إليه قيادة ترامب في أمريكا وحلفاؤها في العالم الغربي أنها هي الوحيدة المخولة القيام بهذا التقارب بمبادرات منها وحدها ولا أن يقوم بها بمفرده، والقضية ليست (بنظرهم) فقط الاتفاق النووي المهم بالفعل ولكن لا تجوز المبالغة في أهميته». (ص 52 ـ 53)

ولعل هذا التحليل التنبؤي لهيكل (آنذاك) فسّر ويفسر لماذا تغتال أمريكا وإسرائيل شخصيات سياسية وعسكرية بارزة وفعالة في الشرق الأوسط والعالم العربي تحاول أن تتخطى هذه المعادلة، كرئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري أو غيره ممن يقومون بمبادرات فردية إزاء إيران وحلفائها كحزب الله. مشكلة أمريكا وإسرائيل ليست فقط أمنية بل سياسية (حسب قول هيكل) فهي تتمثل في أن يستطيع نظام طهران الانتشار والتأثير السياسي والعسكري والنفوذ خارج فلكه، وان يستمر في التمدد على مشيئة أمريكا وإسرائيل وحلفائها في الغرب، ولن تقبل أمريكا (تحت أي قيادة) بقاء نظام قوي في إيران يحاول القيام بهذا الدور الأقليمي والعالمي». (ص 53)

وقد يتذكر القارئ أن شاه إيران السابق خضع لتقليم لأجنحته عندما انفتح على العراق والدول المجاورة والاتحاد السوفييتي السابق. إذن القضية (في رأي هيكل) ليست نووية أمنية صاروخية فقط بل قضية جغرافية سياسية. وهنا كان دهاء هذا العملاق الفكري الذي وثق به العملاق السياسي العربي الراحل جمال عبدالناصر. فأمريكا تخشى أنظمة على حدود روسيا والصين تكون منأوئة لها، وروسيا والصين تمثلان خطراً سياسياً واقتصادياً لواشنطن مهما كان النظام فيهما. وأمريكا ستظل تحاول «ترويض» إيران، مهما كان نظامها السياسي. والقضية ليست قضية «حزب الله» في لبنان والمنطقة فقط. فهذا الأمر يندرج في قصقصة أجنحة إيران في الشرق الأوسط وهناك علاقة شك وحذر بين أمريكا وروسيا والصين منذ منتصف القرن الماضي وحتى الساعة (في رأي هيكل) وهناك تناقض بين أدوارهم (ص54 ـ 55). أما بالنسبة إلى سوريا، فأمريكا (حسب هيكل): «لا تريد تقسيم سوريا بل استبدال النظام الحالي فيها بنظام يناسب مصالحها» (ص 57). وأسفَ هيكل على وضع فلسطين في ذلك اللقاء، قائلا: «فلسطين مجسد تردي الوضع العربي» (ص 63).

في الفصل الرابع، بعنوان «من قتلَ رفيق الحريري؟» يؤكد الكاتب انه حاول مراراً استدراج هيكل ومصطفى ناصر إلى البوح بما يملكانه من أسرار حول هذا الموضوع في لقاءاتهما، ولكنهما كانا يغيران الموضوع، ويؤكدان محبتهما واحترامهما الكبيرين للرئيس رفيق الحريري. وأكد مصطفى ناصر مراراً لصهره (المؤلف) انه فقد شيئاً كبيراً في حياته بعد اغتيال رفيق عمره الحريري، وأن علاقتهما عادت إلى سبعينيات القرن الماضي عندما التقيا في الرياض (السعودية). ويشير إلى انه (أي ناصر) كان صلة الوصل بين رفيق الحريري والأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله وكان يُقل رفيق الحريري بسيارته الخاصة إلى الضاحية الجنوبية في بيروت للقاء نصر الله. ويشير إلى أن رفيق الحريري قال لنصر الله في أحد هذه اللقاءات: «أنت جبل» من المقاومة، وأنا جبل في الإقتصاد والأعمال، فدعنا نضع أيدينا معاً لنستنهض البلد» (ص 92). ويؤكد ناصر للكاتب أن هذا اللقاء تم بعد صدور قرار الأمم المتحدة رقم 1559. ويضيف الكاتب قائلاً أن رفيق الحريري كان يقول لنصر الله بأنه «يفخر بأنه نشأ وترعرع في جنوب لبنان في مدينة صيدا العروبية، وأنه حمل على كتفيه السلاح دعماً لحركة «القوميين العرب». (ص 93)

أما بالنسبة لوراثة رفيق الحريري، فيقول ناصر للمؤلف: «إن رفيق لم يحضر أحداً لوراثته إذ لم يكن لديه الوقت لذلك، آنذاك، ولكنني أتعاطف مع سعد الحريري كثيراً من الناحية الإنسانية لفقدانه والده بهذه الطريقة البشعة، وبسبب الضغوط التي تعرض لها بعد ذلك». ويضيف: «إلا ان مشكلة سعد و(تيار المستقبل) ومحبيه وداعمي رفيق أن لهم أكثر من والد واحد. فابو سعد البيولوجي هو رفيق، ولكن أبيه السياسي هو فؤاد السنيورة وآخرين في (تيار المستقبل) وبعض هؤلاء ساهموا في إنطلاق أحداث أضرت بتيار المستقبل كأحداث 7 أيار (مايو) 2008 وصدور قرار عن مجلس الوزراء اللبناني بإعفاء مدير آمن المطار وفيق شقير، وتفكيك شبكة اتصالات حزب الله ما ساهم في إشعال الأوضاع». (ص 94 ـ 95)

يضيف ناصر قائلاً إلى صهره، كما وردَ في الكتاب: «بين حرب تموز (يوليو) 2006 ومواجهات 7 أيار (مايو) 2008 قاسم مشترك هو التدخل الخارجي في محاولة إشعال الحرب في لبنان... هذا هو لبنان».

ويؤكد الكاتب أن زيارات رفيق الحريري الليلية إلى الضاحية الجنوبية في بيروت للقاء نصر الله (بمشاركة مصطفى ناصر) استمرت لاحقاً وقام بها نجله سعد بعد تسلمه القيادة، وأن رفيق الحريري وحسن نصر الله كانا يتبادلان الملاحظات الودية حول جذورهما في الجنوب اللبناني.

ويضيف مستشهداً بما قال له عمه قبل وفاته:

«ان رفيق عُرضَ على نصر الله زيارة السعودية على ان ينتقل إليها بواسطة طائرته الخاصة، كما دعاه لزيارة قصر الحريري في قريطم برأس بيروت والنوم في سريره» (ص 98). كما يشير الكاتب ان هيكل كان معجباً برفيق الحريري وكان يعتبره «داهية سياسية».

ونجح الكاتب في استدراج عمه مصطفى ناصر في لقاء معه في مونتي كارلو (موناكو) في صيف 2017 إلى الادلاء ببعض الآراء حول من قتلَ رفيق الحريري حيث قال مصطفى في جلسة عائلية حميمة وخاصة: «أعتقد ان قتلة رفيق أكثر من جهة واحدة، فجميع الجهات الدولية والإقليمية كانت منزعجة من تعاظم دوره. في الأقليم، تواجدت إسرائيل الحاقدة وزعماء تقليديون وقادة شباب بلا خبرة، والملك السعودي فهد كان كهلاً ومريضاً، وفرعون مصر (مبارك) كان يستجيب لرفيق برنةِ هاتف، وكان للحريري حلفاء مقربون في النظام السوري (خدام والشهابي وغيرهما) والرئيس الفرنسي جاك شيراك والنظام البريطاني دعماه. في مثل هذه الأوضاع، كبرَ دور رفيق الحريري، ووصل إلى حجم متعاظم، وخشي أعداء لبنان والأمة العربية تقاربه مع المقاومة اللبنانية وقادتها.

فالكلام عن أن حزب الله قتل رفيق الحريري غير دقيق، وخصوصاً لان علاقة رفيق مع قيادة حزب الله بدأت قبل الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وكانت مواقفهما شبه متطابقة بالنسبة للسلام في الشرق الأوسط مما يخالف مشاريع التيار الأمريكي ـ الإسرائيلي والغربي في المنطقة، الذي غزا العراق بقيادة جورج بوش الابن والمحافظين الجدد» (ص 105). فساله الكاتب: «هل هذا يعني أن أمريكا وإسرائيل قتلتاه؟»

فأجاب: «أنا لستُ رجل أمن بل رجل سياسة، وسأكتب مذكراتي يوماً ما وأضمنها معلوماتي السرية».

وقد توفي مصطفى ناصر قبل أن يفعل ذلك. وقد يتساءل البعض لماذا حدثت اغتيالات أخرى بعد اغتيال رفيق الحريري وتناولت سياسيين لبنانيين من حلفاء أمريكا؟ وقد تُطرح التساؤلات عن هوية مرتكبيها، فيما قد يرى البعض الآخر ذلك في محاولة الجناة التمويه وإلصاق التهمة بحزب الله والنظام السوري. لعل التاريخ وحده سيحسم هذا الموضوع، وقد يكون مصطفى ناصر مخطئاً في تحليلاته علماً انه توفي بسبب إصابته بمرض السرطان فيما توفي هيكل في مطلع عام 2016. وقد خسرهما العالم العربي.

طارق فريد زيدان:
«الجورنالجي وكاتم الأسرار»
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،
بيروت 2019
293 صفحة.

المقال

عبد الباسط سيدا

الديمقراطية ليست سلعة نشتريها بل ثقافة تراكمية

« دكتاتورية الطبقة العاملة»، «الديمقراطية الشعبية»، و«الطريق اللارأسمالي إلى الإشتراكية»؛ مصطلحات كانت تُعد في مرحلة السبعينات والثمانينات من المسلّمات التي توافق عليها أنصار الفكر اليساري، ودعت إليها في منطقتنا. وهي المصطلحات التي لم تكن تخضع في ذلك الحين لأي مناقشة كان من شأنها التشكيك في مصداقيتها المعرفية، وفائدتها السياسية.

وما أذكره في هذا المجال هو أننا كنا نتخذ أحياناً من عبارات لينين الدوغمائية شعاراً يرتقي إلى مصاف النصوص الدينية المقدسة في منظور المؤمنين بها. ومن بين هذه العبارات قوله: «إن مذهب ماركس كلي القدرة لأنه صحيح». لم نكن ندقق في دلالات هذا القول اللغوية، وطبيعته العاطفية. فهو في واقع الحال جملة تعبيرية إنشائية لا تخبرنا بشيء يمكن أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب استناداً إلى الوقائع الملموسة، وهو الأمر الذي ألقى عليه رواد الوضعية المنطقية، وفلاسفة التحليل، أضواءهم الكاشفة التي حررتنا من الأوهام الأيديولوجية، وفهمنا بفضلها وفعلها الوظائف التضليلية التي أنيطت بها، والنتائج التي أدت إليها في الواقع العملي.

«دكتاتورية الطبقة العاملة» و«الديمقراطية الشعبية» هما مصطلحان استخدما لإيهام المنتجين والناس العاديين بأن السلطة الفعلية هي بيدهم، ولمصلحتهم؛ وأن الدولة هي دولتهم، وأنهم أحرار في اتخاذ القرارات التي تنسجم مع مصلحتهم، وتضمن مستقبلاً أفضل لأبنائهم وأحفادهم. هذا في حين أن جميع الوقائع كانت تدحض هذه المزاعم، وتؤكد أن السلطة الفعلية كانت في واقع الحال بيد زمرة تمكنت من السيطرة على مفاصل الدولة والمجتمع عبر مختلف الأحابيل، واستناداً إلى قوة الأجهزة الأمنية التي تحكّمت بكل المفاصل كالأخطبوط.

وقد استهلمت الأحزاب القومية والاشتراكية في منطقتنا هي الأخرى هذه التوجهات، وسعت من أجل فرض مفاهيمها الأيديولوجية على الناس، حتى باتت من المسلمات التي ما زالت فاعلة في عقول بعض المثقفين المخضرمين الذين ينتقدون الاستبداد البعثي من جهة، ولكنهم لم يتمكنوا من التحرر من منظومته الفكرية من جهة ثانية.

أما النموذج الديمقراطي الغربي تحديداً، فقد كان مداناً باستمرار من قبل الدعاية المركزة الديماغوجية من جانب وسائل الإعلام السوفياتية، والدول الاستبدادية في المنطقة؛ وهي الدول التي كانت تلتحف بعباءة الاتحاد السوفياتي، إلى جانب الأحزاب الشيوعية التي كانت تفتح مظلاتها في دمشق وبغداد وغيرها من العواصم إذا أمطرت في موسكو.

ولم تقتصر عملية الرفض على النموذج المعني وحده، بل شملت تجربة الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي اتهمت بأنها الوجه الآخر الناعم للنظام الإمبريالي العالمي. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي نتيجة التراكمات السلبية التي خلخلت كيانه ومفاصله، راجت موضة سياسية جديدة في منطقتنا، تمثلت في المطالبة بالديمقراطية، والدعوة إليها، واعتبارها الحل السحري لجميع مشكلاتنا؛ ومن دون أن يتم التدقيق في طبيعة النظام الديمقراطي ومستلزماته وآلياته، ومدى استعداد مجتمعاتنا للأخذ به.

فقد اختزلت العملية الديمقراطية بأسرها في أذهان الكثير من المثقفين والسياسيين والناس على وجه العموم، في الانتخابات التي تسفر عن فوز الطرف الحاصل على النسبة الأكبر من الأصوات. فالانتخابات في منطقتنا كانت، ومازالت، في ظل الأنظمة الاستبدادية مجرد استفتاءات أقرب إلى المبايعة للنظام القائم، يتم التخطيط لها، وتنفيذها بإشراف وتدخل مباشرين من قبل الأجهزة الأمنية التي تتحكم بأسماء المرشحين، ونسبة الفوز؛ وتملي على الفائزين بأمرها ما مجالس الشعب والشورى ما ينبغي عليهم أن يقولوه، ويصوتوا عليه، أو يمرروه.

وفي هذا السياق، أتذكر تعليقاً لمدرّسة اللغة السويدية في بدايات لجوئي إلى السويد قبل نحو ربع قرن من الزمن، مفاده أن الديمقراطية ليست سلعة تُشترى من السوق، بل هي عملية تراكمية مستدامة، تشمل جميع مناحي الحياة.

لم استسغ في ذلك الحين كلام المدرّسة، بل وجدته من جانبي ينم عن نزعة استعلائية؛ ولكن مع الوقت، وبعد المزيد من الاطلاع والاستيعاب والمقارنة، فهمت الدلالات العميقة لرأيها الصائب. فالديمقراطية تتناقض مع قمع حريات التعبير والنقد والاحتجاج والاجتماع؛ وهو القمع الذي بات في مجتمعاتنا من المألوف اليومي حيث يمارس القمع ضد الأطفال والنساء على مستوى الأسرة، وبحق التلاميذ والطلاب على مستوى المدرسة والجامعة، وبحق كل من هم خارج منظومة الحكم على مستوى المجتمع. لا توجد أحزاب مستقلة يعترف القانون المفروض بها، أحزاب تستطيع ممارسة نشاطاتها بعيداً عن رقابة وموافقات الأجهزة الأمنية، ومن حقها أن تحصل على دعم حكومي يتناسب مع الأصوات التي قد حصلت عليها، فهذا الدعم هو في حقيقته من مال الشعب، ومن حقها أن تحصل عليه لتتمكن من ممارسة نشاطاتها، وتعبر عن آرائها ومواقفها عبر وسائل الإعلام العامة.

أحزاب مبنية هي الأخرى على الأسس الديمقراطية، وتعتمد سياسات وبرامج لا تتعارض مع القيم الديمقراطية التي تتمحور حول احترام إنسانية الإنسان قبل اي اعتبار آخر. إلى جانب الأحزاب، يستوجب النظام الديمقراطي وجود مجتمع مدني فاعل، أساسه حرية التعبير والتنظيم والاجتماع.

كما يستوجب النظام الديمقراطي اعتماد مناهج دراسية تركز على القيم الديمقراطية في مختلف المراحلة الدراسية، لا سيما في المراحل الأولى الأساسية. مناهج تؤكد قيمة الإنسان كإنسان بغض النظر عن دينه أو عرقه أو قوميته أو جنسه أو فكره. وتنمّي في الطلبة المَلَكة النقدية؛ وتمكنهم من التعامل النقدي مع مصادر المعلومات، خاصة في عصرنا هذا، عصر ثورة وسائل الاتصالات والمعلومات. وتراجع نسبة القرّاء الجادين، وتعاظم نسبة أولئك الذي يستمدون معلوماتهم ومعارفهم من وسائل التواصل الاجتماعي.

لا نرمي بهذه الملاحظات تثبيت فكرة استحالة تحوّل مجتمعاتنا إلى مجتمعات ديمقراطية؛ وإنما ما نريد بيانه هو أن ذلك لن يتحقق بعصا سحرية؛ وإنما يتطلب عملاً شاقاً متواصلاً، ومراجعة فكرية شاملة لجملة المفاهيم والتصورات الأيديولوجية التي رسختها الحركات السياسية في مجتمعاتنا، وأصبحت مع الوقت جزءاً عضوياً من أدوات التفكير وبناء الرأي لدى الكثير من المثقفين. وحتى المفكرين، الذين لم يشغلوا أنفسهم كثيراً ما تحولوا إلى مبشّرين بانجازات المجتمعات التي سبقتنا في ميدان التقدم على مختلف الأصعدة، خاصة في ميدان ضبط العلاقة بين الدولة ومواطنيها عبر تأكيد حيادية الأولى، وحق المواطنين في التعبير عن آرائهم، وحقهم في الحياة الحرة الكريمة؛ ووجود آلية دستورية واضحة شفافة تحدّد الحقوق والوجبات. كما تضبط آلية وقواعد البت في الخلافات والمنازعات، سواء بين السلطات، أم بينها وبين المؤسسات الفرعية، وحتى على صعيد علاقتها مع الأفراد.

فالنظام الديمقراطي، رغم كل مثالبه وهشاشته، والمخاطر التي قد يتعرض لها من جانب الشعبويين والمتطرفين الذين يسعون لاستغلال النظام المعني لبلوغ السلطة بغية فرض تصوراتهم وسياساتهم، وضمان مصالحهم، من دون إعطاء أي اعتبار للقيم الديمقراطية، ولزوميات النظام الديمقراطي؛ يبقى النظام الديمقراطي رغم كل ما تقدم، أفضل الأنظمة السياسية التي أنتجتها البشرية. وهو نظام يمتلك القدرة على تجديد ذاته، ومعالجة أخطائه، عبر تأكيد أهمية القيم الإنسانية، وتقديم نماذج حية واقعية لقادة يثبتون بأفعالهم قبل أقوالهم أن مفاسد السلطة لا تنال الجميع.

ويُشار هنا بصورة خاصة إلى المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل التي أثبتت للقاصي والداني أن الالتزام بالقيم الإنسانية تمنح القائد السياسي قوة لا تضاهى. أما نموذج ترامب البائس الشعبوي، فقد مثل خطراً جدياً على الديمقراطية الأمريكية والأنظمة الديمقراطية بصورة عامة في العالم؛ وذلك نظراً لحجم وقوة تأثير النموذج الأمريكي.

غير أن الشعب الأمريكي استطاع في نهاية المطاف بوعيه وإصراره على التمسك بانجازاته الديمقراطية، أن يتجاوز هذا الخطر. هذا مع إقرار الجميع، وفي مقدمتهم الرئيس الجديد جو بايدن نفسه، بأن حجم التحديات كبير، على المستويين الداخلي الوطني الأمريكي، والخارجي العالمي. فهناك حاجة ماسة لبذل جهود مركزة في جميع الاتجاهات والميادين لوضع حد لمعاناة الفقراء، وإعادة التوازن إلى المعادلات الدولية المختلة.

دور ريادي تاريخي ينتظر أمريكا وحلفاءها الأوربيين لانقاذ الديمقراطية في العالم من خطر الاستبداد على المستويين الدولي والإقليمي، هذا الاستبداد الذي وصل إلى درجة من العنجهية يتفاخر بموجبها بفاعليته وقوته في مواجهة إرادة الشعوب، بل يحتقر تطلعاتها، ويستهتر بحقوقها، ويرتكب الجرائم لردعها عن المطالبة بما قد بات في عالم اليوم في عداد البدهيات.

كاتب وأكاديمي سوري

اقتحام أنصار ترامب لمبنى الكونغرس

رأي

قانون اسرائيلي يجرم التواصل بين فلسطينيي الداخل والشتات

كاريكاتير: محمد سباعنة

سعيد يقطين

الربيع العربي: وماذا بعد عشر سنوات؟

لا يمكن للأحداث التي عرفها الوطن العربي منذ عشر سنوات إلا أن تثير التصورات والمواقف المختلفة بل والمتناقضة سواء كانت عربية أو أجنبية. لكن القفز على الوقائع، واعتماد التأويلات المتباينة لا يمكنها أن تغطي الحقائق التي تتعالى على التحليلات الجزئية، والأحلام الطارئة والمؤجلة، والأساطير الواهية التي تستغل ما وقع لغايات ومقاصد خاصة ترمي من ورائها إلى الإيهام بتقديم بدائل تتعارض مع ما فرضه الواقع الفعلي الذي أدى إلى تلك الأحداث، متصورة أنها بذلك ستؤدي إلى خلق واقع جديد يخدم مطامحها ومصالحها الخاصة. وبعد عشر سنوات تستأنف المظاهرات في الشارع التونسي، وكأن الزمن ظل متوقفا طيلة كل هذه المدة. هناك ثلاث حقائق يتم تجاهلها حين نتحدث عن الربيع العربي أسوقها بإيجاز واختصار.

الحقيقة الأولى: المشاكل والمطالب الموحدة:

أبان الربيع العربي أن الشعب العربي واحد، وأن مشاكله موحدة، وطموحاته للتحرر من ربقة العسف مشتركة، ولن يكون مستقبله سوى واحد. لا أريد التركيز هنا على العوامل التي جعلت الشعب العربي واحدا رغم تعدد الأوطان، والدول، ورغم تنوع الأعراق واللغات والطوائف. فهذا معروف لدى الجميع حتى من لدن من ينكرونه معاندة وجحودا. إن التاريخ المشترك الذي يتعدى أربعة عشر قرنا صنع متخيلا شعبيا موحدا، وساهم أيضا في صناعة واقع واحد هو الذي يجمع بين كل من يعيش في هذا الوطن العربي. وإذا تداعى أي عضو في هذا الجسم في قطر عربي ما تسهر له أعضاء أخرى في أقطار أخرى. وتقدم لنا الوقائع المادية منذ الصليبيين إلى حروب الاستعمار إلى الاستقلالات السياسية إلى الآن ما يؤكد ذلك. لن أتحدث عن أصداء ما كان يقع في فلسطين أو في العراق أو في لبنان منذ أواسط القرن الماضي وحتى نهايته... في الكثير من الأقطار العربية. وليس الربيع العربي آخر مثال: فاندلاع ثورة الياسمين في تونس حركت المشترك، على الأصعدة كافة، وجعلت صرخة المطالبة بتغيير السائد من أجل الخبز والكرامة والحرية واحدة ومشتركة.

استغلت جهات طائفية، وعرقية، ودينية، وسياسية ما وقع لتقدم بدائل لما كان سائدا، فجاءت الموجة الثانية، بعد ثماني سنوت على الموجة الأولى في السودان والجزائر ولبنان والعراق لتؤكد أن من يزعم أن هناك خلافات من الموقف من الربيع العربي واهم، وأننا جميعا في الهم شرق، من جهة أولى. ولتبين من جهة أخرى أن الطائفية والمحاصصة والحكم العسكري مهما كانت شعاراته ضد تحقيق المطالب الشعبية. ورغم اختلاف آثار هذا الربيع على الأقطار العربية بحسب «خصوصية» كل منها الجيوسياسية، فإن القاسم المشترك ما زال قائما. وأن آفاق الانتظار والتوقع مفتوحة على المستقبل الذي يمكن أن تتولد فيه موجات أخرى.

الحقيقة الثانية: مطالب شعبية لا ثقافوية:

إن الشعب الذي عبر عن رفضه للواقع المشترك والسائد، أيا كان النظام العربي، لم يكن يطالب بنظام تسود فيه المسيحية، أو تحكم فيه السنة، أو الشيعة، أو الطائفة، أو عرق معين، أو تهيمن فيه لغة خاصة، أو يعود فيه العسكر إلى الحكم. لقد تعايش هذا الشعب مع كل اللغات والطوائف والأعراق، وكان كل أفراده يتقاسمون الآلام والأحلام المشتركة، وكلهم ساهم في هذا التاريخ الطويل بإيجابياته وسلبياته. ومن ينبش اليوم ذاك التاريخ وما قبله، محاولا توزيع الهويات حسب أهوائه، فيجعل هذا أمازيغيا، وذاك كرديا، وهذا سنيا أو شيعيا تظل رؤيته لا تاريخية ولا علمية ولا واقعية. إن كل ما نجم من آثار الربيع العربي كان ردود أفعال حاول الكل استغلالها لفائدته، أو توجيهها لمصلحته، سواء كان رافضا للأحداث أو معها.

لقد تشكلت الهويات في الوطن العربي بتشكل الحدود التي خلقها الاستعمار والتي دافعت عنها الدول التي جاءت بعد الاستقلالات وعملت على تكريسها. وصار كل منها يسعى لـ«يخلق» له تاريخه الخاص ضد التاريخ العام والمشترك. لكن النبش في تلك التواريخ وإحياء بعض «علاماتها»، وادعاء «ملكيتها» لا يمكنه أن يحل المشاكل الحقيقية التي تتخبط فيها الشعوب وهي تعاني من الفساد والقمع وخنق الحريات وسياسات التجهيل والتفقير خلال عدة عقود. الشعب يحلم غدا بالمستقبل الذي يطمئن فيه على أبنائه، وعلى مصير الأجيال القادمة. وفي هذا اليوم، يحلم بما يمكن أن يسد به الجوع، وتتحقق له فيه الكرامة، والحرية في «الوطن» الذي يحمل جنسيته. هذه هي المطالب التي رفعها، وسيظل يرفعها الربيع العربي. وهذا هو المشترك الذي يجمع كل مواطني وشعوب الوطن العربي أيا كانت أصولهم أو ما يدعون أنها كذلك. إن الباحث الذي لم يجد المختبرات والمراكز التي تتفتق فيها مواهبه وإمكاناته يخلي لك كل التاريخ الذي تفتخر به، أو تسعى إلى إحيائه، ما دام يجد مكانا ما في العالم، لا علاقة له به، تتحقق فيه ذاته؟ كما أن الشاب العاطل مستعد في أي وقت لكي لا يتكلم لغتك إذا وجد مكانا يستوعبه، ويمكنه من تعلم لغته إذا ما وفر له لقمة سائغة. إن كل المهاجرين والمهجرين من الوطن العربي، أيا كانت جنسياتهم أو لغاتهم، أو أعراقهم، لم يختاروا الهجرة إلا إكراها واضطرارا.

الحقيقة الثالثة: وهم أزلية السلطة:

تؤكد الحقيقتان السابقتان وجود واقع مشترك ومطلب موحد لدى شعوب الربيع العربي. فما الذي أدى إلى تأكيد هاتين الحقيقتين حتى تولدت هذه الأحداث؟ إنها الحقيقة الثالثة التي ترى أن السلطة أزلية لمن يمتلكها أيا كانت الطريقة التي وصل بها إليها. وبما أن السلطة توفر المال والحرية فإن من لا يملكها عليه أن يعيش حياة الفقر والعبودية، والتصفيق وإلا عُدّ معارضا. هذه الحقيقة تؤكد بدورها المتخيل الموحد نفسه عند الحاكم العربي وتجعله أيا كان النظام، يشترك مع نظرائه في ممارسة حقه كما يحلو له حتى آخر حياته، وإذا كان النظام جمهوريا يورثه لأحد أبنائه أو إخوانه.

لم يتحقق بعد عقود من اشتغال هذين المتخيلين لدى الحاكم والشعب أي من الأحلام الشعبية الكبرى، أو من المطالب الحياتية الصغرى التي ظل يوعد بها. فكان الانفجار الذي اختصره الشعب في كلمة: كفى! وأبانت العشر سنوات أن دار لقمان على حالها، وإن تبدلت الوجوه والأقنعة. فالصراع على السلطة محموم، وكل يريد أن يحتلها، بشعارات متعددة و«بديلة» ليمارس الأدوار نفسها التي جاء الربيع لمناهضتها، وكل يستعين بمن يمده بما يفرض به نفسه على غيره.

لماذا هيمن هذا المتخيل المزدوج والمشترك لدى طرفي المعادلة في الوطن العربي؟ إن المتخيل الشعبي، لا المثقفي، واحد لأنه ظل مشدودا إلى التاريخ والأحلام الكبرى التي لا تجعله يميز بين ما هو قطري وما هو عربي. فهو يحلم بوطن كبير يتحقق فيه التعاون بين الأقطار العربية ليعم الرخاء والعيش الكريم. أما متخيل الحكم فهو يرى القطر الذي يحكمه موئل سلطته الأبدية. وعليه استغلال ما هو متصل بالمتخيل الشعبي في شموليته لخدمة مصلحته الخاصة. وهنا مكمن التمايز بين المتخيلين وتناقضهما اللذين أديا إلى الانفجار.

ماذا بعد عشر سنوات من الأحداث؟ ما دمنا لا نطرح الأسئلة سنظل نستنسخ الإجابات المولدة للكارثة.

كاتب مغربي

احتجاجات المزارعين في الهند

شددت الشرطة الهندية السبت التدابير الأمنية في محيط مخيمات حيث يتظاهر مزارعون ضد قوانين جديدة لإصلاح قطاع الزراعة، بينما توافد الآلاف للانضمام للحراك.

وقطعت السلطات الإنترنت عن معظم المخيّمات حيث يعتصم عشرات آلاف المزارعين منذ تشرين الثاني/ نوفمبر في إطار مطالبتهم بإلغاء القوانين.

وارتفع منسوب التوتر منذ تحوّلت مسيرة حاشدة على متن جرارات إلى أعمال فوضى اجتاحت نيودلهي حيث قتل شخص وأصيب المئات بجروح على إثر صدامات وقعت بين مزارعين وقوات الأمن.

ووصل 10 آلاف متظاهر جديد منذ الخميس لدعم الحراك، وفق ما أفاد مراقبون.

كما تم نشر قوات أمنية إضافية بعدما اندلعت صدامات الجمعة بين مزارعين وأشخاص مناهضين لحراكهم.

أداب وفنون

كاتب بين ضفَّتي المتوسط: نموذج عبدالفتاح كيليطو

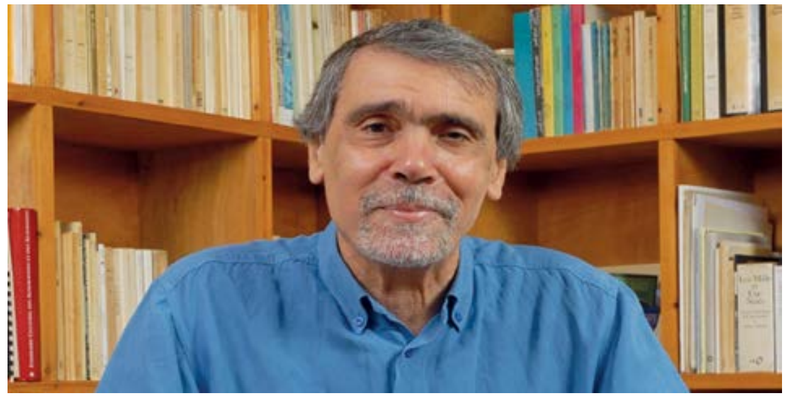

إبراهيم محمود

في مجمل أعمال الكاتب والباحث المغربي الكبير عبدالفتاح كيليطو (1945–...)، من الصعب تجاهل الآخر «الأوروبي» في أيّ منها، وهي في الكثير منها عبارة عن مقالات ونصوص أدبية وثقافية قصيرة. وهذا شاهد عيان بليغ طبعاً، على أنه انطلق من ولادته «الثانية»: الثقافية، وعيناه على الآخر، بوصفه مثال الدرس الذي يغْنيه في كتابة موضوعاته، لا بل ويعرّفه التعريف المعاصر ليس على أدبه العربي «الكلاسيكي» فحسب، وإنما على غالب ثقافته العربية والإسلامية في الوقت نفسه، لتكون ضفتا المتوسط الفاصلتان بين عالم وآخر، بينهما فرْق كبير في اللغة والثقافة والأدب والنظرة إلى العالم، محكّ اختبار له، ومراجعة ذاتية بين كيفية النُّهل من ثقافة الآخر: الفرنسية التي اعتاد قراءتها والكتابة بها كثيراً، والعربية: لغته الأم وثقافته، وهي بطابعها المركّب: الديني والقومي بالقابل.

كيليطو الذي لا يخفي أنَفته، وهو بصدد الحديث عن ثقافة الآخر، الأجنبي «الفرنسي، ومن خلاله، عبر الفرنسية»، وحين يتناول موضوعات مختلفة من ثقافته لا يمكنه إخفاء مدى التأثر بثقافة الآخر هذه: فكراً وأدباً، رغم أنه برع كثيراً، وخلاف نسبة كبيرة من الذين أقبَلوا على الآخر ثقافياً ممن سبقوه أو تلوه، وعاشوا في قالبه دون مراجعة. في هذا النوع من العلاقة المركّبة في الصميم، يسهل تبيّن طبيعة هذه المفارقة التي تلوّن عالمه البحثي، وفي أمكنة مختلفة من كتاباته. أشير هنا، جهة الإحالة المرجعية إلى أعماله الصادرة عن دار توبقال– الدار البيضاء على صعيد تاريخ طباعة كل منها، بغية الرجوع إليها عند اللزوم.

في التمهيد لكتابه « الأدب والغرابة»، 1982، ج 2، 2015، يشير بشكل لافت إلى كيفية خروجه من عالمه الضيق إلى ذلك العالم الواسع والذي مثّلته الثقافة الأجنبية الفرنسية، «لغة المستعمر سابقاً»، ويظهر كيف أنه استصعب قراءة منبر ثقافي فرنسي وبالفرنسية. الضفة المتوسطية المقابلة لضفته كانت بين يديه، وإنما تتحداه ثقافياً، ولم يجد بُدّاً من الانشغال بثقافتها. وأستغرب كيف أنه لا يستطيع تذكر السنة وليس السنة التي تخص حديثه عن المجلة المذكورة، وقد كانت مفصلية في حياته. وبعدها يحصل ما كان سبباً لظهور كيليطو الذي يعرفه قارئه العربي، إنما الأجنبي وبالفرنسية كذلك في لغة تأكيد الذات: «في ذلك الجو ومع مرور الأيام، تغيَّرت نظرتي إلى الأدب» ص 8.

يتأتى ذلك من في توضيحه لتلك المفاهيم الأكثر قرْباً إليه، واشتغالاً عليها من ناحيته: النص والأدب، وهذا ليس بالأمر السهل لحظة تناول العلاقة التاريخية العميقة بينه كمكوّن ثقافي، تربوي، ونفسي، وطبيعة قراءاته ونوعية كتابته. وهنا يكون الأدب حين ينوّه إلى لزوم التفريق بين الأدب، وهو في مفهومه الخطابي والأخلاقي، والأدب بمفهومه الأدبي الخالص، وكما هو مكتوب بالفرنسية. يستشهد في الحالة الأولى بكتاب ابن La literature، ويؤرخ للثاني، ككلمة تبعاً للسجلّ التاريخي الأجنبي: «المفهوم الذي تؤديه حديث الميلاد لا يتعدى عمره قرنين من الزمن». ص 21.

إذا تابعنا مسيرة كيليطو الاحترافية، نتلمس الكثير في بنية العلاقة «المتوسطية» في بنيانه الثقافي، حيث يتقطع السرْد تحت وطأة التثاقف، وغواة ثقافة الآخر هنا. في الاستهلال الجديد، والمتعلق بدراسته للمقامة الخامسة للحريري، 1987، وفي الطبعة الجديدة 2015 ص229، وفي إشارة لافتة إلى الشدياق، وكيف ألح إلى ظهور أسلوب جديد في الكتابة، سوف يعرّف به، وهو بطريقته تلك، كما لو أنه يسدل الستار على الحريري، الرمز الثقافي العربي - الإسلامي قبل ثمانية قرون: «ذلك أن أفول الحريري تزامن مع اللقاء بالأدب الأوروبي وما نتج عنه من استشراف آفاق جديدة في الكتابة. ليس بالإمكان وضع تاريخ محدد لهذا التحول، لكن سنة 1885 قد تكون دالة، فخلالها نشر اللبناني أحمد فارس الشدياق في باريس – وهذا شيء له دلالته ولا يجوز إغفاله – الساق على الساق، سيرة ذاتية بضمير الغائب. أعلن الشدياق على الفور أن القارئ لن يجد في تصنيفه أسجاعاً ومحسنات بديعية، وأضاف بلهجة متعالية أن ما على المولعين بهذه الأمور إلا التوجه إلى مقامات الحريري».

كيليطو يؤرخ لعلاقة شهدت انزياحاً في مفهوم التعامل مع الذات والآخر طبعاً. سوى أن هذا التأريخ من لدن كيليطو بالذات يشكّل شاهد عيان آخر وأمضى، وهو يضاف إلى جملة المؤثرات التي كان مسرحاً ذاتياً لها، وانشغل به، وكتب في مناخها أيضاً، كما لو أنه، ومن خلال المثال الأول، كان شدياقياً، وإن لم يصرّح مثله مباشرة.

في كتابه «ترحيل ابن رشد»، 1997، ج1، ط2، 2018، هناك بحث يخص به «أسباب السفر» ومن خلال ابن بطولة، الأشهر من أن يعرَّف. يتناول فيه أسباب سفره، ويوجز إحدى النقاط في إنارة رحلته، بأن المقصد منها طلب العلم: وتحولات مستمرة، وانفتاحاً على العالم، ونقوداً لا تهدأ لمختلف مفاهيمها، وفسحة الحرية المتشكلة هنا، والتي تعرّف بباعها الطويل، جهة المفردات القائمة، والأرضية المساعدة على طرح أي موضوع خارجاً دون تردد.

في الحديث عن يوم مشهود له تاريخياً، بصدد جثمان «ابن رشد» والأثير كثيراً على كيليطو (ج1، ص63–64)، ويقرأ عنه في أكثر من مقال وبحث، هناك إشارة مفعمة بالحزن العميق، أو الحداد الذي لا يبدو عليه مفارقاً لأهليه إلى الآن. يشير في «ترحيل ابن رشد»، وقبل ثمانية قرون، استناداً إلى ابن عربي في « الفتوحات المكية »، حيث تقابلَ تابوته ومؤلفاته «يا للروعة الصادمة حقا!». ويتم نسيانه، حتى يعاد «إحياؤه» أوروبياً، وهو مبعث فخار هنا: «ستدفن الجثة في قرطبة، لكن الكتب ستتابع السفر. ستُترجَم إلى العبرية، ثم إلى اللاتينية، ووجودها سيطبع بقوة النقاش الفلسفي حتى القرن السادس عشر... سيحيا» أي ابن رشد، «عند اللاتين حياة بعد الوفاة»...الخ.

هذه الكتابة لا أعتقدها سُطِّرت، فقط للتنويه إلى لائحة المفارقات في الثقافة التي ينتمي إليها، وإنما للتأكيد على أن ابن رشد ما زال رحالة أمكنة، أو بدقة أكثر، ما زال ترحيله المعنوي قائماً، ومن خلال كم وافر من الدلالات، طالما أن هناك عملية انتقال الباحث عما هو معرفي، والأهم، عما يجعله كائناً يتنفس الحرية والأمان والاستقرار، ويكون له شأن. وكأن كيليطو هو ابن رشد، كأن ابن رشد يجد مبتغاه في كتابة كيليطو، إعلاماً ببؤس الجاري عربياً، ودون التقليل من خاصية جرح كيليطو النازف، وهو يقبل على تناول موضوعات كهذه. إنما، في الوقت نفسه، إلى أن كيليطو، وهو مقيم على الضفة التي تصله بأهله وأسلافه، تتراءى عيناه وهما تتركزان على الضفة الأخرى، بمقدار ما تتابعان كل جديد هناك، مهما أبدى من تحفظات على نوعية علاقة الآخر «الأجنبي» بتاريخه ومن ينتمي إليه، حيث تكاد المقارنة تنعدم، على وقْع تفاوتها، ليكون كيليطو، بطريقة كتابته هو الآخر لنفسه، الآخر للمحيطين به. وربما أكثر من ذلك، الضفة المتوسطية الأخرى، والتي تحاول تحريك الساكن في المساحة الواسعة، بل الهائلة من جغرافية متوسطه، والتي تتعدى نطاق الصحراء، بمعان شتى، حيث يناوب بين التحدث، وكذلك الكتابة بلغتين: لغته المفجعة له، ولغة الآخر الموجعة له، بعائدها النفسي وأبعد.

الإمْبْرَسارْيَو دْياغِيْلَفْ صانع المعجزات الفنية

بشّار لؤلؤة

أن يكون أحدهم منتجاً أو مخرجاً أو مؤلّفاً لعمل فنّي ما، فهذه المهن ليست منغلقة على الفهم لدى غالبية مَن يقرأ، وإن ظلّت تفاصيل طبيعة العمل في كلٍّ منها غامضة للغاية حتى لدى غالبية المتلقّين للعمل الفنّي. لكن ماذا نسمّي الشخص الذي سبق كل هؤلاء فأوجد الظروف الملائمة كي يرى ذلك العمل الفنّي النور في المقام الأول؟ ولا أقصد هنا مصدر الإلهام لمؤلف الأوبرا أو الباليه، ولا الكاتب أو الشاعر الذي صاغ القصائد أو السيناريو أو الحوار، ولا حتى الشخص الذي قام بتكليف كل هؤلاء، بل الشخص الذي لمعت في ذهنه فكرة أن يقوم «س» من الناس بتأليف العمل الفني «ص» من أداء فنانين معيّنين «ع» بناءً على نص للكاتب «ف» (وبتمويل من «ق» من الناس) بعد أن كان قد التقى بكل هؤلاء المبدعين فوجد أن كلاً منهم يلائم الآخر، ويشحذ خيال الآخر، ويدفع بالآخر إلى المثابرة وصولاً إلى الكمال والأصالة وجزالة التعبير عن حال الإنسان. فهذا بالضبط دور الإمبرساريو، وهي كلمة إيطالية، بمثابة اسم فاعل، يعني جذرها «الانطباع». فهذا الشخص يجمع انطباعاته عن هذا المبدع وذاك في هذا المضمار وذاك، ثم يؤالف بين مَن ينتقي كي يقدّم أعمالهم الفنية لجمهور الحضور تلك الأعمال الفنية التي لم يحلموا هم أنفسهم يوماً بها! ولا يختفي شخص كهذا خلف الكواليس وحسب، بل خلف جمع غفير من المتلقّين هذا إذا كان حاضراً على الإطلاق! تُرى هل لنا أن نطلق على ساحر كهذا لقب المؤلف؟

لقد سأل عاهل إسبانيا، ألفونْسو الثالث عشر (1886–1941) سَرغيه دْياغيْلَف (1872–1929) مازحاً ذات مرة، وهو يستضيف فرقته الروسية لأداء الباليهات في مدريد: «وماذا تفعل إذاً في هذه الفرقة؟ فلا أنت تخرج باليهاتها، ولا أنت ترقص فيها، بل ولا تعزف فيها حتى البيانو، فما هو دورك، يا تُرى؟» فأجابه دياغيلف: «أنا مثلك تماماً، يا جلالة الملك. فأنا لا أشتغل، بل إنني لا أفعل شيئاً البتّة. لكن لا غنى عنّي».

وأترك للقارئ أن يقدّر عمق الجرأة وسعة الخيال ومدى النشاط وحجم الإرادة وغيرها من الخصال التي وجب أن تجتمع في امرئ ما كي يقوى على تأسيس فرقة باليه محترفة جوّالة لعقدين من الزمان (1909–1929) وإدامتها وتذليل العقبات الجمّة في طريقها؛ فرقة باليه لا تكرر التراث بل تبني عليه وتجدد فيه وتذهب بعيداً لإعادة صهره من جديد اعتماداً على مواهب شتى جلّها من روسيا التي عصفت بها الحروب والثورات والتمرّدات والثورات المضادة، فبدا حكم سلالة رومانوف القيصرية متزعزعاً للغاية (1613–1917) لا سيّما في أعقاب هزيمة الروس النكراء في مواجهة إمبراطورية اليابان (1904–1905)، وما يُدعى بالثورة الروسية الأولى. وفي خضمّ الحرب الكبرى (قبل أن تُدعى بالحرب العالمية الأولى) التي اندلعت في صيف 1914 ودامت حتى 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1918 وثورة شباط/فبراير 1917 التي أنهت حكم سلالة رومانوف إلى غير رجعة والتي أفضت إلى ثورة تشرين الأول/أكتوبر 1917 التي أخرجت روسيا من تلك الحرب ثم ما لبثت إلّا وأدخلتها في تمردات وثورات مضادة تقودها جهات متنوعة، منها الجيش الأبيض في مواجهة الجيش الأحمر، لم يخمد رمادها حتى 16 حزيران/يونيو 1923.

لكن دياغيلف ظل طوال تلك السنين ورغم كلِ المآسي التي لحقت بالبشرية آنذاك يقدّم موسماً متألقاً من الباليهات الجديدة تلو الآخر، في باريس ثم لندن فمدريد فميلانو، ومن ثم في الأمريكتين، لاقى كلٌّ منها إقبالاً لافتاً غيرّ مجرى تاريخ فنون الأداء، وكأن لسان حاله يقول: إذا لم تكن الغاية أن نتذوّق الفنون الراقية، من رقص وموسيقى وشعر ورسم، وأن نضيف إليها، فمن أجل ماذا إذاً نتمسّك بالحياة؟

وُلد سرغيه في عائلة روسية إقطاعية ثرية وموسيقية في التاسع عشر من آذار/مارس 1872 في التقويم اليوليانى في قرية سَيليشْتشي على بعد 162 كم إلى الجنوب الشرقي من مركز العاصمة آنذاك، سانت بطرسبورغ، وتوفيت أمه، أفغينيا، جرّاء الولادة. وبعد سنتين تزوّج والده، العقيد في سلاح الفروسية القيصري، شابة باسم أيلينا تتذوّق الفنون وتهواها، وسرعان ما لاحظت أيلينا لدى سرغيه حسّه المرهف وولعه بالفنون فأصبحا روحين متآلفتين، وشجّعته على دراسة الموسيقى والغناء، وكان لتشجيعها هذا أبلغ الأثر في نفس ربيبها الذي ظلّ يذكره مدى حياته.

ونشأ سرغيه في منزل أجداده في مدينة بَيرْمْ النائية عن العاصمة والقريبة من جبال الأورال التي تفصل روسيا عن سيبيريا، وأوروبا عن آسيا، وتخرّج في مدرستها الثانوية في 1890 وهو محاط بجمال الطبيعة من سهول وأنهار وغابات خلّابة ولّدت في نفسه ولعاً جمّاً باللوحات والمنحوتات الروسية التي تحاكي ذلك الجمال وتعكس شيئاً منه. وجرت العادة في دار العائلة على تقديم أمسيات أدبية وموسيقية أسبوعياً، إذ كان والده يحفظ أوبرات كاملة عن ظهر قلب ويؤدّيها، جنباً إلى جنب مع زوجته الشابة وثُلّة من الأقارب والأصدقاء، الذين أخذوا يلقّبون المنزل بعبارة «أثينا بَيْرْم».

والتحق سرغيه بكلية الحقوق في جامعة سانت بطرسبورغ وأخذ يضيف على محاضراتها دروساً في الغناء والتأليف الموسيقي في كونسرفاتوار العاصمة. بيد أن أستاذه في التأليف، نيكولاي رِمْسْكي–كورساكوف (1844–1908)، صاحب «شهرزاد» وغيرها من الأعمال الموسيقية، نصحه ألاّ يواصل دراسة الموسيقى لانعدام موهبته فيها! ولم تمنعه هذه النصيحة، التي قد تبدو ساحقة ماحقة للوهلة الأولى، من متابعة اهتمامه بالفنون بقضّها وقضيضها، إذ إنه كان يتمتع بثقة عالية بالنفس رسّختها فيه زوجة أبيه، أيلينا، منذ نعومة إظفاره. فراح يؤسس مجلة «عالم الفن» التي تُعنى بالفنون الجميلة، وينظّم معارض الفن الروسي في العاصمة أولاً وفي باريس ثانياً، ثم أخذ ينتج أوبرات أستاذه في التأليف الموسيقي وباليه «سِلْفيا» للفرنسي ليو دَلِيْبْ (1836–1891) في العاصمة، ثم ركّز على باريس فقام بتنظيم خمس حفلات من الموسيقى الروسية في 1907، ثم الأوبرا الكبرى «بوريس غودونوف» لمودَيست مُوسَورْغْسْكي (1839–1881) في 1908، حيث قام بأداء الدور الأساس فْيُودَور شاليابين (1873–1938) أحد أروع مغنّي الأوبرا العالمية وأعذبهم موسيقيةً، ثم الموسم الأول من الأوبرات والباليهات الروسية ابتداءً من التاسع عشر من أيّار/مايو 1909 الذي يعدّ تاريخ انطلاقة فرقته للباليهات الروسية، حيث لمع نجم راقصة الباليه الروسية آنّا بافلوفا (1881–1931) ونجم راقص الباليه البولندي فاسلاف نيجينْسْكي (1889–1950). ويبدو أن الباليهات طغت على الأوبرات فلم يعد دياغيلف يقدم الأوبرات من بعد ذلك الموسم الأول وحتى مماته بعد موسمها العشرين في التاسع عشر من آب/أغسطس 1929 في البندقية.

وكما عصفت رياح التغيير بالنُّظم البالية في روسيا وغيرها من البلدان في الربع الأول من القرن العشرين، شهدت فنون الشعر والأدب والموسيقى والفنون التطبيقية ثورات على الأنماط والهياكل المتوارثة الجامدة. فراح الشعراء ينتفضون على قيود الوزن والقافية، ويتجاوزون حدود ما كان متّبعاً من حيث المحتوى. وذهب مؤلفو الموسيقى إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير فصار وزن القطعة لا ثنائياً ولا ثلاثياً ولا رباعياً، بل خماسياً وسباعياً وهلمّ جرّا، بل ولم يعد وزنها ثابتاً بل تراه يتغير من مازورة إلى أخرى. ولم يعد من الممكن متابعة القطعة على أنها سلسلة من الجمل الموسيقية تتكامل بنيوياً عبر موشور الزمن. وأمست السلالم الموسيقية التقليدية قليلة الأهمية، كي لا نقول عديمتها، إذ دخلت سلالم وأنظمة نغمية من ثقافات غير غربية، ومن ابتكار مؤلفين روّاد، ما أضفى على الموسيقى الغربية ألواناً غنية للغاية لم تكن تعرفها من قبل.

لقد كان دياغليف وراء تجنيد وتكليف ألمع معاصريه من الرسامين، مثل بابلو بيكاسو (1881–1973) ومن مصمّمي الرقص، مثل ميشيل فوكين (1880–1942) وجورج بالانْشين (1904–1983) ومن مصممي المسرح والأزياء، مثل ليون باكْست (1866–1924) والكسندر بَنْوا (1870–1960) ومن المؤلفين بباليهات ما تزال مفصلية حتى يومنا هذا، مثل «ألعاب» للفرنسي كلود دَيبُوسي (1862–1918)، و«دافنيس وكْلُوَيه» للفرنسي كذلك موريس رافَيل (1875–1937) و«القبّعة ذات الزوايا الثلاث» للإسباني مانويل ده فايّا (1876–1946) و«أسطورة يوسف» للألماني ريخارد شْتْراوس (1864–1949)، و«الدكان الغريب» للإيطالي أوتّورينو رَسبيغي (1879–1936)، و«خطوة الفولاذ» للروسي سرغيه بْرُوكوفْيَف(1891–1953) .

ولعل أهم شراكة بينه وبين مؤلف ما كانت مع ابن بلده الآخر، إيغور ستراڤنْسكي (1882–1971)، الذي ألّف له بالبيهي «طير النار» ثم «بَتْرُوشْكا» في 1911 ثم باليه «طقوس الربيع» في 1913 الذي أقام الدنيا ولم يقعدها بعد، إذ تكاد لا تخلو قطعة كُتبت من بعده من شيء منه، كما أدت موسيقاه إلى إحداث انقسام حاد في الجمهور، تضارب فيه أعضاء الشقّين بالآراء والأيدي أثناء العرض الأول في صالة الشانز–أليزيه بباريس.

وتقول الباحثة جوي مَلْفِل، صاحبة الكتاب القيّم «دْياغيلف وأصدقاؤه» الصادر في لندن في 2009 «إن دياغيلف كان مثل قطعة المغناطيس التي اجتذبت المواهب الكبرى في التأليف الموسيقي والرقص وتصميم الرقص والمسرح والأزياء. وكانت موهبته هو ألاّ يدرك قدرة كل منهم في العطاء وحسب، بل أن يوفّق بين كلٍّ منهم وبين العمل وطرازه وحقبته كذلك».

لقد كان دياغيلف بمثابة النجمة التي تتغلب على قوى الجذب الكونية فتنشئ منظومتها الشمسية الخاصة بها، فهو مالئ الدنيا وشاغل الناس، إذ إنه يفتح أبواباً ويمهّد طرقاً للكثيرين من معاصريه ومن بعده للتجديد والابتكار وذلك على الرغم من الرفض القاطع بدايةً لدى قطّاع شاسع من المؤدّين، فما بالك بجمهور المتلقّين؟ نعود إلى الكاتبة جَوي مَلْفِل وهي تسرد وقائع أحداث من العام 1912 لا بدّ أنها تكررت في مدن شتّى في خضمّ تجوال الفرقة:

«كان قد تمّ التعاقد مع فرقة الباليهات الروسية بغية تقديم باليه بَتْرُوشْكا في دار الأوبرا في فينّا، لكن أعضاء الأوركسترا هناك رفضوا التدرّب على عزف موسيقى ستراڤنسكي المرافقة لذلك الباليه بحجة أن كل نوتة فيه تعارض أصول الهارموني، أو التناغم، التقليدية، ما جعلهم يشعرون بالإهانة لمحض مطالبتهم بأداء القطعة.

هنا طفح الكيل لدى دياغيلف، فوقف عند حاجز الأوركسترا وقد بدت على وجهه علامات الازدراء وقال: إنني أكاد لا أصدّق أنني أخاطب أعضاء أوركسترا دار الأوبرا الفيَنّاوية الشهيرة عالمياً، لا صانعي أحذية في مكان لم يسمع به أحد.

ثم أردف يقول إن ستراڤنسكي عبقري موسيقي يلاقي إعجاباً في أوروبا برمّتها، ولا بدّ أن ثقافة أعضاء الفرقة ناقصة إذا ما عجزوا عن استيعاب موسيقاه. بل وأضاف: إن فينا كانت قد اتّهمت بيتهوفن في عصر من العصور بالإخلال بقوانين الهارموني، فلا تظهروا جهلكم كما فعلتم من قبل!

وبعد هذا التوبيخ المجلجل، إنصاعت الأوركسترا للأمر الواقع وأخذت تتدرّب على عزف موسيقى ستراڤنسكي، وحين انتهت الجلسة، صفّق أعضاؤها لدياغيلف، فقام من مكانه في الصالة كي يبادلهم التحية وكأن شيئاً لم يكن».

تحقيقات

ميثاق مبادئ الجمهورية:
وسيلة لفتح أفق أمام مسلمي فرنسا أم أداة لأغراض انتخابية؟

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

بعد مفاوضات شابتها خلافات داخلية كثيرة بين المنظمات الهيئات الإسلامية المنضوية تحت مجلس الديانة الإسلامية الفرنسي، وضغوط مكثفة من قبل الحكومة ورئاسة الجمهورية (الاليزيه) في البلاد؛ تبنّت خمس هيئات من التسع التي يتكون منها المجلس يوم الأحد الـ17 كانون الثاني/ يناير الجاري، ميثاق مبادئ يهدف إلى توفير إطار عملي للأخلاقيات وقواعد السلوك التي يجب أن تنظم سير عمل مؤسسة يُنتظر أن ترى النور في المستقبل وتسمى «المجلس الوطني للأئمة».

وتم إضفاء الطابع الرسمي في اليوم الموالي على «ميثاق المبادئ» هذا خلال اجتماع في قصر الاليزيه مع الرئيس إيمانويل ماكرون الذي كان قد طلب صياغته، منتصف شهر تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، في ظل تزايد الضغوط على الحكومة والهيئات الإسلامية على خلفية مقتل مدرس التاريخ صامويل باتي ذبحاً، في منتصف شهر تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، بعد أن عرض خلال الدرس صوراً كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام. وتزايدت الضغوط ذاتها بعد الاعتداء الإرهابي داخل كنيسة نوتردام في مدينة نيس الساحلية والذي راح ضحيته ثلاثة أشخاص.

«الوصايا العشر»

شدد الميثاق في ديباجته على أن ألا شيء يمكنه أن يحل محل المبادئ التي قام عليها دستور الجمهورية الفرنسية، واستلهمت منها قوانين البلاد. وهو يتألف من عشر مواد، بما في ذلك، مادة تنص على التوافق التام بين القيم الإسلامية والمبادئ والقيم التي تغذي القوانين المعمول بها في الجمهورية الفرنسية، وعلى أن مسلمي فرنسا ينتمون بالكامل إلى المجتمع الوطني. ونص الميثاق أيضا على مبدأ المساواة بين النساء والرجال، كما شدد على رفض توظيف الإسلام لغايات سياسية، وعلى رفض التدخل الخارجي في شؤون المسلمين بفرنسا، وإدانة الأعمال المعادية للسامية، وبحرية الضمير والانتقال من دين إلى آخر.

وقد وصف عالم الاجتماع الفرنسي فرانك فريجوسي ما ورد في مضمون هذا الميثاق بـ«وصايا الإسلام الجمهوري العشر» على حد قوله. ويتعهد الموقعون على هذا الميثاق باحترامه وبالعمل من أجل السلم الأهلي ومحاربة جميع أشكال العنف والكراهية. وهو ما رحب به الرئيس ماكرون، مشيداً بما اعتبره التزاماً واضحاً وحاسماً ودقيقاً لصالح الجمهورية الفرنسية، وواصفاً الميثاق بأنه «نص تأسيسي حقيقي للعلاقات بين الدولة والإسلام في فرنسا».

ورأى غالب بن الشيخ، رئيس «مؤسسة إسلام فرنسا» في رده على سؤال لـ«القدس العربي» أن النقطة الجديدة الوحيدة التي أتى بها هذا الميثاق، هي الحسم في مسألة أن «ليس هناك أي تعارض بين ما يدعو إليه الدين الإسلامي مع قيم الجمهورية الفرنسية». ويؤكد بن الشيخ أن الميثاق يفترض في نهاية المطاف أن يكرس لدى الرأي العام الفرنسي والمسلمين الفرنسيين أو المقيمين في فرنسا قناعة بأنه لا تناقض بين قيم الجمهورية الفرنسية من جهة والمرجعية الدينية الإسلامية من جهة أخرى شريطة جعلها تتكيف مع الواقع الفرنسي. ولكنه يرى أن السعي إلى تنفيذ هذه المبادرة باعتبارها جاءت من خلال الحوار مع عينة من الهيئات التي تمثل مسلمي فرنسا يطرح قضية شائكة.

مآخذ كثيرة

ما يدعم رأي غالب بن الشيخ ومراقبين آخرين لديهم معرفة بشؤون المسلمين في فرنسا بشأن إشكالية تمثيل مسلمي فرنسا، أن هذا الميثاق تم رفضه من قبل ثلاثة اتحادات من أصل تسعة منضوية تحت راية مجلس الديانة الإسلامية الفرنسي وهي: «اللجنة التنسيقية للمسلمين الأتراك بفرنسا» و«الاتحاد الإسلامي

مللي غوروش في فرنسا» و«حركة إيمان وممارسة». فقد اعتبرت الهيئات الثلاث في بيان مشترك أن هناك فقرات وصياغات في النص من شأنها إضعاف أواصر الثقة بين مسلمي فرنسا والأمة الفرنسية، وأن «بعض العبارات الواردة في الميثاق تمس بشرف المسلمين ولها طابع اتهامي وتهميشي». غير أن بعض المصادر المتابعة للملف تؤكد أن اعتراض الهيئات الثلاث هو خصوصاً على مفهومي «التدخلات الخارجية» و«الإسلام السياسي» كما نص عليهما الميثاق.

والحقيقة أن من يتوقف عند علاقات المنظمات والهيئات التي تسعى إلى أن تكون واجهة الجالية الإسلامية في فرنسا والوسيط بينها وبين مؤسسات الجمهورية الفرنسية في ما يخص الشعائر الدينية، يهتدي بسرعة إلى وجود خلافات كثيرة بين بعضها البعض مما انعكس سلبا على أدائها. زد على ذلك أن أي هيئة منها لم تنجح حتى الآن في الحصول على إجماع من قبل أعضاء الجالية الإسلامية أو على الأقل جزء منها بوصفها الطرف الذي يمثلهم بحق عن جدارة وبشكل شرعي.

هذا ما يلح عليه الصحافي والمحلل السياسي المقيم في فرنسا علاء بونجار قائلا: «المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية لا يحظى بالمشروعية اللازمة. فكيف يمكن أن يكون هناك ميثاق باسم الإسلام والمسلمين علما أن هذا المجلس لا يعترف به الكثيرون». ويرى بونجار أن هذا الميثاق لن يكون له أي تأثير إيجابي، بل إنه قد يؤثر سلبًا، بحيث يعطي لبعض مسلمي فرنسا انطباعاً بأن هناك نوعا من التعامل الفوقي من طرف الحكومة الفرنسية، على اعتبار أن هناك أجندة سياسية للرئيس ماكرون الذي استدعى ممثلي الإسلام وطلب منهم تقديم ميثاق معين حتى يقدم ذلك للفرنسيين على أساس أنه إنجاز بحيث إنه استطاع أن ينظم الإسلام في فرنسا، وهذا سيؤدي إلى نفور البعض بشعورهم بأنهم يتعرضون لمعاملات خاصة. فالبعض يرى أن هناك في الميثاق نوعا من الوصاية والتعامل الكولونيالي من الحكومة الفرنسية على الإسلام وهذا هو الإحساس لدى العديد من المسلمين.

في الإطار ذاته وجهت انتقادات إلى مبادرة «ميثاق المبادئ» الجمهورية، مفادها أن الدولة الفرنسية ليست جادة في مسعاها لنها تعرف بشكل دقيق طبيعة الانقسامات بين الهيئات والمنظمات الإسلامية الفرنسية التي تحسب نفسها ممثلة لمسلمي البلاد. كما أنها تعرف معرفة جيدة أن في البلاد اليوم ما يقرب من 2500 مكان عبادة للمسلمين، وأن ألفًا منها بالكاد تدار من قبل الاتحادات التي تشكل المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية.

وتدرك الدولة الفرنسية أيضا أن معظم المساجد الفرنسية تدار من قبل جمعيات مستقلة، لم يوقع أغلبها على هذا الميثاق. ويقول معظم مسؤولي هذه الجمعيات بأنه كان يجب أن يتم إشراكهم منذ البداية في النقاشات بخصوص هذا الميثاق. ويبدي البعض منهم انزعاجهم من هذه المعاملة معتبرين أنه «لم تتم معاملة أي دين بهذه الطريقة». وعلى هذا المنوال تحدث إمام مسجد مدينة بوردو طارق إيبرو الذي اعتبر أن المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية ما كان عليه أن ينتظر ضغط الحكومة حتى يلجأ إلى هذا الميثاق وأن هشاشة هذا المجلس جعلته يمضي على ميثاق لم يفكر فيه من قبل.

ويستبعد إمام مسجد بوردو أن يغير هذا الميثاق شيئاً، باعتبار أنه يبقى نصاً رمزياً في مضمونه، لأن المسلمين يعيشون في المجتمع الفرنسي ولا يحتاجون إلى ميثاق من قبل مجلس لا يمثلهم في حقيقة الأمر. فالمسلمون محكومون بقوانين الدولة، وبالتالي سيبقى الميثاق في مستوى الرمزية. فالمشاكل التي يعيشها المسلمون في فرنسا تندرج ضمن أزمة الهوية التي نشهدها في العديد من المجتمعات.

نموذج يخدم الإسلام والمسلمين في الغرب؟

وعلى الرغم من كل هذه المآخذ، فإن المدافعين عن «ميثاق المبادئ» يرون أنه يمهد الطريق لإنشاء المجلس الوطني للأئمة الذي سيتولى الإشراف على عملية تكوين أئمة المساجد في فرنسا على أسس معرفية تُستقى من القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام السمح من ناحية وتلك التي يقوم عليها النظام الجمهوري الفرنسي من جهة أخرى. ويقول أصحاب هذا الطرح إن تشبع الأئمة الفرنسيين المقبلين بهذه المعارف سيجعلهم قادرين فعلا على القيام بمهامهم بشكل أفضل بكثير من كثير من الأئمة الحاليين الذين استقدمتهم فرنسا من الخارج عبر اتفاقيات أبرمتها أساسا مع الجزائر والمغرب وتركيا ولكنه اتضح أن كثيرين منهم ليست لديهم الحدود الدنيا من الإلمام بالحضارة والثقافة الفرنسيتين ولا بلغة فرنسا وتاريخها. كل ما في الأمر أنهم ساهموا بشكل مباشر أو غير مباشر في إقامة وصاية غير مباشرة فرضت على مسلمي فرنسا من قبل بعض بلدان منشأ جزء منهم.

ولئن كان عدة مدافعين عن المبادرة يرون أن السياسيين سيستغلونها بشكل أو بآخر لأغراض انتخابية، فإنهم مقتنعون بأنها قادرة إذا تبعتها مبادرات أخرى على الترويج في المستقبل لنموذج الإسلام الفرنسي في كثير من بلدان الغرب الأخرى انطلاقا من أنه ليس ثمة أي عائق يحول دون المسلم ودون ممارسة شعائره الدينية بحرية والعيش في مجتمعات تتعدد فيها الأديان ولكن دولة القانون هي التي تحدد واجباتهم وحقوقهم بشكل يقوم على مبادئ المساواة أيا تكن انتماءاتهم الدينية والعقائدية.

ليس هناك أي تعارض بين ما يدعو إليه الدين الإسلامي مع قيم الجمهورية الفرنسية

ردود الفعل الرافضة لتوقيع «ميثاق مبادئ شؤون المسلمين»

تتواصل ردود فعل الجماعات الإسلامية في فرنسا، الرافضة توقيع «ميثاق مبادئ شؤون المسلمين» في البلاد بصيغته الحالية، الذي تم إعداد بدعم من الحكومة. وفي هذا الصدد قال بيان صادر عن جامع إقليم «رون» (شرق وسط) الثلاثاء، إن «ميثاق مبادئ شؤون المسلمين»، «جزء من مشروع الإسلام الفرنسي الذي ينكر مقومات الإسلام الأساسية، ويتنافى مع قيمه الأخلاقية».

وأوضح البيان أن الهدف من ذلك الميثاق «تحريف الدين الإسلامي» مشيرًا أن الائمة الذين سيخالفونه سيتم إبعادهم عن المساجد التي يعملون بها».

كما لفت إلى أنهم سيتابعون بقلق بالغ مشروع مجلس الأئمة الوطنيين الذي سيتم تشكيله بإملاءات من الإدارة الفرنسية.

وأشار أن المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، هو من وضع ذلك النص المسمى بـ«قانون مبادئ الإسلام الفرنسي» موضحًا أن المجلس وهو يكتب هذا النص لم يستشر أئمة وقادة المنظمات الإسلامية في البلاد، رغم دعواتهم لذلك.

من جانبه أصدر اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، بيانًا شدد فيه على ضرورة عدم استخدام الإسلام لأغراض سياسية.

وأكد كذلك أنهم معارضون تمامًا لـ«ميثاق المبادئ» وقانون «الإسلاموفوبيا» المعروف باسم قانون مكافحة الانفصالية.

وذكر البيان أن الدولة يجب ألا تنتهك قانون العلمانية لعام 1905 بالسيطرة على المساجد والأئمة والجاليات الإسلامية والتدخل في عبادتهم.

والأحد الماضي، وافقت لجنة خاصة في الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) على مشروع قانون «مبادئ تعزيز احترام قيم الجمهورية» المثير للجدل، والذي جرى التعريف به لأول مرة باسم «مكافحة الإسلام الانفصالي». مشروع القانون يضع المسلمين تحت «الحصار» ويواجه مشروع القانون انتقادات من قبيل أنه يستهدف المسلمين في فرنسا ويكاد يفرض قيودا على كافة مناحي حياتهم، ويسعى لإظهار بعض الأمور التي تقع بشكل نادر، وكأنها مشكلة مزمنة.

وينص على فرض رقابة على المساجد والجمعيات المسؤولة عن إدارتها، ومراقبة تمويل المنظمات المدنية التابعة للمسلمين.

كما يفرض قيودا على حرية تقديم الأسر التعليم لأطفالها في المنازل، في البلاد التي يحظر فيها ارتداء الحجاب في مؤسسات التعليم ما قبل الجامعي.

ويحظر مشروع القانون على المرضى اختيار الأطباء وفق جنسهم، لاعتبارات دينية أو غيرها، كما يجعل «التثقيف العلماني» الزاميا لكافة موظفي القطاع العام.

ومن المنتظر عرض مشروع القانون على الجمعية الوطنية في شباط/ فبراير المقبل.

ميديا

شبكات التواصل تشتعل في ذكرى 10 سنوات على ثورة يناير وحملة لإطلاق المعتقلين

لندن – «القدس العربي»:

غرقت شبكات التواصل الاجتماعي في مصر والعالم العربي الأسبوع الماضي بالتعليقات التي تناولت مرور عشر سنوات على ثورة كانون الثاني/يناير التي أطاحت بالرئيس الراحل محمد حسني مبارك، فيما جدد الكثير من النشطاء دعواتهم للمصريين بتجديد الثورة والعودة إلى الميادين والنزول إلى الشارع من أجل استئناف الاحتجاج واستكمال مسيرة التغيير.

وبينما غابت أية فعاليات احتجاجية عن الشارع في مصر فقد تدافع الكثير من المصريين إلى إحياء ذكرى الثورة على الإنترنت، حيث استعاد الكثير من المعارضين في الخارج ذكريات ثورة يناير 2010 كما اعتبروا أن نظام الرئيس الحالي عبد الفتاح السيسي ليس سوى امتداد للنظام العسكري الذي ثار عليه المصريون وأرادوا الإطاحة به في العام 2010.

وأطلق النشطاء العديد من الوسوم على «تويتر» وفيسبوك ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي والتي سرعان ما تصدرت قوائم الوسوم الأكثر تداولاً في مصر والعديد من الدول العربية، حيث تصدر الوسم «#25_يناير» والوسم «#ثورة_يناير» و«#عشر_سنوات_على_ثورة_يناير» قوائم الأعلى تداولاً في مصر خلال الأيام الماضية، فيما شارك عدد من رموز الثورة وأشهر المعارضين في هذه الوسوم لإحياء ذكرى ثورة يناير.

كما شارك النشطاء أيضاً فيديوهات كثيرة لأحداث الثورة، وصور متعددة لضحاياها، كما تحدث الكثير منهم عن مطالب الثورة من حرية وعيش وعدالة اجتماعية، وما تحقق منها بعد 10 سنوات.

وغرد السياسي المعروف الدكتور محمد البرادعي في ذكرى ثورة يناير يقول: «ثار المصريون لحريتهم وكرامتهم عندما سُدت أمامهم أبواب التغيير. واجهوا تحديات وعقبات عديدة وخُدعوا كثيراً وأخطأوا كثيراً وضحوا كثيراً ولكن في كل ذلك تعلموا وتغيروا كثيراً. مسيرة الشعوب نحو الحرية دائما طويلة وإذا كان من الممكن تعطيلها فانه من المستحيل وأدها».

أما الفنان المعروف عمرو واكد فكتب يقول: «من 10 سنين دخلت أنام في مثل هذه الليلة وأنا مرعوب. كنتُ مرعوباً من رأيي. مرعوب أقول لا. مرعوب أقول أنا مش مغفل. مرعوب أقول كفاية ظلم. وتاني يوم نزلت مظاهرات في شبرا والتحرير. بس وانا في وسط الناس حسيت احساس تاني خالص. احساس عكس الرعب تماما.. ودي كانت آخر ليلة أنام وانا مرعوب من رأيي».

ونشر المعارض المصري الدكتور طارق الزمر، رئيس مركز «حريات» للدراسات السياسية، ورئيس حزب البناء والتنمية سابقاً، سلسلة من التغريدات تجاوزت الستين تغريدة عبر حسابه على «تويتر» استعرض فيها جملة من النصائح التي من شأنها تجديد الثورة واستعادة مسار المعارضة بما يؤدي إلى تحقيق المطالب التي يُناضل المصريون من أجل تحقيقها منذ أكثر من عشر سنوات.

وكتب الزمر في إحدى التغريدات يقول: «بعد عشر سنوات على ثورة يناير أصبح من الضروري تأسيس البديل الوطني المؤهل لإنقاذ الدولة والقادر على التعامل مع مشكلات المجتمع والتعاطي مع العالم وفق ظروفه ومعطياته بالغة التعقيد والذي لن يكون بحال صورة طبق الأصل من النظام الحالي الذي أقصى الجميع».

وأضاف في تغريدة ثانية: «لا بد من كسر حالة الاستقطاب السياسي التي لولاها لما تمكنت الثورة المضادة من تمزيق صفوفنا قبل هزيمتها» وتابع: «بعد عشر سنوات على ثورة يناير لابد من التأكيد على أنها لا تزال مشروعنا السياسي وأننا لا نسعى إلا لاستعادتها وتحقيق أهدافها ملتزمين بتقاليدها وقيمها ورموزها فنحن لا نسعى لثورة جديدة وإنما لاسترداد ثورتنا المغدورة». وغرد السياسي المصري عمرو عبد الهادي: «إسقاط النظام سهل جداً عن طريق دعوة موحدة من الليبراليين والعلمانيين والإسلاميين للشعب المصري لمواجهة النظام بالقوة والدفاع عن أنفسهم أمام قمع النظام».

أما الناشط والإعلامي أسامة جاويش فكتب معلقاً في ذكرى الثورة: «الشعب يريد اسقاط النظام.. ارحل.. يسقط يسقط حسني مبارك.. عشر سنوات مرت.. أصبح جسدي في بريطانيا ولا زال قلبي وعقلي وروحي هناك في ميدان التحرير، كنّا وما زلنا شهوداً على الملحمة ولو مرت عقود وسنوات، فسلام على رفقاء اليوم الموعود أينما كانوا».

وغرد المستشار وليد شرابي: «مجرد مرور ذكرى يناير يحيي في عصابة الانقلاب الخوف والرعب، وفي المقابل يجب أن تحيي تلك الذكرى في الأحرار الثقة والأمل، السيسي ونظامه أضعف بكثير من مبارك ونظامه، يبقى فقط أن يتواجد الجيل الذي يؤمن بعدالة قضيته، ويثق في قدرته على التغيير، وأن ما يحلم به يستحق التضحية، وأن الله ناصره».

وكتب الإعلامي والمذيع التلفزيوني محمد جمال هلال: «سلام عليك يا أعظم ثورة ما زالت راشحتك في الأنوف.. سنبقى مخلصين لك حتى نموت.. الثورة مستمرة والمستبدون راحلون».

ونشر العالم والناشط الدكتور عصام حجي تغريدة قال فيها: «في علم البراكين حقيقة مؤكدة انه إذا انفجر بركان مرة، معناه انه سينفجر مرة أخرى. يبقى السؤال أين ومتى. العجيب انه لثورة البراكين المتكررة دور أساسي في الحفاظ على مناخ الأرض فإذا توقفت انتهت الحياة وأصبحنا مثل كوكب المريخ.. نصيحة لكل ظالم: لا تراهن أن هذه النظرية خطأ».

وأكد العديد من النشطاء أن ثورة يناير كان لها الفضل في كسر حاجز الخوف لدى المصريين من الحاكم والسلطة والقبضة الأمنية، مؤكدين أن «السيسي استعمل مستوى فائقا من الوحشية لإعادة بناء ذلك الحاجز مرة أخرى على مدار السنوات الماضية».

ورأى بعض النشطاء أن الثورة قد هزمت، وعدد أولئك أسباب الهزيمة منها السلاح والمليارات المتدفقة من دول الخليج، والإعلام الذي قلب وشوه الحقائق، والقضاء المسيس، والقبضة الأمنية الغاشمة التي لا تعرف الرحمة.

وأكد النشطاء أن ثورة يناير قد غيرت مفاهيم وشخصية المجتمع المصري، ليس فقط في كسر حاجز الخوف لديهم تجاه السلطة، وإنما أيضاً في عزيمة وإصرار جيلها على الانتصار للحق دائماً والوصول بمصر إلى تحقيق العدالة، بتحقيق الرحمة للضعيف وعدم الانتصار للقوي، وبمحاسبة الغني قبل الفقير، والإيمان بأن السجن للفاسدين لا للمطالبين بالحقوق.

وكتب الناشط أحمد جمال زيادة على «فيسبوك» يقول: «هُزمت الثورة بالسلاح، بمليارات متدفقة من دول الخليج، بإعلام يقلب الحقائق، وقضاء لا يعرف العدل، وعسكر لا يرحم. لكننا تعلمنا من الثورة أنه لا مستحيل، أن الحق لا ينتصر بأعدائه، أن الصمت لا ينتج إلا مزيداً من القمع، أننا يمكن أن نضحي بحريتنا وربما حياتنا كمحاولة لأن يسود العدل يوماً في هذا البلد المقموع بحكامه».

وأضاف زيادة: «غيرت الثورة أفكارنا في كل مرحلة مختلفة من أول النصر إلى نهاية الهزيمة، لكن ما لم يتغير أن هناك عددا غير قليل منّا ما زال يصر على أن يرى مصر دولة ترحم الضعيف ولا تنصر الأقوياء، تحاسب الغني قبل الفقير، تؤمن أن السجن للفاسدين لا للمطالبين بالحقوق، فيها الصحافة للناس لا الحكام، الإعلام للوعي لا لنشر ثقافة الإعدام. فيها: عيش، حرية، عدالة اجتماعية.. عاشت ثورة يناير ولو هُزمت، تبقى الهزيمة مؤقتة».

وغردت دعاء الشامي: «إذا أردتم أن تعرفوا ماهي ثورة يناير راقبوا كل النبل والفخر الذي يرفعه أبناؤها ودونوا الإيمان الراسخ بمبادئها رغم كل ما فعلوه لمحاولة جعلها مجرد ذكرى.. فما حدث وقتها لا يمكن أن يُمحى».

حملة لإطلاق المعتقلين

وبالتزامن مع ذكرى مرور عشر سنوات على ثورة يناير المصرية أطلقت منظمة «العفو» الدولية حملة تغريد على «تويتر» للمطالبة بالإفراج الفوري عن النشطاء والمدافعين عن حقوق الإنسان الموقوفين تعسفيا في مصر.

وقالت المنظمة عبر حسابها: «عشر سنوات على ثورة 25 يناير في مصر، ولا يزال العديد من الناشطين والمدافعين عن حقوق الإنسان قيد الاحتجاز التعسفي».

وأضافت: «سنشارك أسماء هؤلاء الناشطين طوال أيام الأسبوع، وندعوكم للمبادرة بالتحرك والمطالبة بالإفراج عنهم فورا».

وناشدت المنظمة جميع المهتمين بالعالم، إعادة التغريد بشأن الموقوفين للوصول إلى رئيس سلطة الانقلاب عبد الفتاح السيسي، قائلة: «دعوا السيسي يعلم أنكم متضامنون معهم».

وقالت المنظمة إن آلاف المدافعين عن حقوق الإنسان والسياسيين والمنتقدين مكدسون في سجون مصر وسط تفشي وباء كورونا، كما دعت المنظمة السلطات المصرية إلى «وضع حد للاكتظاظ في السجون عن طريق الإفراج عن المحتجزين تعسفيا، وأولئك الذين هم أكثر عرضة لخطر الإصابة بكورونا».

ناشطة مصرية مسجونة منذ تسعة شهور بسبب إبداء رأيها رغم أمر قضائي بالإفراج عنها

لندن – «القدس العربي»:

تجاهلت أجهزة الأمن المصرية أمراً قضائياً بالإفراج عن ناشطة معتقلة منذ تسعة شهور بسبب منشورات تضمنت آراءها السياسية نشرتها على شبكات التواصل الاجتماعي، وبدلاً من إطلاق سراحها لجأت أجهزة الأمن إلى «تدوير» اعتقالها على ذمة قضية جديدة من أجل «قوننة» استمرار حبسها والالتفاف على القرار القضائي الصادر بهذا الصدد.

وحسب التفاصيل التي نشرتها «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» فإن الناشطة نيرمين حسين هي أحدث ضحايا سياسة «التدوير» التي تعني بأن الشخص الذي تنتهي مدة توقيفه القانونية أو يصدر بحقه قرار قضائي لإخلاء سبيله يتم على الفور تدويره إلى قضية أخرى ويتم ابقاؤه محتجزاً على ذمتها.

وقالت الشبكة إن نيرمين حسين التي صدر بحقها قرار قضائي يأمر بإخلاء سبيلها، تم الأسبوع الماضي حبسها على ذمة قضية جديدة، ودون أن يتم تنفيذ أمر إخلاء السبيل، أي أنها معتقلة منذ تسعة شهور على ذمة قضية لم تعد مطلوبة لها، ومن ثم الآن تم تدويرها على ذمة قضية جديدة.

وأضافت الشبكة «إن استمرار جهاز الأمن الوطني في عدم احترام القانون وتلفيق الاتهامات للمعارضين السلميين، سببه تغاضي النيابة العامة عن هذه الانتهاكات ومشاركتها في ظاهرة التدوير المظلمة، والتي طالت الناشطة نيرمين حسين منذ أيام».

وقالت الشبكة العربية إن «ثقب التدوير يقف حائط صد أمام قرارات إخلاء سبيل المعارضين السياسيين ليبدأوا مرحلة جديدة من التنكيل ودوامة الحبس الاحتياطي، ويؤكد أن قرار إطلاق سراح المواطنين من القضاء، يتم الالتفاف حوله من قبل جهاز الأمن الوطني وبمشاركة نيابة أمن الدولة، ليصبح جهاز الأمن الوطني هو صاحب السلطة والقرار في من يُطلق سراحه ومن يقبع في الزنازين».

وبحسب الشبكة فإن آخر المعارضين الذين طالهم ثقب التدوير الناشطة نيرمين حسين، عقب التحقيق معها في قضية جديدة تحمل رقم 65 لسنة 2021 حصر أمن دولة حيث تقرر حبسها احتياطيا عقب مرور أسبوع فقط على قرار إخلاء سبيل—لم ينفذ– صادر من محكمة جنايات القاهرة، ووجهت إليها النيابة تهمة الانضمام إلى جماعة إرهابية مع العلم بأغراضها.

وكانت محكمة جنايات القاهرة أمرت بتاريخ 17 كانون الثاني/يناير 2021 باستبدال الحبس الاحتياطي لنرمين حسين في القضية رقم 535 لسنة 2020 حصر أمن دولة عليا بتدبير احترازي والتي كانت تواجه بها اتهامات بمشاركة جماعة إرهابية، واساءة استخدام حساب على مواقع التواصل الاجتماعي ونشر واذاعة أخبار وبيانات كاذبة، رغم أنها تقبع في السجن منذ تسعة أشهر توفي خلالها والدها متأثرا بمرضه دون أن تراه أو تقوم بتوديعه.

وطالبت الشبكة العربية النائب العام بإصدار أمره المباشر إلى مرؤوسيه في نيابة أمن الدولة العليا بإطلاق سراح الناشطة نيرمين حسين فوراً ووقف مشاركة جهاز النيابة العامة في ظاهرة التدوير وإعادة حبس الأبرياء استنادا لمحاضر تحريات الأمن الوطني «الكاذبة والملفقة».

تقرير حقوقي: ارتفاع حاد في التحريض على الفلسطينيين عبر الإعلام الإسرائيلي

لندن – «القدس العربي»:

أظهر تقرير حقوقي فلسطيني ارتفاعاً حاداً في مستوى التحريض ضد الفلسطينيين عبر وسائل الإعلام الإسرائيلية، بمن فيهم الفلسطينيون المقيمون داخل الخط الأخضر، حيث تضاعفت خطابات التحريض والعنصرية في الإعلام الإسرائيلي خلال العام الماضي 2020 مقارنة بالمستوى الذي كانت عليه قبل عامين فقط.

وحسب التقرير الصادر عن «المركز العربي للحريات الإعلامية والتنمية والبحوث» فإن خطاب التحريض على الفلسطينيين من قبل سياسيين وإعلاميين وجهات أخرى في المجتمع الإسرائيلي خلال العام 2020 ارتفع بصورة حادة، حيث رصد المركز خلال العام الماضي وحده 1050 حالة، مقارنة مع 778 في العام 2019 ونحو 580 خطاباً تحريضياً فقط في العام 2018 وهو ما يعكس الزيادة الكبيرة في مستوى العنصرية والاضطهاد التي يواجهها الفلسطينيون من قبل الإسرائيليين.

وشمل البحث رصداً كمياً لوسائل الإعلام الإسرائيلية، منها الصحافة المكتوبة، والمرئية، والمسموعة، بالإضافة إلى صفحات سياسيين وإعلاميين إسرائيليين على مواقع التواصل الاجتماعي مثل «فيسبوك» و«تويتر».

وأوضح التقرير السنوي من خلال النتائج أن الجهة الأكثر استهدافاً للتحريض في الإعلام العبري هي السلطة الفلسطينية بنسبة 28 في المئة، ومن ثم القائمة المشتركة بنسبة 23 في المئة، أما المجتمع الفلسطيني كشريحة واحدة فبلغت نسبة التحريض ضده 22 في المئة، وتعرض فلسطينيو الداخل لتحريض بنسبة 11 في المئة، أما الرئيس الفلسطيني محمود عباس فتعرض للاستهداف الإعلامي والتحريض بنسبة 9 في المئة، وتعرضت حركة حماس بنسبة 6 في المئة، وأخيرا الأسرى كان نصيبهم من التحريض 5 في المئة.

ويتبين من النتائج أن أسلوب التحريض والعنصرية الأكثر اتبّاعاً في الإعلام الإسرائيلي هو نزع الشرعية عن الفلسطينيين، وتم رصد هذا الأسلوب في 78 في المئة من الحالات، يليه استخدام خطاب العنصرية بنسبة 62 في المئة، والفوقية العرقية بنسبة 51 في المئة.

وبحسب التقرير فقد تم استخدام كل من أسلوب الشيطنة والتعميم وتصوير إسرائيل بدور الضحية بنسبة 31 في المئة، أما شرعنة العقوبات الجماعية واستخدام القوة ضد الفلسطيني فقد تم استخدامها بنسبة 8 في المئة.

ووفق التقرير السنوي فقد «تميّزت الأشهر الأخيرة من عام 2020 بتصاعد خطاب فرض النفوذ الإسرائيلي على المستوطنات في الضفة الغربية وإبرام اتفاقية التطبيع بين إسرائيل والبحرين والإمارات العربية المتحدة والسودان والمغرب، الأمر الذي أعقبه تحريض أرعن على السلطة الفلسطينية».

ووفقاً لنتائج البحث فإن أكثر وسائل الإعلام تحريضاً على السلطة الفلسطينية هي صحيفة «يسرائيل هيوم» بنسبة 26 في المئة، تليها شبكة فيسبوك بنسبة 21 في المئة، ثم صحيفة «مكور ريشون» بنسبة 13 في المئة، وصحيفة «معاريف» بنسبة 11 في المئة، وأخيراً كل من صحيفة «يديعوت أحرونوت» وشبكة «تويتر» بنسبة 10 في المئة.

أما بالنسبة لأنواع التحريض، فيتبيّن أن أسلوب نزع الشرعية عن السلطة الفلسطينية هو الأكثر استخداما بنسبة 89 في المئة، يليه التوجه العنصري بنسبة 60 في المئة، والفوقية العرقية بنسبة 57 في المئة، الشيطنة والتعميم بنسبة 30 في المئة، وتصوير إسرائيل بدور الضحية مقابل السلطة الفلسطينية بنسبة 29 في المئة. وكان 63 في المئة من المحرضين على السلطة الفلسطينية صحافيون، و34 في المئة سياسيون و3 في المئة مستوطنون.

أما التحريض على القائمة المشتركة لفلسطينيي الداخل فشكلت «أكثر الجهات استهدافاً من قبل الإعلام الإسرائيلي والسياسيين خلال السنة الأخيرة بشكل بارز عقب المأزق السياسي وتوجه المجتمع الإسرائيلي إلى 3 انتخابات برلمانية متعاقبة خلال عام واحد فقط». ويتبين من التقرير أن أكثر الوسائل الإعلامية تحريضاً على القائمة المشتركة هي شبكة «فيسبوك» بنسبة 43 في المئة، تليها صحيفة «يسرائيل هيوم» بنسبة 16 في المئة، ثم شبكة «تويتر» بنسبة 13 في المئة، وصحيفة «معاريف» بنسبة 11 في المئة، وأخيراً، صحيفة «مكور ريشون» بنسبة 6 في المئة.

وتمّ فحص أكثر أنواع التحريض استخداماً في سياق القائمة المشتركة، وتبيّن أن الخطاب الأكثر شيوعاً هو نزع الشرعية عن أعضاء البرلمان العرب بنسبة 94 في المئة، يليه خطاب العنصرية بنسبة 66 في المئة، الشيطنة والتعميم بنسبة 50 في المئة، والفوقية العرقية بنسبة 39 في المئة، وأخيراً، تصوير إسرائيل بدور الضحية أمامهم بنسبة 26 في المئة إضافة إلى أنّ 56 في المئة من المحرضين على النواب العرب هم السياسيون و44 في المئة هم صحافيون.

الجزائر تُحذر القنوات من البث من دون ترخيص وتوجه لبعضها اتهامات

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت السلطات الحكومية المختصة في الجزائر تحذيراً للقنوات التلفزيونية من البث من دون ترخيص، وهددت باتخاذ إجراءات ضد من يرتكب مخالفات في البث، في الوقت الذي وجهت فيه اتهامات حادة ضد بعض القنوات من بينها تحميلها مسؤولية الإضرار بالمواقف الدبلوماسية للبلاد.

وأصدرت سلطة ضبط السمعي البصري بيانا هددت فيه بمقاضاة بعض القنوات التلفزيونية واتهمتها بأنها تقوم «بخدمة مآرب وأغراض مجموعة مصلحية، والبحث عن تحقيق الربح المادي والإضرار والحياد عن المواقف الدبلوماسية للبلاد».

ووجهت الهيئة تحذيراً رسمياً لبعض القنوات التلفزيونية الجديدة التي تبث برامجها بدون ترخيص صادر عن وزارة الاتصال، وأوضحت أنها «سجلت ظهور قنوات تلفزيونية جديدة تبث برامجها من دون اعتماد أو ترخيص يذكر، ومن منطلق مهامها في مجال المراقبة، وسهراً منها على احترام المبادئ والقواعد المطبقة على النشاط السمعي البصري، وفي انتظار صدور القانون الذي يوطن نشاط القنوات السمعية البصرية، فإن سلطة الضبط تحذر من النشاط دون ترخيص صادر عن وزارة الاتصال».

ووصفت سلطة الضبط هذه الحالة بأنها «فوضى» واعتبرت أن «القنوات التي تعمل خارج الإطار القانوني، كثيراً ما تتناول مواضيع حساسة تثير استياء الرأي العام وتتطرق إلى تابوهات تمس بالمصلحة والأمن العموميين، وتخدم مصالح وأجندات مشبوهة».

وقالت الهيئة أن هذه القنوات «تخلت عن الحياد والموضوعية ولم تمتنع عن خدمة مآرب وأغراض مجموعة مصلحية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية، دون أدنى احترام لأخلاقيات المهنة».

ويأتي هذا البيان في أعقاب ظهور العديد من القنوات التلفزيونية التي يبدو أنها غير حاصلة على ترخيص حكومي يخولها بالبث داخل البلاد، حيث سبق أن أعلنت وزارة الاتصال الجزائرية سابقاً أن خمس قنوات فقط حاصلة على ترخيص رسمي لكنه مؤقت وهي «الشروق» و«النهار» و«الحياة» و«البلاد» و«دزاير نيوز».

علوم وتكنولوجيا

الأطفال الذين يستخدمون الكمبيوترات اللوحية هم الأقل تركيزاً والأكثر تشتيتاً

لندن ـ «القدس العربي»:

تبين من دراسة جديدة أجريت مؤخراً في بريطانيا أن الأطفال الصغار الذين يقضون وقتاً طويلاً في اللعب بأجهزة تعمل باللمس مثل الكمبيوترات اللوحية أو الهواتف الذكية يصرفون انتباههم بسهولة، ويصبحون أقل تركيزاً وأكثر تشتيتاً مقارنة بنظرائهم.

وباستخدام تقنية تتبع العين، وجد علماء بريطانيون أن الأطفال الذين يستخدمون شاشة تعمل باللمس يومياً كانوا أسرع في النظر إلى الأشياء الأخرى عندما تظهر ضمن مجال رؤيتهم على شاشة الكمبيوتر.

لكن التجارب وجدت أيضاً أنهم كانوا أيضاً أقل قدرة على مقاومة الإلهاء مقارنة بالأطفال الصغار الذين لا يستخدمون شاشة تعمل باللمس أو يستخدمون القليل منها.

وبحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» فإن هذه النتائج تغذي الجدل المتزايد حول دور وقت الشاشة في نمو الأطفال وزيادة مستويات وقت الشاشة خلال الفراغ الذي تسبب به وباء كورونا الحالي، ولجوء الكثير من المدارس في العالم إلى تعليم الأطفال عن بعد باستخدام أجهزة الكمبيوترات اللوحية أو الكمبيوتر العادي.

ووفقاً لمنظمة «أوفكوم» المعروفة في بريطانيا فقد استخدم 63 في المئة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى أربع سنوات الأجهزة اللوحية في المنزل خلال العام 2019 وهذا أكثر بـ28 في المئة مما كان عليه الحال في العام 2013.

ويُعتقد أن هذا الرقم قد ارتفع على الأرجح بسبب زيادة عدد الأجهزة في المنزل، بسبب الحاجة إلى البقاء على اتصال أثناء الإغلاق الحالي الذي تسبب به انتشار فيروس كورونا.

وقال مؤلف الدراسة البروفيسور تيم سميث من مركز تطوير الدماغ والمعرفة في جامعة «بيركبيك» التابعة لجامعة لندن: «لقد تسارع استخدام الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية من قبل الأطفال الصغار في السنوات الأخيرة».

وتعتبر السنوات القليلة الأولى من الحياة حاسمة للأطفال لتعلم كيفية التحكم في انتباههم وتجاهل الإلهاء، وهي مهارات مبكرة معروفة بأهميتها للإنجاز الأكاديمي اللاحق.

وأضاف: «كان هناك قلق متزايد من أن استخدام الأطفال الصغار للشاشات التي تعمل باللمس قد يؤثر سلباً على اهتمامهم النامي، ولكن في السابق لم يكن هناك دليل تجريبي يدعم ذلك».

ويقود البروفيسور سميث حالياً مشروعاً يُطلق عليه اسم «TAB-LET» في الجامعة التي يعمل بها، وهو مشروع يبحث في استخدام الرضع للأجهزة التي تعمل باللمس والتأثيرات المترتبة على ذلك.

ويتم في هذا المشروع تقييم السلوكيات المتعمدة للأطفال الصغار والتعلم باستخدام شاشات اللمس عبر الإنترنت، عبر استبيانات قصيرة وفي مركز بيركبيك لتنمية الدماغ والنمو المعرفي المعروف أيضاً باسم «Babylab». وفي هذه الدراسة بالذات، قام الباحثون بتجنيد 40 رضيعا بعمر 12 شهرا مستخدمين لشاشات اللمس من مرحلة الطفولة إلى مرحلة ما قبل المدرسة، حيث تابعتهم الدراسة على مدار الـ2.5 سنة التالية، وأدخلتهم إلى المختبر ثلاث مرات، عندما بلغوا 12 شهراً من العمر، ثم 18 شهراً، ثم 3.5 سنة.

وقام الآباء بتقييم استخدام الشاشة التي تعمل باللمس لأطفالهم في غضون ساعات ودقائق قبل كل زيارة، ومن خلال سؤال مضمن في استطلاع عبر الإنترنت: «في يوم عادي، كم من الوقت يقضي طفلك في استخدام جهاز بشاشة تعمل باللمس (كمبيوتر لوحي أو هاتف ذكي أو كمبيوتر محمول بشاشة تعمل باللمس)؟».

وخلال كل زيارة، شارك الأطفال الصغار في مهام الكمبيوتر باستخدام متتبع العين «Tobii TX300» لقياس انتباههم عند ظهور الأشياء في مواقع مختلفة لشاشات الكمبيوتر.

وقام الباحثون بقياس مدى سرعة نظر الأطفال الصغار إلى الأشياء ومدى قدرتهم على تجاهل الأشياء المشتتة للانتباه.

ووجد الفريق أن الرضع والأطفال الصغار الذين يستخدمون شاشة لمس عالية كانوا أسرع في النظر إلى الأشياء عند ظهورها وكانوا أقل قدرة على تجاهل الأشياء المشتتة مقارنةً بالمستخدمين المنخفضين.

وقالت الدكتورة آنا ماريا برتغال من معهد كارولينسكا في ستوكهولم في السويد، وهي أحد القائمين على الدراسة: «لا يمكننا حالياً استنتاج أن استخدام الشاشة التي تعمل باللمس تسبب في اختلافات في الانتباه».

وأضافت: «يمكن أن يكون الأطفال الأكثر تشتتا وأكثر انجذابا إلى ميزات جذب الانتباه للأجهزة التي تعمل باللمس من أولئك الذين ليسوا كذلك».

ويقول الفريق إن حقيقة أن الأطفال الذين يستخدمون الهاتف الذكي بكثرة كانوا أكثر عرضة لتشتيت الانتباه يمكن تفسيره على أنه سمة إيجابية أو سلبية. ويقول الباحثون إنهم يخططون الآن للتحقيق في كيفية ترجمة سلوكيات الانتباه «الموجودة في السياقات القائمة على الشاشة» خارج المختبر.

وقال الباحث المشارك الدكتور راشيل بيدفورد، من قسم علم النفس بجامعة باث: «ما نحتاج إلى معرفته بعد ذلك هو كيف أن هذا النمط من البحث المتزايد عن الأشياء المشتتة على الشاشات يرتبط بالاهتمام في العالم الحقيقي».

وأكد أن «ما نحتاج إلى معرفته بعد ذلك هو ما إذا كان هذا الاختلاف في الانتباه مفيدًا أم ضارًا لحياتهم اليومية». وأضاف: «من المهم أن نفهم كيفية استخدام هذه التكنولوجيا الحديثة بطريقة تزيد من الفوائد وتقليل أي عواقب سلبية».

القيد الآخر هو أن تخصيص استخدام الشاشة التي تعمل باللمس استند إلى سؤال تقرير الوالدين، والذي قد يخضع لتحيز المراسل والتقليل من التقدير.

وفي العام الماضي، كشف بحث أجراه مشروع «TABLET» أن الأطفال الصغار الذين يستخدمون شاشة تعمل باللمس يومياً يكونون أسرع في العثور على أهداف بارزة أثناء عمليات البحث المرئي.

اختراع بريطاني مهم يقضي على السرطان بكفاءة عالية وأمان غير مسبوق

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء بريطانيون من تحقيق اختراق كبير بالغ الأهمية في مجال مكافحة مرض السرطان، وهو ما يُبشر بإمكانية القضاء على المرض ومكافحته وبدرجة كفاءة عالية وأمان غير مسبوق.

ويعمل العلماء التابعون لإحدى جامعات اسكتلندا على تطوير نظام ليزر جديد يمكن أن يساعد الجراحين في إزالة السرطان بشكل أكثر دقة وأماناً، بحسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» واطلعت عليه «القدس العربي».

ويعمل الخبراء في جامعة «هيريوت وات» في إدنبرة في مقاطعة اسكتلندا على تطوير النظام الذي من شأنه أن يساعد الجراحين على تمييز الخلايا السرطانية بدقة أفضل، وإزالتها دون الإضرار بالأنسجة المحيطة السليمة.

وحصل البروفيسور جوناثان شيبارد على 1.2 مليون جنيه إسترليني من مجلس أبحاث العلوم الهندسية والفيزيائية «EPSRC» لتطوير هذا النظام.

وسيستند النظام الجديد إلى ليزر فائق السرعة يوفر الطاقة في سلسلة من النبضات التي يبلغ طولها واحد بالتريليون من الثانية.

وأثبت الفريق بالفعل أن النظام يعمل مع سرطانات القولون والمستقيم، ويعملون الآن مع الأطباء في جامعة ليدز ومستشفى ليدز التعليمي لتطوير نظام جديد لسرطانات الدماغ.

وقال البروفيسور شيبارد: «ركزنا في السابق على سرطانات القولون والمستقيم. أثبتنا في المعمل أن نظام الليزر الخاص بنا يمكنه إزالة الخلايا السرطانية بطريقة تحد من تلف الخلايا السليمة المحيطة – في نطاق عرض شعرة الإنسان».

وأضاف: «نظراً لأن نبضات الليزر قصيرة جداً، فلا يوجد وقت للحرارة لحرق الأنسجة المحيطة، وهو ما يحدث مع الأدوات الجراحية الحالية».

وتابع: «نحن نبني على فهمنا لليزر في جراحة سرطان القولون والمستقيم من أجل التطبيق السريري، ونعمل على تكييفه مع سرطانات الدماغ والرأس والرقبة، حيث يمكن أن يكون له فوائد كبيرة للمرضى».

وقال شيبارد إن «أهم مبدأ في أي عملية جراحية للسرطان هو التأكد من إزالة جميع الخلايا السرطانية؛ حيث إن عدم القيام بذلك سيؤدي إلى عودة السرطان».

وأكد أن «هذا اختبار نهائي للدقة، حتى الفقدان المجهري للأنسجة السليمة وتلف الهياكل الحيوية المجاورة يمكن أن يكون له عواقب وظيفية وخيمة وتأثير كبير على نوعية الحياة».

وسيركز الفريق أيضاً على تطوير نظام مرن يعتمد على الألياف الضوئية يمكنه استهداف وإزالة الخلايا السرطانية التي تقل بمقدار الضعفين عن التكنولوجيا الحالية.

وقال البروفيسور ديفيد جين، استشاري الجراحة في مستشفى ليدز التعليمي إن «الليزر الجراحي يفتح طرقا جديدة ومثيرة لجراحة السرطان.. إن دقة الليزر جنبا إلى جنب مع التصوير للتمييز الدقيق بين السرطان والأنسجة الطبيعية ستعزز بشكل كبير قدرة الجراحين على إزالة السرطانات تماماً مع الحد الأدنى من الآثار الجانبية للمرضى».

وتقول التقارير إن الفريق سيعمل على تطوير النظام خلال السنوات الثلاث المقبلة.

اختراق جديد: أرقام هواتف الملايين من مستخدمي «فيسبوك» معروضة للبيع

لندن ـ «القدس العربي»:

أصبحت أرقام الهواتف الخاصة بملايين المستخدمين لشبكة «فيسبوك» معروضة للبيع على الإنترنت، في أحدث حلقة من سلسلة الاختراقات وعمليات القرصنة التي تتعرض لها أكبر شبكة تواصل اجتماعي في العالم.

وعرض شخص مجهول على منصة «تيليغرام» الوصول إلى قاعدة بيانات لأرقام الهواتف الخاصة بمستخدمي فيسبوك، بما يسمح بسهولة بالبحث عن هذه الأرقام باستخدام روبوت للدردشة الكتابية، بحسب ما كشف تقرير صادر عن شركة «مذربورد» المتخصصة بالأمن الإلكتروني. وبالرغم من أن البيانات قديمة وتعود إلى عدة سنوات، إلا أنها لا تزال تمثل خطراً على الأمن السيبراني والخصوصية لأولئك الذين قد يتم الكشف عن أرقام هواتفهم.

ويقول الشخص الذي يعلن عن الخدمة إن لديه بيانات عن 500 مليون مستخدم، فيما قالت شركة «فيسبوك» إن البيانات تتعلق بثغرة أمنية قامت الشركة بإصلاحها في شهر آب/أغسطس 2019.

وقال ألون جال الشريك المؤسس والمدير التنفيذي للتكنولوجيا في شركة الأمن السيبراني «Hudson Rock» والذي نبه شركة «مذربورد» للمرة الأولى بشأن الروبوت إن «بيع قاعدة بيانات بهذا الحجم في مجتمعات الجرائم الإلكترونية أمر مقلق».

وأضاف: «هذا يضر بخصوصياتنا بشدة ويتم بالتأكيد استخدامها في عمليات الاحتيال وغيرها من الأنشطة الاحتيالية من الجهات السيئة».

ومع وجود العديد من قواعد البيانات، يلزم قدر من المهارة الفنية للعثور على أي بيانات مفيدة. وغالباً ما يجب أن يكون هناك تفاعل بين الشخص الذي يمتلك قاعدة البيانات والشخص الذي يحاول الحصول على المعلومات منها، وذلك لأن مالك قاعدة البيانات لن يمنح شخصاً آخر كل تلك البيانات القيمة.

ويحل روبوت الدردشة الكتابية ضمن منصة «تيليغرام» هاتين المشكلتين، بحيث يسمح لشخص ما بالعثور على رقم هاتف شخص محدد إذا كان لديه معرف عبر فيسبوك، كما يعثر على معرف مستخدم فيسبوك إذا كان لديه رقم هاتف شخص ما. ويتيح الروبوت للمستخدمين إدخال رقم هاتف لتلقي معرف فيسبوك الخاص بالمستخدم المقابل، أو العكس بالعكس.

ويتم تنقيح النتائج الأولية من الروبوت، لكن يمكن للمستخدمين شراء أرصدة للكشف عن رقم الهاتف الكامل، ويكلف الرصيد الواحد 20 دولاراً فقط.

وهناك أيضا أسعار مجمعة متاحة، حيث يبيع الشخص عشرة آلاف نقطة رصيد مقابل خمسة آلاف دولار، وذلك وفقًا لتقرير «مذربورد».

ويدعي الروبوت أنه يحتوي على معلومات حول مستخدمي فيسبوك من الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة وأستراليا و15 دولة أخرى.

ويعمل الروبوت منذ 12 كانون الثاني/يناير 2021 على الأقل، وذلك وفقاً للقطات الشاشة التي نشرها الباحث الأمني جال، لكن البيانات التي يوفر الوصول إليها تعود إلى عام 2019.

ثغرة أمنية في «تيك توك» تركت بيانات ملايين المستخدمين في أيدي القراصنة واللصوص

لندن ـ «القدس العربي»:

اكتشف باحثون أمنيون ثغرة خطيرة في تطبيق التواصل العالمي الشهير والمثير للجدل «تيك توك» وهو ما جعل البيانات الشخصية لملايين المستخدمين حول العالم عرضة للانتهاك والسرقة وتركها فريسة سهلة في أيدي قراصنة الإنترنت واللصوص المتخصصين الذين يلتقطون أية فرصة من هذا النوع.

وبحسب المعلومات التي نشرتها شركة أمنية متخصصة، وسرعان ما تداولتها العديد من وسائل الإعلام الغربية، فإن البيانات التي تم الوصول إليها تتضمن الأسماء والصور وأرقام الهواتف وغير ذلك من خصوصيات المستخدمين.

واكتشف خبراء الأمن ثغرة أمنية في ميزة «البحث عن الأصدقاء» المتوفرة في تطبيق «تيك توك» وهذه الثغرة من شأنها أن تسمح للمتسللين بالاستيلاء على المعلومات الشخصية من حسابات المستخدمين، بحسب الباحثين الأمنيين العاملين في شركة «تشيك بوينت» والتي اكتشفت الثغرة.

وتضمنت التفاصيل التي يمكن الوصول إليها وسرقتها أرقام الهواتف والألقاب وصور الملف الشخصي والصور الرمزية ومعرفات المستخدم الفريدة بالإضافة إلى بعض إعدادات الملف الشخصي.

وحسب تقرير لجريدة «دايلي ميل» البريطانية فإن الثغرة الأمنية، الموجودة في ميزة «العثور على الأصدقاء» أعطت الجهات السيئة معلومات كافية للاتصال بين تفاصيل الملف الشخصي وأرقام الهواتف.

وباستخدام هذه المعلومات، يمكن للمهاجمين إنشاء قاعدة بيانات للمستخدمين وأرقام هواتفهم ذات الصلة لإجراء نشاط ضار.

وكانت المشكلة ستؤثر فقط على أولئك الذين لديهم حسابات مرتبطة بأرقام هواتف أو قاموا بتسجيل الدخول باستخدام رقم هاتف، وفقاً للأبحاث الأمنية.

وتقول شركة «تشيك بوينت» المتخصصة إنه لم يتم العثور على أي دليل على أن الثغرة الأمنية قد تم استغلالها على الإطلاق وأن الخلل قد تم تصحيحه بواسطة الشركة المالكة لشبكة «تيك توك».

وقالت المتحدثة باسم شركة «Check Point» إكرام أحمد في بيان: «يمكن لهاجم بهذه الدرجة من المعلومات الحساسة أن يقوم بمجموعة من الأنشطة الخبيثة، مثل التصيد أو الأعمال الإجرامية الأخرى».

وأضافت: «رسالتنا إلى مستخدمي تيك توك هي ضرورة مشاركة الحد الأدنى عندما يتعلق الأمر بياناتك الشخصية».

واستفاد باحثو «تشيك بوينت» من برنامج مكافأة أخطاء «تيك توك» الذي تم إطلاقه في وقت سابق من هذا العام، والذي يدعو الخبراء والمبرمجين وغيرهم من المتحمسين للكمبيوتر للكشف عن أي ثغرات قد تكون كامنة في التطبيق.

وعثرت شركة الأمن السيبراني «تشيك بوينت» على المشكلة في ميزة «Friends Finder» والتي كشفت عن معلومات شخصية لبعض المستخدمين.

ويُنشئ تطبيق «تيك توك» رمزاً مميزاً للمستخدم وملف تعريف ارتباط للجلسة مرتبطين بمعرف جهاز فريد لكل هاتف مستخدم.

ومع ذلك، وجدت «تشيك بوينت» أن الرموز المميزة للجلسة كانت صالحة لمدة تصل إلى 60 يوماً، مما سمح باستخدامها في الأجهزة الافتراضية.

وتابعت الشركة: «نظراً لأن هدفنا الرئيس كان فحص خصوصية تيك توك، فقد ركزنا على جميع الإجراءات المتعلقة ببيانات المستخدمين».

وتم العثور على تطبيق الهاتف المحمول لتمكين مزامنة جهات الاتصال، مما يعني أنه يمكن للمستخدم مزامنة جهات الاتصال الخاصة به للعثور بسهولة على الأشخاص الذين يعرفهم على «تيك توك».

ويقول الباحثون الأمنيون إنه «بكلمات بسيطة، فهذا يعني أنه من الممكن الربط بين تفاصيل الملف الشخصي وأرقام الهواتف».

ووجد الفريق أنهم كانوا قادرين على تجاوز توقيع رسائل HTTP الخاصة بـ«تيك توك» باستخدام أدوات قرصنة بسيطة، مما سمح لهم بمعالجة الوظيفة لجمع جهات الاتصال وإعادة توقيع الطلب.

ونظراً لأن العملية تمت باستخدام جهاز افتراضي، فيمكن إعداده للقيام بذلك تلقائياً، حسب ما كشف الباحثون.

وقال متحدث باسم شبكة «تيك توك» في بيان: «إن أمان وخصوصية مجتمعنا هو أهم أولوياتنا، ونحن نقدر عمل الشركاء الموثوق بهم مثل تشيك بوينت، في تحديد المشكلات المحتملة حتى نتمكن من حلها قبل أن تؤثر على المستخدمين».

وأضاف: «نحن نواصل تعزيز دفاعاتنا، من خلال التحديث المستمر لقدراتنا الداخلية مثل الاستثمار في دفاعات الأتمتة، وكذلك من خلال العمل مع أطراف ثالثة».

يشار إلى أن هذه هي ثاني نقطة فحص للعيوب يتم اكتشافها في تطبيق «تيك توك» خلال العام الحالي، أي خلال أقل من شهر واحد فقط.

وفي الثامن من كانون الثاني/يناير 2021 شاركت الشركة مجموعة من نقاط الضعف التي كان من الممكن أن تسمح لمثل التهديد بالوصول إلى المعلومات الشخصية المحفوظة في حسابات المستخدمين، أو التلاعب بتفاصيل حساب المستخدمين، أو اتخاذ إجراءات نيابة عن المستخدم من دون موافقته.

روبوت روسي سيغزو الفضاء قريباً

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة «أندرويدنايا تيخنيكا» الروسية أنها بدأت العمل على مشروع «تيليدرويد» لصناعة روبوت لتنفيذ مهام في الفضاء المفتوح.

وأشار المكتب الصحافي للشركة في بيان له إلى أن الأعمال انطلقت في 1 كانون الثاني/ديسمبر الماضي.

وأضافت الشركة أنها لم توقع عقدا مع مؤسسة «روس كوسموس» الحكومية الروسية للفضاء بعد، لكنه في مرحلة متقدمة من الإعداد، بحسب ما نقلت وكالة «تاس» الروسية.

وتخطط الشركة لبدء اختبارات الروبوت في النصف الثاني من العام الجاري.

وسبق لشركة «أندرويدنايا تيخنيكا» أن صنعت الروبوت «فيودور» الذي تم إرساله إلى المحطة الفضائية الدولية. وبهذا الإعلان تكون روسيا قد دخلت سباقاً روبوتياً نحو الفضاء مع كل من الولايات المتحدة والصين اللتان تعملان على غزو الفضاء بواسطة إنسان آلي «روبوت» وهو ما يتوقع أن يُحدث طفرة في علم الفضاء خلال السنوات المقبلة.

وكانت الإدارة الوطنية الأمريكية للملاحة الجوية والفضاء «ناسا» قد أعلنت سابقاً أنها تعمل على تطوير مجموعة من الروبوتات يمكنها القيام بمهام استكشافية انفرادية أو مهام على شكل مجموعة عند التحامها في الفضاء.

ومشروع ناسا المعروف باسم «Shapeshifter» لا يزال في مرحلة التطوير ومن المقرر استعماله في مهمة لاستكشاف قمر «تيتان» وهو أكبر أقمار زحل، عام 2026 حيث ستقوم الكبسولة الفضائية «دراغون» بنقل الروبوت متعدد الوظائف إلى سطح قمر «تيتان» حسب ما جاء في موقع «ناسا» الإلكتروني.

ويتميز الروبوت الأمريكي بقدرته على الطيران والتحرك فوق سطح قمر «تيتان» وكذلك الإبحار في بحيراته إما على شكل انفرادي أو وحدة متكاملة.

ويتوقع فريق العمل الأمريكي الذي يرأسه علي أكبر آغا محمدي إنجاز وحدة متكاملة من «الروبوتات» مكونة من عشرة روبوتات كلها مجهزة بمروحيات وقادرة على الطيران فوق قمر «تيتان» لاستطلاع سطحه واختراق كهوفه والتواصل فيما بينها. كما يمكن لهذه الروبوتات الالتحام وتكوين كرة تتدحرج على سطح الجرم السماوي لاستكشاف بحيرات الميثان المتواجدة عليه.

وبإمكان سرب الروبوتات الحصول على الطاقة الكافية للتنقل من قواعد يمكن تثبيتها على سطح قمر «تيتان» وبالإضافة إلى ذلك تحتوي هذه القواعد على معدات علمية لتقييم العينات التي يتم الحصول عليها.

وفي السياق ذاته كانت وكالة الفضاء اليابانية قد أطلقت منذ عدة سنوات روبوتا شديد التطور «كيروبو» ليكون رفيقا لرائد الفضاء «كويتشي واكاتا» ليصبح بعد نجاح المهمة أول روبوت رائد فضاء يمكنه التحدث والقيام بعدد من المهام في عالم الفضاء، بمثابة إنجاز كبير في تاريخ اليابان.

اقتصاد

غزة: تأخر وصول المنحة القطرية يثير قلق المواطنين

عائلة غزاوية

إسماعيل عبدالهادي

أثـرت تـداعـيـات الحـصـار الإسرائيلي والإنقسام الفلسطيني الداخلي وجائحة كورونا الجديدة، على الأوضـاع المعيشية والاقتصادية في قطاع غزة وأدت إلى تفاقم الصعوبات، وزادت من ارتفاع معدلات الفقر بين المواطنين، مع صعوبة الحصول على فرص عمل خاصة لفئة الشباب الخريجين، الذين أنهوا مراحل الدراسة الجامعية وفقدوا حقهم في الحصول على فرص عمل تناسب تخصصاتهم.

وشكلت المنحة القطرية الشهرية، التي تصرف كمساعدة مالية طارئة لعدد كبير من الأسر المحتاجة والخريجين العاطلين عن العمل، الذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على مهن ووظائف تؤمن لهم قوت يومهم، طوق نجاة ومصدر دخل بديل، حيث شكلت هذه المنحة والتي تقدر بـ15 مليون دولار شهرياً، انتعاشا جزئيا للمحتاجين وللحركة التجارية والشرائية في أسواق قطاع غزة، ولكن مرور شهر على وقف صرف المنحة، أثر سلباً على المواطنين الذين اعتادوا على تلقي المنحة على مدار عامين ومن ثم توقفت شكل مفاجئ.

وقـالـت المتحدثة باسم وزارة التنمية الاجتماعية في غـزة عزيزة الكحلوت، لا تـوجـد أي معلومات حتى اللحظة لدى الـوزارة بخصوص مـوعـد صـرف المنحة القطرية للأسر المتعففة في غزة، أو حتى موعد وصـول السفير القطري إلـى قطاع غـزة، مشيرةً إلـى أنـه لا توجد أيضاً لدى الـوزارة أيـة تعليمات أو قـرارات بشأن وقف صرف المنحة القطرية لمستحقيها في القطاع المحاصر، وفي حال وصول المنحة، فستبقى قيمتها وآلية الصرف كما هي من دون تعديلات. وحول أي إضافات لأسماء مستفيدين جـدد، أوضحت الكحلوت أن التنسيق في العادة يتم مع خلال اللجنة القطرية لإعداد الكشوفات، واللجنة القطرية هي الجهة المخولة فقط في تحديد أي معايير جديدة تتعلق بالصرف أو إضافات لأسماء جديدة.

ويتخوف المواطنـون بعد التأخير في وصول المنحة من إيقافها بشكل نهائي تحت ضغوط دولية خاصة بعد تلويح الاحتلال الإسرائيلي بمنع إدخال الأموال عدة مرات وهو ما يهدد حياة آلاف الأسر التي تعتاش من المنحة وتنتظرها بفارغ الصبر في ظل ارتفاع معدلات الفقر والجوع في أوساط المواطنين.

المواطن كارم الصالـحي (27 عاماً) خريج جامعي اعتاد على مدار 9 أشهر تلقي المنحة المالية والتي تقدر بـ100 دولار أمريكي، ومع حلول العام الجديد وإنقضاء شهر كانون الثاني/يناير، لم يتلق الصالحي كباقي المستفيدين المنحة، وسط امتعاض شديد من هذا التأخير الذي أثر على وضعهم المعيشي.

يقول كارم لـ«القدس العربي» إن تأخر صرف المنحة أثر سلباً على وضعه المعيشي، فالمنحة المالية رغم قلتها، إلا أنها تشكل مصدر رزق للشاب، فهو يوفر من خلالها مستلزماته الأساسية دون اللجوء إلى رب الأسرة، الذي بات عاجزا عن العمل بسبب مرض ألم به، ومع توقف صرف المنحة تأزم الوضع المعيشي للشاب مع غياب مصادر للحصول على المال.

وفي السياق، يرى الخبير الاقتصادي سمير حمتو أن صرف المنحة المالية القطرية، يحرك من عجلة الاقتصاد في غزة، خاصة بعد أن نشطت حركة المواطنين في الأسواق والمحال التجارية، وينعش السيولة النقدية والتي يعاني منها التجار منذ سنوات طويلة، وخاصة عملة الـدولار المهترئة التي لطالما عانى منها المواطنون، وأصبحوا في مساومة عندما يتم صرف الأوراق المالية القديمة من الـدولار بحجة صعوبة بيعها، حيث شكل دخول ورقة جديدة من الدولار إلى انعاشا للسيولة في يد المواطنين والتجار.

وأشـار حمتو لـ«القـدس العربي» إلى أن قطر أنقذت غزة من كارثة اقتصادية وإنسانية حقيقية، وأن صرف المنحة أدى إلـى ترميم الوضع الاقتصادي المتردي، وأحـدث ذلـك طفرة متقدمة في الاقتصاد المحلي خاصة بعد وصوله إلى مراحل كارثية هددت بانهياره بشكل كامل.

وأوضح أن إسهام قطر في إيجاد حلول لأزمة الكهرباء، شكل نقلة اقتصادية كبيرة على أصحاب المنشآت الصناعية المتوقفة منذ سنوات طويلة، حيث شرعت تلك المنشآت في توسيع دائرة إنتاجها وتسويق منتجاتها إلى داخل غزة وخارجها.

ووصلت نسبة الفقر في قطاع غزة والذي تحاصره قوات الاحتلال الإسرائيلي منذ خمسة عشر عاماً إلى حاجز 80 في المئة، وقد بات السكان يعتمدون على المساعدات الغذائية والإغاثية والنقدية من المؤسسات والجـهـات المانحة، فـي ظل إنـعـدام الأمن الغذائي وارتفاع نسب البطالة، فيما استفاد من المنحة القطرية على مـدار عامين نحو 120 ألف أسـرة فلسطينية من غزة بشكل شبه دائم، ومن دفعة أيلول/سبتمبر2020 استفادت نحو 70 ألف أسرة تضررت من جائحة كورونا بواقع 100 دولار أمريكي للأسرة ولمرة واحدة فقط.

مؤشر الفساد: الحكومات الفاسدة استغلت وباء كورونا

الفساد ينخر في أكثر من ثلثي دول العالم. هذا ما خلص إليه مؤشر الفساد الحـالـي الـصـادر عن منظمة الشفافية الدولية. المؤشر كشف عن كيفية استغلال جائحة الكورونا من قبل بعض الحكومات. كيف ذلك؟ جائحة كورونا فرضت على الجميع حالة طوارئ لا تنتهي. ومنذ عام تلعب الحكومات في جميع أنحاء العالم دوراً خـاصـاً فـي إدارة حالة الـطوارئ من خلال مجموعة من التدابير، ومنها: توفير المعدات الطبية، استيراد الكمامات، توفير اللقاحات، جمع حُزم المساعدات وتوزيعها. يقول دانيال إريكسون، المدير الإداري في منظمة الشفافية الدولية: «لسوء الحظ، شكل الوباء فرصة مناسة للحكومات الفاسدة أيضاً».

تنشر المنظمة غير الحكومية مؤشر الفساد الخاص بها مرة في السنة. وركز خبراء الفساد هذا العام على الصلة بين الفساد ومجال الرعاية الصحية. وقال إريكسون «اتـضـح أن هناك علاقة بين مستوى الفساد والاسـتـجـابـة للأزمة الصحية الناجمة عن الوباء».

الفساد ينخر في ثلثي دول العالم

عمليات شراء الأجهزة والأقنعة الطبية على وجه الخصوص لا تتم بصورة شفافة من قبل الحكومات الاستبدادية. وهذا بالطبع ما يجعل هذه العمليات جذابة، إذ عن طريقها يستطيع المرء اختلاس المال ودسـه فـي جيبه مـن أجـل إثـراء نفسه على حساب الآخرين. وبالتالي يتم ضخ استثمارات أقل في النظام الصحي في البلدان الفقيرة، على سبيل المثال في آسيا وأفريقيا. «هنا يمكننا القول أن الفساد يقتل». تظهر نتائج تقرير منظمة الشفافية الدولية أن العالم يتجه نحو مستوى مماثل من الفساد كما كان في العام السابق. يستند المؤشر إلى مقياس (صفر– 100) حيث يكون صفر هو أعلى معدلات الفساد و100 هو انعدام وجود فساد على الإطلاق. في عام 2020 حققت ثلثا دول العالم أقل من 50 درجة في هذا المؤشر. «يمكنك أن تقول أيضاً أن الفساد ينخر في ثلثي دول العالم. غير أن التقرير يرى أن الدول التي جاءت في مقدمة القائمة، أي التي حققت أقل معدلات الفساد، مسؤولة عن فساد الدول التي جاءت في ذيل القائمة».

يعتمد مـؤشـر الشفافية على مسح وتقييم خبراء مختصين ويرصد مدى انتشار الرشوة والاختلاس والمحسوبية في البلدان المعنية، ويرصد أيضاً ما إذا كانت هناك قوانين لمكافحة الفساد وما إذا كانت تطبق أم لا.

الديمقراطية ضد الفساد

وفقًا للترتيب الحالي، يمكن لأي شخص يعيش في الدنمارك ونيوزيلندا أن يكون سعيداً. إذ حصلت هذه البلدان على أعلى درجة، تليها فنلندا وسنغافورة والسويد وسويسرا. تحتل ألمانيا المركز الثامن في هذا الترتيب وحصلت على 80 درجة في مؤشر الفساد كما في عام 2019.

في المقابل تبدو الـصـورة قاتمة في بلدان مثل الصومال وجنوب السودان، حيث يتفشى الفساد بشدة، وفق المنظمة. الوضع مماثل في فنزويلا واليمن وسوريا. وتتابع المنظمة معدلات هذه البلدان منذ عام 2004. وبهذا الخصوص يقول إريكسون: «في بعض البلدان، نرى أن الوضع يتحسن باستمرار في السنوات الأخيرة». وهذا ما حدث في اليونان وميانمار والإكـوادور. والعكس هو الصحيح في لبنان وملاوي والبوسنة والهرسك. ولكن بشكل عام، فإن ذلك يُظهر أنه: «كلما كانت المجتمعات أكثر ديمقراطية وانفتاحاً وشفافية، زادت قدرتها على مكافحة الفساد. ونرى أيضاً أن بعض الـدول تقوض حرية التعبير وتتجاهل حقوق الإنسان، مما يضر أيضاً بقدرتها على مكافحة الفساد».

هل تقدم التكنولوجيا الحل؟

وفق نتائج منظمة الشفافية الدولية، تـأتـي دول أفريقيا جـنـوب الصحراء في المرتبة الأسـوأ على مستوى العالم بمتوسط قدره 32 درجة. أما أعلى المناطق محاربة للفساد فقد حققت متوسطاً يقدر بـ 66 درجة.

يعتمد مؤشر الفساد على بيانات تم تجميعها منذ عام 2004. تريد المنظمة كشف المحسوبية والفساد في جميع أنحاء العالم. ويوضح إريكسون: «نريد تحقيق التغيير». المنظمة موجودة في حوالي 100 دولة. وهم يعملون حالياً على خطة مدتها عشر سنوات والتي يجب أن تلعب فيها تكنولوجيا مثل «بلوكشين» دوراً.

تـقـوم هـذه التكنولوجيا على نظام الند للند، أي يتم إجـراء المعاملات بين مستخدمي هذه التكنولوجيا بـدون أي وسيط. يرى إريكسون أنه يمكن استخدام هذه التكنولوجيا من أجل جعل المجتمعات أكثر قدرة على مكافحة الفساد، لكن يمكن أن تستخدم الأنظمة الاستبدادية في هذه المجتمعات نفس التكنولوجيا «لإثراء نفسها بشكل أكبر». (DW)

ضرائب وشهادات صحة تفاقم الواقع الصعب لبريكست

يتسبب مزيج من الأعمال الإدارية والرسوم والضرائب في مرحلة ما بعد بريكست في عرقلة العلاقات التجارية بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي التي استغرق بناؤها سنوات ما يزيد من التكلفة التي تتكبدها الشركات الصغيرة وهو أمر من شأنه أن يجعل التجارة بين ضفتي قناة المانش غير مربحة.

والتغيرات التي أعقبت خروج المملكة المتحدة من السوق الموحدة والاتحاد الجمركي للتكتل في الأول من كانون الثاني/يناير جعلت«من المستحيل من الناحية التجارية والعملية لنا أن نواصل الشحن إلى الاتحاد الأوروبي» بحسب سايمون سبوريل وهو صاحب مصنع للأجبان.

ويتعين على سبوريل، مالك مصنع هارتينغتون كريمي الذي ينتج جبنة الستيلتون ذات النكهة المميزة، أن يرفق كل شحنة موجهة للاتحاد بشهادة صحة غذائية موقعة من طبيب بيطري.

وبغض النظر عن حجم العبوة المرسلة، أكانت تتضمن قطعة واحدة أو صندوقا بأكمله، فإن كلفة الشهادة لا تتغير وهو 180 جنيه استرليني (204 يورو أو 247 دولارا).

ويعد هذا سعراً باهظاً بالنسبة للمصنع الذي كان في السابق يعتمد على زبائن من الاتحاد الأوروبي في نحو خمس مبيعاته الإلكترونية.

وقال سبوريل «قد يتعين علينا التخلي عن سوق الاتحاد الأوروبي كليا إلى أن يعود الطرفان إلى رشدهما». ويفكر سبوريل الآن في بيع منتجاته في أمريكا الشمالية لسد الثغرة.

ولا تشكل الشهادة الغذائية التي تنطبق أيضا على منتجات اللحوم والأسماك، النتيجة المالية المريرة الوحيدة لبريكست، على الرغم من أن بريطانيا توصلت إلى اتفاق للتبادل الحر لا يتضمن فرض رسوم، مع الاتحاد الأوروبي.

ويضطر الزبائن البريطانيون الذين يشترون سلعا من الاتحاد الأوروبي يفوق سعرها 135 جنيه (152 يورو – 185 دولار) في بعض الحالات إلى دفع ضريبة القيمة المضافة (في إيه تي) البالغة نحو 20 في المئة.

وربما عليهم أيضا دفع رسوم جمركية وتكاليف شحن أعلى.

والنتيجة هي أن بعض الشركات الموجودة مقراتها في الاتحـاد الأوروبـي، وبالأخص الصغيرة منها، قررت وقف بيع منتجاتها إلى مشترين في بريطانيا.

وقال غاري رايكروفت الشريك في مؤسسة المحاماة جوزف إيه جونز وشركاه في لانكستر بوشمال إنكلترا إن ذلك «ليس رسوما بالتأكيد لكن مع ذلك ستكون له تداعيات على زبائن في المملكة المتحدة ويجعل السلع من الاتحاد الأوروبي أغلى ثمنا».

ويضيف «وبهذا المعنى فإنها سياسة حمائية لأنها تخلق عائقا أمام التجارة».

وفي رأي هذا الخبير القانوني المختص بشؤون المستهلك فإن «هذا هو واقع بريكست».

وبالنسبة للشركات تضاف إلى ذلك مسألة «قواعد المنشأ» ما يزيد من التكلفة المترتبة على السلع المصدرة من المملكة المتحدة والتي تم تصنيعها من مواد مستوردة.

وحسب رئيس اتحاد الشركات الصغيرة في بريطانيا مايك تشيري «يتصل بنا عدد متزايد من صغار المصدّرين الذين يعانون من ارتفاع تكاليف الشحن وتصاريح الجمارك والرسوم وضريبة القيمة المضافة».

وعلقت قرابة 20 في المئة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم الصادرات إلى الاتحاد الأوروبي بسبب القواعد الجديدة، حسبما كشفت دراسة حديثة أجرتها مؤسسة يو إتش واي هاكر يونغ للمحاسبة.

وقالت خبيرة ضريبة القيمة المضافة في المؤسسة ميشيل ديل «ما رأيناه زبائن في الاتحاد الأوروبي بأمس الحاجة للحصول على السلع التي يحتاجون لها من المملكة المتحدة».

وأضافت «ولا تزال هناك العديد من الشحنات التي لم تغادر الاتحاد الأوروبي».

ولكنها عبرت عن التفاؤل حيال المستقبل.

وقالت «عندما يعتاد الناس على المعلومات المطلوبة وتصبح شركات الشحن أكثر دراية بتصاريح التصدير والاستيراد، تتحسن الأمور مجددا». (أ ف ب)

كلميم: باب الصحراء وهمزة الوصل بين شمال المغرب والعمق الأفريقي

الرباط ـ «القدس العربي»:
سعيد المرابط

بين تناقض الجنوب والشمال، تحديدًا بين اليباس والخضرة، تقع كلميم، أو «كلِّيمِمْ» حسب النطق الحساني، وقديمًا قيل إن هذه المدينة تعتبر باب الصحراء وبداية أرض «البيظان». هي نقطة فاصلة بين جنوب صحراوي قاحل وشمال مفعم بخصوبة الطبيعة.

في هذه المدينة تعايشت كل الأجناس والأعراق، بهوياتها المختلفة؛ بعربها الأعراب والعاربة، وأمازيغها الأقحاح والهجائن؛ مشكّلة هويةً «وادنونية» (نسبة إلى وادي نون) تتشح «درّاعيتها» (لباس الرجال) و«ملحفتها» (لباس النساء) بخصوصية حميمة.

ملتقى الطرق التجارية

كلميم هي كبرى مدن محافظة منطقة واد نون، وهي تاريخيًا منطقة استراتيجية بامتياز، إذ تعاقبت عليها مجموعة من الحضارات، وهذا ما يبرر عدم وجود حدود قارة لهذا المجال الجغرافي عبر التاريخ. بل إن إحداثياته تتغير تبعاً لتغير المد والجزر في سخاء وعطاء الطبيعة، وتغير موازين القوى بين مستوطني هذه المنطقة؛ سواءً القارين منهم أو الرّحل الذين عادةً لا يبطئون، وإن كان هذا التغير بطيئًا وغير ملحوظ.

وتعاقب على الاستقرار بهذا المجال مجموعة من الحضارات والمكونات القبلية التي تنتمي بالأساس إلى مكون «تكنة» والذي يضم مجموعة من القبائل التي اتسم بعضها بطابع الترحال.

وادي النون، عرف أيضاً قبل إنشاء المدينة الحالية كلميم، استقراراً بشريا ذا طابع حضري بامتياز، وهو ما يترجمه وجود حاضرتي «نول لمطة وتكاوست» اللتين ميزتا تاريخ المنطقة لقرون خلت.

فبالنسبة لمدينة نول لمطة فإنها تعد من أبرز المدن التي تحدثت عنها المصادر التاريخية، التي همت المنطقة وتقع قرب قرية أسرير الحالية، والتي بلغت أوجها في عهد المرابطين خلال القرن الـ11 للميلاد، وتعد من المدن السبع الكبرى في مغرب القرنين الـ7 والـ8 للميلاد، إذ كان دورها التجاري يضاهي مدنا شهيرة في تاريخ المبادلات التجارية الأفريقية.

وقد كانت مدينة نول لمطة نقطة التقاء القوافل التجارية القادمة من أفريقيا جنوباً، والقوافل القادمة من الشمال، والأخرى القادمة من المحيط، بفعل وجود ميناء أساكا التاريخي على مصب واد أسكا الذي يصب في المحيط، الشيء الذي أكسب المدينة مرونة تجاه العواصم الإقليمية والاقتصادية، ويتجلى ذلك من خلال كثافة المبادلات التجارية، وذلك راجع لكون المرابطين لم يفرضوا أي قيود تجاه العلاقات التجارية، بسنّهم ضرائب على القبائل الواصلة إلى نول لمطة.

وإضافة إلى الدور التجاري لمدينة نول لمطة، عرفت هذه الأخيرة بازدهار الصناعات التعدينية وسك العملات، وهو ما أهّلها لتكون من الحواضر الأكثر أهمية خلال المرحلة المرابطية وما بعدها، إلا أن الازدهار بهذه المدينة سينتهي في المرحلة الموحدية بفعل الحروب التي نشبت على الطرق التجارية والموارد بالمنطقة. وستتراجع هذه المدينة لصالح المدينة التاريخية الأخرى التي لا تقلّ أهمية ويتعلق الأمر بتكاوست.

بالنسبة لمدينة تكاوست، وبعد إخلاء مدينة نول لمطة واندثارها، أخذت هذه المدينة مكانها على المستويين الاقتصادي والعمراني، حيث كانت تعد من أهم المدن خلال تلك الفترة وعاصمة واد نون بدون منازع، مستفيدة من موقعها التجاري وقربها من المحيط، وقد عرفت المدينة أوجها في عهد الدولة السعدية، وبالضبط إبان حكم السلطان المنصور الذهبي، الذي استعمل المدينة كقاعدة لانطلاق جيوشه نحو الصحراء لغزو ما كان يعرف ببلاد السودان (أفريقيا الغربية).

وكما هو الحال بالنسبة لسابقتها فإن مدينة تكاوست عرفت تراجعا كبيرا إلى أن اندثرت بشكل كلي بفعل بناء ميناء الصويرة، وإنشاء مدينة كلميم القريبة والتي انتقلت إليها كل المبادلات التجارية، مستغلة بذلك موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها ملتقى الطرق التجارية الرابطة بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء، ونقطة عبور لا محيد عنها، الشيء الذي سمح لها بمراقبة الطرق وضمان أمن القوافل التجارية. وقد تعززت هذه المكانة التجارية والاقتصادية لهذا المجال باحتضانه لأحد الأسواق التجارية الكبرى بالمنطقة والمعروف باسم سوق «أمحيريش» الذي كان يعد مركزاً اقتصادياً مهما وفضاء تجارياً معروفا على الصعيد المحلي والجهوي، ويمتد على مساحة تقدر بأكثر من ثلاثة هكتارات.

حاضرة الجنوب

امتداد منطقة وادنون يصل إلى السفح الجنوبي للأطلس الصغير، وبمحاذاة الأطلسي، ما جعل من وادنون منطقة انتقالية بين المغرب المتوسطي والمغرب الصحراوي، وقد عرفت هذه المنطقة استقرارا بشريا قديما تمثل في تعمير مجموعة من الواحات وظهور مدن عريقة؛ ارتبط ازدهارها بنشاط الرعي والزراعة والتجارة الصحراوية العابرة نحو القارة الأفريقية، وهذا ما جعل هذه البقعة تلعب أدوارا مهمة عبر تاريخ المغرب ماضيا وحاضرا.

لقد اضطلعت المنطقة بدور مهم في تاريخ الجنوب المغربي واستأثرت بأهم التحولات السياسية والاقتصادية، وحتم عليها موقعها أن تلعب دورا أساسيا في مجمل الأحداث التي عرفتها المنطقة؛ كما سمح لها هذا الموقع الجغرافي لتصبح إحدى المحطات الرئيسية للتجارة العابرة للصحراء؛ حيث تنتهي عندها طرق تجارة القوافل القادمة من السودان، وهذه الأهمية جعلتها تتعرض لتهافت التجار الأوروبيين، وقد مكنها وقوعها على الواجهة البحرية من الاتصال بالخارج، بينما انفتاحها على الصحراء أتاح لها نسج شبكة من العلاقات التجارية.

وتعد الفلاحة أهم نشاط اقتصادي حيث يشغل يدا عاملة مهمة معتمدا في ذلك على الإمكانات المائية وخصوبة الأراضي، بالرغم من أنه يعاني من ضعف الاستثمار وانتشار الضيعات التي تعتمد على الأدوات التقليدية، بالنظر إلى ضعف المساحات المخصصة للزراعة، كما تتوفر المنطقة على وحدات تقليدية وأخرى عصرية لتربية النحل بالإضافة إلى قطيع هام ومتنوع من الماشية من إبل وماعز وأغنام وأبقار.

هذه المدينة الصحراوية، شكلت همزة وصل بين الشمال المغربي والامتداد الأفريقي، وظلت ماسكة

بخيوط تجارة القوافل، وتدل الآثار الموجودة حتى الآن على وجود مدن عريقة تدل على حضارة لم يكشف النقاب عنها بعد.

عندما انقرضت مدينة تكاوست، وقع الاتفاق بين القبائل على إقامة سوق اسبوعي بربوة صغيرة قرب حاضرة كلميم وما زال اسمها إلى الآن مشتقًا من ذلك الاتفاق «كويرة السوق» (ربوة السوق) وكان لقرب المدينة من السواحل دوره الاستراتيجي في أهميتها كعاصمة.

وقد أصبح ملتقى كلميم يمثل وضعية متجددة تلتقي فيها مختلف العوامل الاقتصادية، وكانت المدينة تضم ثلاثة أحياء متفرقة؛ أكادير المعروف باسم «اكويدير» وهو حي كان لعلية القوم، وفي غرب هذا الحي كانت توجد القصبة ثم القصر في الجنوب، بينما استقر يهود المدشر في ملاح شمال القصر يتوفر على بيعة واحدة وبعض الدكاكين.

وهكذا أصبحت مدينة كلميم تحتل الصدارة في المبادلات التجارية، وكانت سوق كلميم تشكل نقطة التقاء التجار القادمين من الشمال وأولئك القادمين من تمبكتو، كما أن أهم السلع التي يعرضها مغاربة تمبكتو في أسواق كلميم هي الملح والصمغ والنسيج القطني وريش النعام والحلي من الذهب والفضة، وقد استمرت تجارة القوافل كوسيلة فعالة للتبادل التجاري بين ضفتي الصحراء إلى الستينيات من القرن الماضي.

واعتبارا لموقعها الجغرافي المتميز ولمؤهلاتها الطبيعية والسياحية والتاريخية، فإن وادنون تشكل نقطة جذب بفضل مواقعها المتنوعة كسوق امحيريش الذي يعد من الأسواق الكبرى للإبل، ويرمز للدور الاقتصادي الذي تلعبه عاصمة وانون عبر التاريخ.

كما تشتهر المدينة بمهرجان أسبوع الجمل الفني والثقافي والاجتماعي الذي ينظم أواخر شهر تموز/يوليو من كل سنة، ويتضمن سباق الهجن باعتباره من الفنون التراثية التي كانت تمارس قديما في بعض المناسبات وذلك في سياقات احتفالية تجمع بين البعدين الديني والثقافي المرتبط أساسا بزمن البداوة، وإقامة خيمة الرحل لتمكين الزائر من التعرف على مختلف التقاليد والطقوس التي تجسد الحياة اليومية للبدو الرحل، والترويح عن النفس واحتساء كؤوس الشاي الصحراوي، والاستمتاع بالموسيقى الحسانية والفنون التراثية المادية واللامادية؛ التي تعكس القيمة التي يمثلها هذا الموروث من دلالات في المخيل الشعبي.

مناخ صحراوي

المناخ السائد في المنطقة صحراوي، حار وجاف صيفا وبارد شتاء، لكنه يبقى معرضا للمؤثرات البحرية والقارية ويتراوح معدل التساقطات السنوية ما بين 100 و400 مل سنويا.

وتتميز الحرارة بالارتفاع حيث تصل إلى أزيد من 45 درجة صيفا؛ وبالرغم من التقلبات المناخية السريعة، وهبوب الرياح «الشرقية» (تنطق قافها جيمًا مصرية) فإن منطقة وادي نون تمثل إحدى المناطق الأكثر خصوبة على الضفة الشمالية للصحراء، بفضل التأثيرات البحرية الملازمة لامتداد الشاطئ بمحاذاة المنطقة.

جبال وهضاب

تتميز تضاريس المنطقة بكونها ضعيفة التموج حيث يمكن التمييز بين وحدتين تضاريسيتين كبيرتين هما: الوحدة الجبلية التي تتباين من حيث ارتفاعها ومن حيث تقطعها وأيضا تحدب القمم، ويمكن التمييز فيها بين كتلة أيت باعمران وأعراف باني وتيرت؛ وكذلك الوحدة الهضبية، التي تتمثل في هضبتي (لخصاص وتيسة وكير)؛ اللتين تقعان في الجهة الجنوبية لمنخفض كليميم.

أما بالنسبة للتربة فهي ضعيفة ولا تساعد على قيام نشاط زراعي بالشكل المطلوب، ويرجع ذلك إلى كونها إما تربة حصوية أو رملية، وقليلا ما نجد بالقرب من المجاري المائية تربة غرينية تسمح بإقامة نشاط فلاحي محدود.

وينتشر بجانب الأودية وعلى سفوح الهضاب غطاء نباتي غير كثيف خاصة: الدغموس والرمث وشجر الأركان، إضافة إلى شجرة الدفلة وشجر الطلح والسدر والطرفة والزيات.

منطقة واد نون، واحدة من أهم المناطق الحضرية في المغرب، والتي عرفت منذ أقدم العصور، ورغم قلة المراجع التاريخية، فالآثار الموجودة حتى الآن تؤكد وجود مدن عريقة تدل على حضارة لم يكشف سرها بعد، من ضمنها مدينة تكساوت (واعرون والقصابي حاليا) التي عاشت أكثر من ثلاثة قرون. وعندما هلكت، وقع الاتفاق بين القبائل على إقامة سوق أسبوعي؛ ولكن انعدام المياه العذبة وبعدها من القرى الآهلة جعل الأهالي يفكرون في تغييرها، ويقال إن الفكرة يعود الفضل فيها إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل في نهاية القرن 18.

وكانت تلك الفترة هي عهد الازدهار بالنسبة للمنطقة الجنوبية بصفة عامة، وواد نون بصفة خاصة، إذ استفادت المنطقة من وجودها كملتقى للقوافل القادمة من فاس ومراكش والصويرة وغيرها، وكذا القوافل الأخرى الآتية من السودان، وأصبحت مدينة كلميم تحتل الصدارة في المبادلات التجارية وورثت في ذلك مكانة مدينة سجلماسة التي سيطرت على التجارة الأفريقية مدة قرون من الزمن.

هي نقطة فاصلة بين جنوب صحراوي قاحل وشمال مفعم بخصوبة الطبيعة

واشتهرت كلميم بسوقها الأسبوعي، ومنطقة واد نون بمواسمها السنوية الكبرى، وكان أكبرها موسم الولي الصالح سيدي محمد بن عمر اللمطي اللمثوني، في قرية أسرير، وكانت كل القبائل تحج إليه من شمال المغرب ومن تمبكتو وكاو جنوبا.

أما المواسم الأخرى فهي موسم المولد النبوي بمدينة أسا، وموسم سيدي عمر أو عمران بالقصابي، وموسم سيدي الغازي بمدينة كلميم.

وفي هذه المواسم كانت تعرض جميع المواد المصنعة وغير المصنعة من شاي وسكر وسلاح وزراب وأقمشة صوفية وغيرها... مقابلَ المواد التي كانت تأتي من السودان الغربي من عبيد وحرير وذهب وعاج وريش النعام وعنبر وجلود الحيوانات وغيرها.

والسلع كانت تحمل على ظهر الجمال في قوافل كبيرة تسمى أكبار بمعنى (القافلة) وفي الأكبار يصل عدد الجمال المحملة فيه من ألف جمل إلى عشرة آلاف، وخارج الأسواق الكبرى فان هذه القوافل كانت تصدر السلع عبر ميناء الصويرة.

التحدي الكبير

عاصمة محافظة واد النون، تعيش الآن كورش مفتوحة لتعويض ما فاتها إبان فترة عرقلة، إذ توقفت المشاريع التنموية في فترة الصراع السياسي والانتخابي، تلك الحقبة التي أنهكت الجهة وسكانها، مضت بما لها وما عليها، وعادت «المشاريع الملكية وعجلة التنمية التي توقفت وقتئذ إلى الدوران» وفق وصف أحد شباب المدينة لـ«القدس العربي».

وحسب ما اطلعت عليه هذه الصحيفة من معطيات، فقد رصدت الدولة 800 مليون درهم (7.7 مليار دولار) لإنجاز 582 مشروعا على مستوى 14 مجالًا في ما بات يعرف بـ«الاقلاع التنموي» وأعلن عن الانتهاء من 22 في المئة من إجمالي المشاريع، في حين أن 48 في المئة تشرف على الانتهاء، لتبقى 30 في المئة على مشارف البدء في التنفيذ.

وعلى رأس هذه المشاريع، يأتي «طريق الصحراء السريع» بكلفة 8.5 مليار درهم (حوالي 850 مليون دولار) الذي من شأنه فتح الجهة على العمق الأفريقي وفق مشروع العاهل المغربي محمد السادس المتمثل في الانفتاح الاقتصادي على القارة السمراء.

مكانة المدينة التاريخية وموقعها الجغرافي الذي أهّلها لأن تكون أقدم حواضر الجنوب، وجعلا المفكّرين في بناء المشاريع يستبدلون أخفاف الأباعير بالسيارات العابرة، وأسنمةَ الجمال بالطائرات المحلقة التي بني لها مطار بتكلفة 273 مليون درهم، يستقبل رحلات جوية من مدن الداخل والخارج.

ومن التحديات الكبيرة التي تواجه مدينةً هي مدخل الصحراء الكبرى، مشكلة ندرة الماء، فكان أهم المشاريع التي بدأت بها الاشغال، بناء سد فاصك الكبير، بميزانية 1500 مليون درهم، ويحظى بدعم من دولة قطر، وكذلك بناء عدة سدود مائية لتخزين الماء، وحماية المدينة من الفيضانات التي ما تزال صورها موشومة بالذاكرة وموغلةً في ثنايا المشاعر منذ 2014.

رياضة

هل تندم جميلة تشيلسي على طرد لامبارد وتعيين توخيل؟

مارينا غرانوفسكايا المديرة التنفيذية لتشلسي

لندن – «القدس العربي» عادل منصور

«أشعر بخيبة أمل لأنني لم يكن لدي الوقت هذا الموسم لدفع النادي إلى الأمام ونقله إلى المستوى التالي»، بهذه الكلمات التي دوّنها فرانك لامبارد عبر حسابه على منصة «انستغرام»، في رسالة وداع تشلسي وجماهيره، صدرت عناوين وأغلفة الصحف والمواقع الرياضية، وأحدثت كذلك انقساما بين المشجعين في عالم «السوشيال ميديا»، ما بين فئة تعتقد أن الروسية مارينا غرانوفسكايا، التي تشغل منصب المديرة التنفيذية في النادي، أخطأت بتسرعها في اتخاذ قرار الإقالة، من منطلق أن سوبر فرانك لم يحصل على وقته بشكل كاف، على الأقل مقارنة بنظيره في مانشستر يونايتد أولي غونار سولشاير، وأخرى ترى أن المرأة الحديدية أصابت الهدف، لإنقاذ موسم البلوز بعد تدهور الأداء والنتائج في الأسابيع الماضية.

فلاش باك

يبدو ظاهريا، أن النتائج المتواضعة التي حققها البلوز في الجولات الأخيرة، والتي وصلت لحد التجرع من مرارة الهزيمة 3 مرات في آخر 6 مباريات، سببا رئيسيا في قرار الإطاحة بأسطورة النادي، لكن في حقيقة الأمر، كانت هناك صراعات وحروب باردة خلف الكواليس، هي التي عجلت بانتهاء قصة لامبارد القصيرة في «ستامفورد بريدج»، لعل أبرزها ما انفردت به شبكة «ذا أثلتيك»، وما وصفته «الخلافات الحادة» بين الرجل الأربعيني وبين المرأة التي تحكم قبضتها على كل مفاصل كرة القدم داخل النادي، لأسباب تتعلق بقوة نفوذها في تشلسي، بمباركة من مواطنها رومان آبراموفيتش، وقد بدأت المشاحنات بين الاثنين في مثل هذه الأيام العام الفائت، عندما بادر لامبارد بافتعال المشاكل، بتصريحات على طريقة «كل لبيب بالإشارة يفهمُ»، موجها انتقادات غير مباشرة لغرانوفسكايا، لعدم إبرام صفقات جديدة في الميركاتو الشتوي، كمكافأة له، بعد نجاحه في المهمة الانتحارية، بوضع الفريق على الطريق الصحيح في النصف الأول من موسمه الأول، بدون النجم الأول إيدين هازارد، ولا حتى صفقة واحدة جديدة، بسبب العقوبة المفروضة من الفيفا، بمنع النادي من شراء لاعبين بسبب انتهاكات ضم بعض اللاعبين الأقل من 18 عاما، وهي العقوبة التي تم تخفيفها أواخر 2019، إلا أن إدارة تشلسي لم تُحرك ساكنا، ما أحدث شرخا في العلاقة بين المدرب والمديرة، على غرار اعتراض مارينا على طريقة تعامل لامبارد مع الحارس الإسباني كيبا أريزابالاغا، ذاك الحارس الذي كبد الخزينة الزرقاء ما يزيد على 70 مليون جنيه إسترليني، وفي الأخير انهارت قيمته السوقية، لتراجع مستواه، بصورة لم يُقال عنها صادمة، في عهد المدرب السابق، وحتى بعد التعاقد مع الحارس السنغالي إدوارد ميندي، للتخلص من صداع ضعف مركز حراسة المرمى، وهو ما حدث بالفعل في الشهور القليلة الماضية، لكن المديرة لم تنس أبدا أن لامبارد كان بإمكانه رفع مستوى كيبا والتعامل معه نفسيا بشكل أفضل، على الأقل حفاظا على قيمته السوقية.

صلاحيات وانتقام

خاض لامبارد معارك أخرى غير محسوبة مع المرأة المسيطرة على النادي، مثل الصدام على الصلاحيات الخاصة باختيار القائمة والتحكم في مستقبل اللاعبين، تلك الامتيازات والصلاحيات الموسعة التي كانت تعطي في السابق للمدرب، قبل أن يتغير الزمن ويصبح مدير الكرة، همزة الوصل بين أصحاب القرار وبين الطاقم الفني، مع هيمنة على كل ما يخص سوق الانتقالات، بل أحيانا التدخل في الأمور الفنية. وبرزت هذه المشكلة، في ملف المدافع الألماني أنطونيو روديغر، الذي حاول المدرب التخلص منه بشتى الطرق في بداية الموسم، لكن المديرة ضربت بكلام المدرب عرض الحائط، ليصفعها بتجميد اللاعب على مقاعد البدلاء، وهو ما أثار غضب غرانوفسكايا، وساهم بشكل أو بآخر، في قطع شعرة معاوية بينهما، بتجاهل طلب المدرب بالتوقيع مع هدفه الرئيسي ديكلان رايس، خاصة بعد تمسك الغريم اللندني وستهام بالحصول على 70 مليون بالعملة المحلية، مقابل الاستغناء عن اليافع العشريني، قبل أن تنقلب عليه غرفة خلع الملابس، لاعتراض اللاعبين على تعامل المدرب مع الهزائم والعروض السيئة، إلى جانب مبالغته في انتقادهم على الملأ، ليضع اللاعبين في مرمى نيران المشجعين، بدلا من دعمهم بأفكار وخطط تساعدهم على إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، وهو ما أشعل ثورة غضب اللاعبين المهمشين، فيما كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، أو بالأحرى فرصة ذهبية لغرانوفسكايا، أجل الانتقام من المدرب، باتخاذ قرار إقالته بعد السقوط المؤلم أمام ليستر سيتي بثنائية نظيفة، وفي اليوم الأخير وبعد التوصل إلى اتفاق رسمي مع الألماني توماس توخيل، تم منع الأسطورة من دخول مقر تدريبات تشلسي في كوبهام، والأسوأ من ذلك، لم تسمح له الإدارة بتوديع اللاعبين للمرة الأخيرة، وفقا لما أوردته شبكة «سكاي سبورتس»، في تقرير خاص عن كواليس إقالة لامبارد وتعيين خليفته بعقد مدته 18 شهرا.

خطايا لامبارد

بعيدا عن الصراعات الداخلية، هناك العديد من الملفات، لم ينجح فرانك لامبارد في إدارتها، يأتي في مقدمتها ملف الصفقات الجديدة، التي كلفت النادي ما يقرب من ربع مليار إسترليني، كواحد من أكثر أندية الكوكب نشاطا في زمن كورونا. وكما نعرف، أبرم البلوز 7 صفقات، منها 6 لدعم الفريق الأول، منها لتعويض المدرب بعد تقشف الموسم الماضي، ومنها أيضا لتحقيق آمال وتطلعات المشجعين، بإعادة الفريق للمنافسة على البريميرليغ، لكن مع الوقت، وضح للجميع أن المدرب لم يستغل الوافدين الجدد بالشكل المطلوب، خصوصا الصفقات التي كانت تعول عليها الجماهير، والإشارة إلى السهم الألماني تيمو فيرنر ومواطنه كاي هافيرتز، ولاحظنا كيف تسبب هذا الثنائي بالذات في خلط أوراق المدرب، لأسباب تتعلق بسوء توظيفهم داخل المستطيل الأخضر، بالاعتماد على فيرنر في مركز رقم 9، وأغلى صفقة في تاريخ النادي في مركز لاعب الوسط، وذلك لحل معادلة إبقاء ماسون ماونت وكريستيان بوليسيتش في القوام الرئيسي، رغم أن قوة القادم من لايبزيج تكمن في انطلاقاته المفاجئة على الطرف الأيسر، أو في مركزه المفضل كجناح مهاجم، لاستغلال طاقته وسرعته الجنونية في آخر 30 متراً في الملعب، بينما لامبارد كان مقتنعا أنه رأس حربة ومحطة يرتكز عليها في المناطق المحظورة للمنافسين، وذلك بطبيعة الحال، لتفادي المفاضلة بين فيرنر وبوليسيتش.

وهي نفس المعضلة التي واجهت المدرب، للمفاضلة بين حكيم زياش وكاي هافيرتز وبدرجة أقل ماونت، وفي نهاية المطاف، اضطر لخلق مركز لكاي في وسط الملعب، ما حرم الشاب الألماني من ميزته،

كلاعب مبدع رقم 10، وجعله يظهر بصورة لا تقارن بمستواه الخرافي الذي كان عليه مع فريقه السابق باير ليفركوزن. وتشمل خطايا سوبر فرانك، فشله في إنهاء صداع الهشاشة الدفاعية، للموسم الثاني على التوالي، رغم ارتفاع جودة الأسماء مقارنة بالموسم الماضي، متمثلة في الحارس ميندي والمدافع البرازيلي المخضرم تياغو سيلفا، بدلا من كيبا وكثير الأخطاء أندريس كريستينسن، لكن قلة خبرة المدرب، وإصراره على اللعب بطريقة هجومية مبالغ فيها، كأنه كان يغامر بالأسماء الرنانة في الهجوم، الأمر الذي تسبب في ضياع نقاط مجانية، نتيجة المجازفة الهجومية الكبيرة على حساب الشق الدفاع، كما حدث أمام ولفرهامبتون، حين أعطى تعليمات لجيمس وتشيلويل بالاندفاع إلى الأمام في الدقيقة 90 والنتيجة 1–1، بعدها مباشرة استقبل هدف ضياع النقاط الثلاث، وقبلها استقبل 3 أهداف أمام مانشستر سيتي في الجولة الـ17، منها هدفان من هجمات مرتدة لفريق الفيلسوف بيب غوارديولا. ومثل هذه الهفوات الساذجة، تسببت في هزائم مجانية، وبالتبعية تقلصت فرصه في المنافسة على اللقب الغائب منذ عهد الإيطالي أنطونيو كونتي، بتقهقر الفريق في جدول ترتيب أندية البريميرليغ، باحتلاله المركز التاسع، متأخرا بـ11 نقطة عن المتصدر مانشستر سيتي وبـ10 نقاط عن الوصيف مانشستر يونايتد، بعدما كان على بعد نقطتين فقط من الثنائي المتصدر حتى الجولة الحادية عشرة ليفربول وتوتنهام، ولأن مستقبل المدرب يتوقف في الأساس على نتائج الفريق، خصوصا مع ناد مثل تشلسي، له تجارب سابقة كثيرة في تغيير المدربين مع أول تعثر.

الرهان الحائر

باستثناء المستوى المبهر، الذي ظهر عليه المغربي حكيم زياش قبل انتكاسته الأخيرة، حاول لامبارد إقناع الجمهور والرأي العام، أو إن جاز التعبير تبرير البداية البطيئة للصفقات الجديدة، لحاجة هؤلاء لمزيد من الوقت والصبر، حتى تكتمل عملية الانسجام بين الجدد والقدامى، ومن ثم تظهر ملامح المشروع، حتى أنه ذكر الجميع ببدايات كيفن دي بروين ومحمد صلاح وغيرهم في الدوري الإنكليزي الممتاز، مقارنة بوضعهم بعد اكتسابهم الخبرة والتمرس على أجواء وطن مهد كرة القدم، لكن الإدارة لم تصبر عليه، بالطريقة التي رسمها لنفسه، على الأقل، ولم يحصل على وقته الكافي مثل أولي غونار سولشاير، الذي تعرض لنفس المواقف والظروف، مع ذلك أبقت عليه إدارة اليونايتد، إلى أن قفز بالفريق إلى الوصافة، ولولا التعثر أمام دابته السوداء شيفيلد يونايتد في الجولة الـ20، لاحتفظ بالصدارة حتى إشعار آخر، وهذا ما خذل لامبارد وأصابه بخيبة أمل، كما قال بنفسه في رسالة الوداع، لاعتقاده بأنه لم يحصل على وقته بشكل كاف. بينما الإدارة، وبالأخص غرانوفسكايا، فقد رأت أنه استنفد كل رصيده على مدار 18 شهرا، ربما لعدم تحسن أوضاع الفريق، وافتقاره للهوية والأناقة لفترة طويلة، وربما لعدم حدوث ثورة حقيقية، تعبر عن حجم النادي في الميركاتو الصيفي، ليقع الاختيار على المخضرم الألماني توماس توخيل، الذي اكتسب خبرات لا بأس بها من عمله في سُدّة حكم بوروسيا دورتموند وباريس سان جيرمان، وعلى الأقل، يصنف على أنه مدرب من أصحاب البطولات، على عكس لامبارد، الذي ما زال في بداية مشواره التدريبي.

وقد فعلت الحسناء الروسية ذلك، أملا في استنساخ تجارب الأمس غير البعيد، أشهرها مغامرة 2012، عندما اكتفى رومان أبراموفيتش بـ40 مباراة للمدرب البرتغالي الشاب آندذاك أندريه فيلاش بواش، ليكلف مساعده ومحبوب الجماهير روبرتو دي ماتيو، ليقود البلوز لأعظم إنجاز في تاريخه، بتحقيق حلم رجل الأعمال الروسي، بالتتويج بدوري أبطال أوروبا، بعد ملحمة ستبقى عالقة في الأذهان أمام بيب غوارديولا وفريق أحلام برشلونة في نصف النهائي، ثم بقهر البايرن في عقر داره «أليانز آرينا»، بمساعدة ركلات الترجيح، وسبقها بأيام بالتتويج بكأس الاتحاد الإنكليزي بالفوز على ليفربول بهدفين لهدف، والأعجب من ذلك، أطاح بالمدرب الإيطالي في النصف الأول من الموسم التالي، من دون أن يراعي إنجازه، الذي لم يحققه كل من تناوب على تدريب الفريق في كل العصور، حتى بديله، وهو رافا بنيتيز، أنهى الموسم بشكل مثالي، بتحقيق لقب اليوروبا ليغ، إلى جانب الحصول على المركز الثالث في جدول ترتيب أندية البريميرليغ، والسؤال الآن: هل سيكون توماس توخيل المخلص الجديد للبلوز؟ أم ستصدق توقعات لامبارد، بأن الفريق لن ينفجر بين يوم وليلة؟

الإجابة على الطرح

قبل أي شيء، من الصعب جدا التشكيك في كفاءة توخيل، المعروف في ألمانيا بتلميذ يورغن كلوب، كونه بدأ مشواره في نفس محطات أفضل مدرب في العالم في آخر عامين، باكتشاف موهبته مع ماينز ومن ثم الانتقال إلى بوروسيا دورتموند. الفارق الوحيد، أن كلوب، توجه إلى تحدي البريميرليغ في أول تجربة خارج البلاد، بينما توخيل، قضى عامين ونصف العام مع باريس سان جيرمان، حقق خلالهم 4 ألقاب من أصل 6 بطولات محلية متاحة، والأهم من ذلك، قاد الفريق للوصول إلى المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا للمرة الأولى في تاريخه، لكنه راح ضحية توقعات العملاق الباريسي العالية، لمجرد أن أنهى الفريق النصف الأول في المركز الثاني، نتيجة لمشاكل كورونا وإصابات الملاعب التي عصفت بأهم اللاعبين، بمن فيهم كيليان مبابي ونيمار جونيور، إلى جانب، التوتر الأخير بين المدرب والمدير الرياضي ليوناردو، الذي كلف توخيل الإقالة من منصبه، بعد أقل من 24 ساعة من تصريحاته النارية، التي انتقد خلالها تحركات الإدارة في سوق الانتقالات، كبوابة للكشف عن المشاكل التي تدور خلف الكواليس، وأيضا لإظهار معاناته من ارتفاع سقف طموح وتوقعات النادي والجماهير، لدرجة أن الفوز بالثلاثية المحلية والترشح لنهائي الأبطال، لم يكن كافيا لحجم التوقعات، ليسلم مشروعه للأرجنتيني ماوريسيو بوتشيتينو، وبعد فترة وجيزة، عاد سريعا إلى أعلى مستوى تنافسي في كرة القدم، وفي مهمة عاجلة لإنقاذ موسم أسود غرب لندن.

وكي يتمم المدرب الألماني مهمته بنجاح، أو بمعنى آخر، ليواصل السير على خطى أستاذه كلوب، يحتاج أولا إلى إخماد ثورة الغضب العارمة داخل غرفة خلع ملابس «ستامفورد بريدج»، بين الشامتين في رحيل لامبارد والمصدومين بفراقه، وثانيا التعلم من هفوات سلفه، بعمل توازن بين الدفاع والهجوم، ما يعرف بالتوليفة السحرية، لإظهار جودة اللاعبين بالطريقة التي يريدها وينتظرها عشاق النادي من هذا الكم الهائل من المواهب القادرة على صنع الفارق في الثلث الأخير من الملعب، ومن حُسن الحظ أن توخيل من أبناء مدرسة الواقعية، ولا يميل إلى فكرة الهجوم من أجل الهجوم، وفي نفس الوقت، ليس بالمدرب الدفاعي البحت، على طريقة حافلة جوزيه مورينيو أو تلاسم أنطونيو كونتي أو دييغو سيميوني، والدليل على ذلك، حكمته في تطويع جواهر العملاق الباريسي لخدمة المنظومة الجماعية، من دون الخلل بالتوازن الدفاعي أو الفاعلية الهجومية، لكن هذا سيتوقف على شخصيته وقدرته على احتواء الصفقات الرنانة التي انطفأ بريقها مع المدرب السابق، أبرزهم أبناء جلدته وخصوم الأمس في البوندسليغا هافيرتز وفيرنر، وإذا فعل ذلك، ستحدث طفرة حقيقية في الخط الأمامي، وهذا ما تتمنى غرانوفسكايا حدوثه، وتنتظره من توخيل، الذي من المفترض أنه جاء إلى تشلسي وهو أكثر خبرة واستعدادا للازدهار أكثر من أي وقت مضى في مسيرته. أما إذا لم يحكم قبضته على غرفة خلع الملابس ولم يجد حلا لتأخر انسجام الصفقات الجديدة مع القدامى، فستصدق توقعات لامبارد، وبالتبعية سيكون الفريق هو الخاسر الأكبر، والسؤال الآن لك عزيزي القارئ: هل تعتقد أن خبرة توخيل ستساعده على الخروج بتشلسي من النفق المظلم سريعا؟ أم سيستغرق بعض الوقت؟

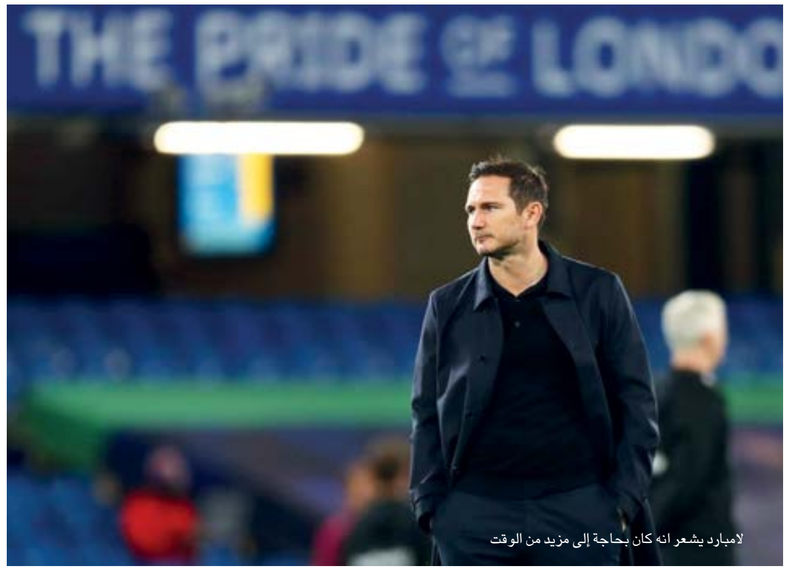

لامبارد يشعر انه كان بحاجة إلى مزيد من الوقت

هل يعيد توخيل تشلسي إلى السكة الصحيحة؟

لاجئون وكادحون وراعي غنم... لاعبون لا يكرههم أحد!

لندن – «القدس العربي»:

بقدر ما يحظى نجوم كرة القدم من محبة وشعبية جارفة من قبل جماهيرهم، يجدون العكس من قبل الخصوم، وأحيانا ينقلب عليهم عشاق النادي في ظرف أسبوع أو حتى 90 دقيقة، إذا وقع أحدهم في المحظور وتسبب في هزيمة الفريق، وقد تعاظمت هذه الظاهرة بطريقة فاقت كل التوقعات في عصر «السوشيال ميديا»، في ما يُعرف بين مواليد الألفية الجديدة بـ«التحفيل» بعد كل مباراة أو نهائي حدث كبير، والتي تحولت الآن إلى فقرة ثابتة في أعتى المؤسسات الصحافية العالمية، لمواكبة العصر وجذب أكبر عدد من القراء، وأيضا لرصد ردود أفعال المتابعين ومعرفة آرائهم في مستوى النجوم أصحاب الشعبية الكبيرة. وفي كل الأحوال لا يسلم هؤلاء المشاهير من نيران سخرية الخصوم، إما بالتعليقات أو «الكوميكس» المثيرة للضحك، إلا فئة قليلة، نالت احترام المنافس قبل المؤيد، بطريقة جعلت من الصعب أن يكرههم أحد، لأسلوبهم الراقي وتحضرهم داخل وخارج الملعب.

تجسدت عظمة هذه المقولة، في أكثر من نموذج للاعب عالمي نستمتع بمشاهدته في كل عطلة نهاية الأسبوع، في مقدمتهم الطفل الكرواتي، الذي فر مع أهله من ويلات حرب البوسنة في بداية التسعينات، وعاش لاجئا مع والده عامل الميكانيكا في القوات العسكرية الكرواتية، ووالدته، التي كانت تعمل في مصنع نسيج، فيما قضى صاحبنا طفولة بائسة، كراعي غنم في جبل تحاصره الذئاب في كل مكان، ليصبح الآن لوكا مودريتش، الذي يُضرب به المثل في التواضع والأناقة، كما يظهر في أسلوبه الراقي في تعامله مع المنافسين، وفي تصريحاته، إلى جانب ذلك، يعطي دروسا في أرقى فنون كرة القدم، على مقولة كاظم الساهر «كل ما تكبر تحلى»، بإمتاع عشاق الكرة الجميلة، بنوع مختلف من السحر، يجعلك تشعر وكأن كرة القدم لعبة سهلة وغير معقدة، كما كان يداعبها مدربه في ريال مدريد زين الدين زيدان أو مايسترو إيطاليا أندريا بيرلو. والمثير للإعجاب، أنه بدأ يحاكي تجربة زميل الأمس كريستيانو رونالدو، بإتباع نظام غذائي وتدريبي صارم، ليظهر بالنسخة الرائعة التي يبدو عليها في الأونة الأخيرة، ويكفي أن التاريخ سيذكره دائما، كأول من يتجرأ على الثنائي الفضائي كريستيانو رونالدو وليونيل ميسي، بإنهاء سيطرتهما على جائزتي الفيفا و«فرانس فوتبول» الكرة الذهبية، عندما فعلها في العام 2018.

أيقونة التواضع

يبقى الفرنسي نغولو كانتي، واحدا من أكثر لاعبي العالم إثارة للإعجاب، لشخصيته المتواضعة الخجولة، التي لم تتغير حتى في أوج لحظات نشوة الفوز بكأس العالم 2018، بتكرار مشاهده مع فريق ضاحية العاصمة باريس في الطفولة، مكتفيا بالوقوف في جانب ليشاهد الجميع يلتقطون الصور التذكارية مع الكأس، من دون أن يشاركهم أو يطلب منهم حمل الكأس، كما روى أوليفييه جيرو، عن خجل كانتي في غرفة خلع الملابس أثناء الاحتفال بأغلى وأمجد الكؤوس، وهذا يرجع، لتكوينه المختلف عن جُل لاعبي الكرة، كطفل وُلد في أسرة كادحة في باريس، بعد هروب أبويه من الحرب الأهلية في مالي. وبسبب قسوة الدنيا، فقد والده في سن مبكرة، ليضطر للعمل في القمامة، وتحديدا في جمع العبوات البلاستيكية والزجاجية، التي يُعاد تدويرها، كأفضل وسيلة لجمع المال السريع، لإعانة الوالدة، التي كانت تعمل في قطاع النظافة. وفي سن الثامنة، قرر الالتحاق بأكاديمية الحي، ومع الوقت والعمل الشاق، أصبح واحدا من أفضل لاعبي العالم في مركزه، كلاعب وسط بقلب أسد في عنفوان شبابه، وخارج الملعب، إنسان لطيف، نادرا ما يظهر في وسائل الإعلام، وابتسامته لا تفارقه أبدا، ناهيك عن مواقفه الإنسانية التي تعكس نبل أخلاقه، أشهرها تلبية دعوات المعجبين لحضور مناسباتهم الخاصة، كما فعلها في العام قبل الماضي، بحضور حفل زفاف ابنة أحد المعجبين، وبثوب ابن الأصول، كما وضح في أسلوبه اللطيف وهو يقوم بتهنئة العريس والأسرة، على عكس المشاهير، الذين يتعاملون بطريقة مختلفة في هكذا مناسبات.

واحد من أكثر اللاعبين المحبوبين في العالم، هو الإسباني دافيد سيلفا، الذي دون أسطورته مع مانشستر سيتي، في بداية مشروع نقل «السكاي بلوز» إلى مؤسسة على نفس مستوى كبار البريميرليغ، واكتسب الثلاثيني هذا التعاطف، بسبب إبداعه وأناقته داخل المستطيل الأخضر، من دون إشارة أي نوع من الجدل طوال مسيرته الاحترافية، تاركا لدغاته وسمومه في دفاع المنافسين تتحدث عنه، خاصة في فترة شراكته مع الخرافي البلجيكي كيفن دي بروين، عندما شكلا واحدة من أخطر ثنائيات الوسط في تاريخ البريميرليغ الحديث، لدقة تمريراته وتفكيره السريع، الذي جعله نموذجا للطرب الكروي، ومؤسسا لنسخة مانشستر سيتي الذي نراه اليوم، لما قدمه مع النجوم الأوائل، الذين شكلوا شخصية مانشستر سيتي الحديثة، كفريق بطل توج بالبريميرليغ 4 مرات في العقد المنقضي، ولهذا، لم يكن له أعداء أو حتى متربصون طوال مسيرته في إنكلترا، بل عندما واجه أزمة إنسانية في العام قبل الماضي، وجد دعما لم يتخيله من قبل المنافسين والمؤيدين، وكان طبيعيا أن يحصل على وداع الأبطال في ملعب «الاتحاد»، بعد أن قرر العودة إلى وطنه عبر بوابة ريال سوسييداد الصيف الماضي. ويتشارك معه في نفس الجينات، مواطنه خوان ماتا، الذي اقتحم القلوب، بأسلوبه الصحافي الراقي عبر مدونته في الشبكة العنكبوتية، حيث يخصص وقت فراغه لممارسة هوايته المفضلة بعد كرة القدم، بكتابة المقالات والتعليقات المهذبة عن المنافسين، كما أثنى من قبل على مسعود أوزيل، وكل من تعامل معه، يشهد له بأسلوبه المهذب سواء اتجاه زملائه أو المنافسين أو حتى لاعبي الأكاديمية في مانشستر يونايتد، كواحد من ألطف وأكثر لاعبي كرة القدم تهذيبا في هذا العصر.

عامل الفحم

صحيح أنه أمام المرمى يكون أشبه بالوحش الكاسر، لكن خارج الملعب يُعرف برجل ليستر سيتي اللطيف، هو القناص جيمي فاردي، الذي لا يكرهه أحد، بعدما سطر أروع القصص الهوليوودية على أرض الواقع، بالتحول من شاب فقير، بدأ حياته بالجمع بين العمل الشاق في أحد مصانع الفحم وبين التدريب مع فريق ستوكس بريدج، ليحصل على 30 جنيها إسترلينيا في الأسبوع، بعد طرده من شيفيلد وينزداي، إلى أن تحول إلى واحد من أغنى لاعبي كرة القدم في بريطانيا، بفضل إنجازاته مع ليستر سيتي، التي بدأت بقيادة الفريق إلى العودة إلى البريميرليغ، ثم معجزة التتويج بالدوري الإنكليزي الممتاز في موسم 2016–2015. والمثير للإعجاب، أنه على رغم تقدمه في السن، بكسر حاجز الـ34 عاما، إلا أنه لم يظهر أي علامات على التباطؤ أو تأثره بعامل التقدم في السن، بل ما زال يؤدي بنفس الزخم والعنفوان، بنسخة قريبة الشبه، للصورة المخيفة التي كان عليها في موسمه المعجزة، بتوقيعه على 11 هدفا، على بعد هدفين من متصدر قائمة الهدافين محمد صلاح، كأكثر المساهمين في تواجد الثعالب في المركز الثالث في جدول ترتيب أندية الدوري الممتاز، خلف المتصدر مانشستر سيتي بنقطتين فقط. لذا، يصعب العثور على أعداء لهذا النموذج المكافح، أما النموذج العربي الذي يحاكي قصة كفاح فاردي، فهو معشوق الملايين محمد أبو تريكة، الذي عمل في قطاع مشابه، في مصنع للطوب الأحمر في الجيزة، ومع الصبر والكفاح إلى جانب مواقفه الإنسانية، أصبح أسطورة وقدوة للأجيال الجديدة.

نجم تشلسي نغولو كانتي من أكثر اللاعبين الذين يتمتعون باحترام الجميع

الحزن والصدمة مستمران بعد

لوس أنجليس «القدس العربي»:

أصيب على الرياضة في يوم 26 كانون الثاني/ يناير 2020، بذهول وألم كبيرين إثر خبر وفاة أسطورة كرة السلة الامريكية ولوس انجليس ليكرز كوبي براينت إثر تحطم طائرة مروحية في ضواحي المدينة. وبعد مرور عام على الحادثة الأليمة، لا يزال وقعها قائمًا.

عادة، في أول شهر من السنة، تحتفل جماهير ليكرز بنقاط كوبي الـ81 التي سجلها في 22 كانون الثاني/ يناير 2006 ضد تورونتو رابتورز، في أفضل أداء فردي لنجمها الذي أحرز لقب دوري كرة السلة الامريكي للمحترفين خمس مرات بالقميص الذهبي والبنفسجي. لكن كانون الثاني/ يناير بات شهرا يحيون خلاله ذكرى رحيل اسطورتهم ويستذكرون بقلب معصور صباح ذاك الاحد الضبابي الذي سرعان ما تحوّل إلى داكن اللون بعد تحطم المروحية الذي أودى بحياة ابن الـ41 عاما وابنته جانا (13 عاما) وسبعة أشخاص آخرين بعد اصطدامها بجبل كالاباساس شمال غربي مدينة لوس انجليس. ومع ذلك، بعد عام 2020 الذي يُعدّ من بين الاكثر اضطرابا في التاريخ الحديث بسبب جائحة فيروس كورونا، وفي الوقت الذي لا تبشر 2021 بالعودة إلى الحياة الطبيعية في المستقبل القريب، لم يتمكن محبوه من تكريم اللاعب الملقب بـ«بلاك مامبا» تيمنا بالافعى الافريقية العملاقة، كما أرادوا. إذ بسبب القيود المفروضة للحد من تفشي وباء كورونا، لن تتمكن الجماهير من التجمع خارج ملعب «ستايبلس سنتر» الذي كان شاهدا على مسيرته الزاخرة طوال عقدين من الزمن، كما فعلوا لعدة أيام بعد وفاة حامل ذهبيتين اولمبيتين مع منتخب بلاده.

ليبرون جيمس، الذي ألقى خطابا مؤثرا في ذكرى رحيل صديقه ووفى بوعده بمواصلة إرث «شقيقه الأكبر»، من خلال قيادة ليكرز إلى اللقب الاول في الدوري منذ 10 أعوام مع براينت في تشرين الاول/ أكتوبر الفائت، لا يرغب في استذكار ذلك اليوم الأليم. إذ اعترف مؤخرا بقوله: «أحاول ألا أضع نفسي في هذا الموقف... لا أريد أن أجد نفسي في ذات الحالة الذهنية التي كنت عليها وقت المأساة. إنه يراقبنا من فوق مع جيجي، ويجب أن يكون فخورا بما نحاول تحقيقه في النادي. لا أريد أن أعيش في الماضي، ولا أريد أن أعيش تحديدا ذاك اليوم من جديد».

أما ستيفن كاري، نجم غولدن ستيت واريرز، فقد روى كيف تلقى النبأ المروع، بقوله: «سأتذكره طوال حياتي. كنت في التمارين، تغيرت لغة جسد الجميع فجأة وتوقفت الحصة. كان هناك الكثير من الحزن، كانت لحظة مفجعة. لم نرد التصديق ان النبأ صحيح. لقد كان لا يصدق ولا يزال صعبا. لا نشعر أن عاما قد مر بالفعل». ومثله، نشأ كيفن دورانت وكواهي لينارد وكيري إيرفينغ بين المخضرمين، وجايسون تايتوم والكندي جمال مري بين اللاعبين الصغار وهم يشاهدون إنجازات براينت الذي كان بمثابة «مايكل جوردان الخاص بهم» وفق وصف بول جورج لاعب لوس انجليس كليبرز الحالي.

وفي مدينة لوس انجليس، ازدهرت اللوحات الجدارية في العام 2020 مع تهافت الفنانين لتكريم بطل المدينة. حتى أن مجموعة من العدّائين اعتادت كل يوم اثنين الركض بشكل رمزي على طول حوالي ثلاثين لوحة جدارية تقع في ضواحي «ستايبلس سنتر»، على مسافة 24–8 ميل، وهما الرقمان اللذان حملهما براينت في مسيرته. ويقول تيريل بورتر، فنان شوارع يرسم على جدار مصنع للنسيج في وسط المدينة: «الكثير من الناس يصرخون لي بدعم: كوبي إلى الأبد! ويشكرونني». ووفق موقع «كوبي مورال دوت كوم» الذي يعدد ويحدد أماكن اللوحات الجدارية التي رسمت خلال العام الماضي تكريما لبراينت، هناك 321 في الولايات المتحدة، بما فيها 246 في جنوب كاليفورنيا، و113 في أكثر من 30 دولة، من أوغاندا إلى هايتي مرورا بفرنسا، في أجمل دليل على أن ذكرى كوبي ما زالت حية في شوارع العالم أجمع.

وعلى مستوى الدوري، من المقرر إدراج اسم براينت ضمن قاعة المشاهير لكرة السلة الامريكية في شهر أيار/ مايو المقبل، بحضور بناته الثلاث الأخريات وأرملته فانيسا، التي عاشت عاما بين الحداد والإجراءات القانونية. إذ رفعت دعوى قضائية ضد مكتب الشرطة في مقاطعة لوس أنجليس بسبب التقاط عناصره صورا لموقع تحطم المروحية وتسعى من خلالها الحصول على تعويضات نتيجة الضرر العاطفي والمعاناة الذهنية، في أعقاب الكشف عن أن ثمانية من مساعدي شريف المقاطعة التقطوا صورا للحطام والجثث وشاركوها مع آخرين. والأشخاص الوحيدون المصرح لهم بالتقاط صور لموقع التحطم هم محققون من المجلس الوطني لسلامة النقل ومكتب الطبيب الشرعي.

واحدة من جداريات كوبي براينت المنتشرة في أرجاء لوس أنجليس

مرور عام على رحيل كوبي براينت!

خلدون الشيخ

هل سقط القناع عن وجه مورينيو مجدداً؟

عندما قرر دانيال ليفي رئيس توتنهام، تعيين جوزيه مورينيو مدرباً في نوفمبر/تشرين الثاني 2019، خلفاً للمحبوب وصاحب الشعبية ماوريسيو بوتشيتينو، كان كثير من المتابعين على يقين ان الامر لن يطول كثيراً، وأن المشهد سيتكرر، من صدامات ومشاجرات فنتائج سلبية فاقالة مذلة، وكأنه سيناريو حفظه الجميع.

ليفي معروف عنه حرصه الكبير على المال، وليس من هواياته الانفاق ببذخ على ضم اللاعبين، لكنه تنازل لعيون المدرب البرتغالي، فأنفق النادي 100 مليون جنيه استرليني في الانتقالات الصيفية، وهو يعلم أنه ضحى بأسلوب بوتشيتينو، صاحب الكرة الجميلة لجلب صاحب الأسلوب الدفاعي العقيم الذي اشتهر به مورينيو، والهدف ضمان احراز لقب. ورغم البداية الايجابية، الا ان النتائج كانت عادية والعروض سلبية ودفاعية، بعيدة عما عرفته جماهير السبيرز في السنوات الخمس الماضية، إلى درجة ان أحد المعلقين اعتبر ان مورينيو محظوظ لأن الجماهير ممنوعة من المدرجات، والا لعنفته ووبخته. لكن كانت هناك مؤشرات ايجابية بابتعاد مورينيو عن الانفعال العلني بعد النتائج السلبية، وقلص كثيراً من انتقاداته ولومه المنافسين والحكام وضغط مباريات، بل أبقى انتقاداته لنجومه إلى أدنى حد، لتفادي العد التنازلي لصدام كبير متوقع مع الادارة، مع امكانية الاقالة الرابعة على التوالي.

وهذا الموسم فجأة انقلب الحال، منذ مباراة كأس المحترفين ضد تشلسي، حيث لعب الفريق بجرأة، قلما رأيناها تحت ادارة «السبيشال وان»، لتأتي بعدها الليلة الكبيرة في «أولد ترافورد» عندما سحق مضيفه مانشستر يونايتد 6/1 بعرض هجومي رائع ومثير، لتتغير الرؤية إلى توتنهام، وبات التركيز على النجمين هاري كاين وسون هيونغ مين، وارتفع سقف التوقعات وبات المطلب تحقيق لقب الدوري، لكن فجأة أيضا بدأ ينكشف أسلوب مورينيو مجدداً، وبات مثل القوقعة ينغلق على نفسه ويلجأ إلى أساليب دفاعية كلفته هزيمتين أمام البطل ليفربول في غضون أسابيع، آخرها ليلة الخميس الماضي، لتعود الانتقادات مجدداً، بل اعتبر البعض ان القناع سقط مجدداً، وان مورينيو مدرب دفاعي لا يجيد سوى ذلك، وانتقده أنصاره على تطبيق أسلوب مباريات الكؤوس على ماراثون الدوري، واعتماده الكلي على الثنائي كاين وسون وقتل الخيارات الهجومية الأخرى.

الاقالة من توتنهام لن تكون الاولى للمدرب الذي نعت نفسه بـ«السبيشال وان»، وعكس عنجهية وغرور وتكبر، وغلف هذا الادعاء بحقبة ناجحة مع بورتو وتشلسي والانتر، في ظل حماية من نجومه وجماهيره، الذين صدقوا كل ادعاءاته. هذا الأسلوب «العالم كله ضدنا»، نجح حتى النصف الأول من حقبة تدريبه لريال مدريد، وهو أسلوب اكتسبه وصقله منذ كان مترجما للمدرب روبسون عام 1992، ليتطور ويصبح مساعدا حتى 1997، وبعده مع فان خال الذي أعطاه المزيد من المهام، وأبرزها دور «الشرطي الجيد»، حيث صقل مورينيو مهارة اللباقة في التعامل مع اللاعبين، واكتساب ثقتهم، وهو ما نقله إلى مسيرته التدريبية مع بورتو في 2003 و2004 فأحرز ثلاثيتين. وعندما جاء لتشلسي في 2004 جلس في مؤتمر صحفي مرتابا ومتردداً كون لا خلفية له في الملاعب كنجم بارز او حتى عادي، فخرجت منه هذه الكلمات التوضيحة: «أنا لست مدربا من القاع... أعتقد انني مدرب خاص (سبيشال وان)»، ومنذ ذلك الوقت التصقت به هذه الكلمات. لكن بعد عدد من الالقاب مع فرق جاهزة وراغبة في صرف الملايين لتحقيق الانجازات، صعدت أسهمه بسرعة الصاروخ، وباتت شعبيته جارفة، خصوصا في عالمنا العربي، وكان الصراع الحلم بين الريال والبارسا، بين ميسي ورونالدو، وبين غوارديولا ومورينيو. لكن في 2012 و2013 لم يعد يتحمل نجوم الريال أسلوبه، وباتت شكوك حول قدراته التكتيكية، والاهم التأثيرات السلبية على نفسيات اللاعبين وعلى المنتخب، فرحل بانتصار واحد بالدوري ومثله في الكأس، مع فريق يعج بالنجوم، أحرز دوري الأبطال 4 مرات في السنوات الخمس التالية لرحيله.

بدأت سمعة مورينيو تكتسب طابع «المدمر»، مع انقسام الجماهير بين محب يشغف له، وبين من يتصيد هفواته وأخطاءه، لكن في تشلسي كانت أسهمه لا تزال مرتفعة، فعاد ونجح في احراز الدوري، لكن مجددا في الموسم الثالث دبت صدامات ونتائج سلبية وأقالة مذلة. لكن مانشستر يونايتد كان يعلم في 2016 انه يغامر بتعيين مدرب متطلب وباهظ الثمن، ليست لديه القدرة التدريبية لصقل المواهب وتطويرها، عدا عن مشاكله، لكن الادارة التسويقية انتصرت، كونه مدربا ذات شعبية عالمية. وبدأت الشقوق تظهر بـ«ركن الحافلة» وبأسلوب دفاعي عقيم، أصاب أنصار يونايتد بالصدمة، وجاءت الضربة الثانية عندما سقط أمام المغمور اشبيلية في دور الـ16 لدوري الابطال، ليبجح بأعذار ان هذا هو الارث الذي ورثه من أسلافه، قبل ان تنفجر الامور في الموسم الثالث، من صدامات مع النجوم، أبرزها مع بوغبا الذي كلما مثل فرنسا تألق، بل وتوج بطلا للعالم، لكن ليس مع مورينيو، فطرد المدرب البرتغالي، واليوم هو يعلم أنه يسير على الطريق ذاتها.

@khaldounElcheik

«هوية» مشروع توثيقي للحفاظ على جذور العائلة الفلسطينية

عبد معروف

تبرز ظاهرة الاهتمام بتاريخ العائلة في المجتمعات التي تكثر فيها الهجرات، وقد تعرض المجتمع الفلسطيني ولا يزال لسلسلة من عمليات التهجير والتشريد، لذلك بادر ياسر قدورة، مدير مؤسسة «هوية» في لبنان، للاهتمام بتاريخ وجذور العائلة الفلسطينية وشجرتها باعتبارها واجبا وطنيا.

ويُعنى مشروع «هوية» بمتابعة أصول وفروع العائلات الفلسطينية ابتداء من الأجداد الذين ولدوا وعاشوا في فلسطين وصولا إلى الأحفاد الذين انتهى بهم الأمر في المنافي، ويوثق المشروع لهذه الجذور ويرسم شجرتها، ويعمل على تفعيل انتماء هذه العائلات لفلسطين وحفظ حقهم بالعودة.

ويعمل «هوية» على جمع شجرة كل عائلة فلسطينية وتوثيق تاريخها بما يثبت انتماءها إلى موطنها الأصلي في فلسطين قبل الاحتلال عام 1948. ويعتمد في هذا المجال على مقابلة كبار السن من العائلات، وإلى المصادر والمراجع التاريخية المعتمدة، إضافة إلى ما تمتلكه العائلات من وثائق وأوراق ثبوتية.

«القدس العربي» التقت ياسر قدورة مدير الحملة الوطنية للحفاظ على الهوية الفلسطينية «هوية» وأجرت معه هذا الحوار:

○ **ما هي الدوافع التي ساهمت بولادة فكرة الحملة الدولية للحفاظ على الهوية الفلسطينية «هوية»؟**

● بدأت الفكرة خلال حديث أحد الأصدقاء عن إنجازه لشجرة عائلته، وهنا كانت البداية في التفكير حول الاستفادة من هذه الفكرة والعمل على مشروع وطني للوصول إلى أصول العائلات الفلسطينية كلها، وليس شجرة عائلة على صعيد فردي.

استطعنا تشكيل فريق عمل ناشط ومتواجد في مختلف المناطق والدول، ولاقت هذه الفكرة إعجابا وتجاوبا واهتماما من الأوساط الشعبية والثقافية، وبدأت البحث والحديث والتفكير بشكل جدي للعمل على جمع الوثائق والمقتنيات لتقصي جذور العائلة الفلسطينية والحفاظ عليها بمواجهة التحديات التي يواجهها الإنسان الفلسطيني والمخاطر التي تهدد هويته وتاريخه.

بدأنا العمل في إطار فريق ناشط عام 2008 واستمر التحضير لهذه الفكرة بين ستة أشهر وعام وكنا قد بدأنا سنة 2008. والحقيقة أن بداية العمل لم تكن من الصفر لأن الكثير من الفلسطينيين عملوا على إنشاء مواقع إلكترونية لعائلاتهم ولكن لم يتم العمل على تطوير وتنظيم وتوسيع الفكرة وتوحيد الجهود.

عملت على تطوير الفكرة وتنظيمها والاستفادة منها لخدمة المشروع الوطني الفلسطيني، ثم بدأت البحث في ما نشر على مواقع الإنترنت وصفحات التواصل الاجتماعي عن العائلات وأصلها وفروعها. خلال عملنا وجدنا الكثير من الكتب القيمة والمهمة جدا وهي متخصصة ومنها «معجم العشائر الفلسطينية» للمؤلف محمد شرّاب، كتاب مهم جدا في تأصيل العائلات وتوثيق بلداتهم، كذلك كتاب «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة» للشيخ عثمان مصطفى الطباع والذي يُعتبر الكتاب الأم في التأريخ لمدينة غزة وأهلها منذ أقدم العصور حتى منتصف القرن العشرين، وكتب أخرى عن عائلات في رام الله. ولكن للأسف وضعت هذه الكتب في المكتبات فقط ولم تتم الاستفادة منها. انصب عملنا على دراسة تاريخ العائلات الفلسطينية ونسبهم والاستفادة من المعلومات الموجودة في هذه الكتب لعمل بحث عن المجتمع الفلسطيني بأكمله وليس فقط عن عائلات متفرقة وهذا ما نستطيع اعتباره المحطة الأولى في عملنا.

في الوقت الذي يشير بعض المؤرخين الفلسطينيين وأيضا بعض المؤرخين الإسرائيليين إلى وجود ثغرة في المجتمع الإسرائيلي، فهم يعمدون إلى اختراع شجرة نسب خيالية لأبناء الطائفة اليهودية من أجل الادعاء أن أجدادهم كانوا في فلسطين. وقد تم استغلال هذا الموضوع كثيرا لدرجة أنهم انشأوا مؤسسات وورش عمل تنظم وتؤرخ وصولهم إلى فلسطين.

○ **كيف بدأت التنفيذ العملي لفكرة «هوية»؟**

● لم يبدأ عمل «هوية» من الصفر لأن هناك جهودا كبيرة كانت قد بدأت بالتوثيق استطاعت «هوية» الاستفادة منها ومن تجربتها، كما استفادت من الكتب، وحين بدأ العمل الفعلي على المشروع كنا أصبحنا على أبواب 2010 ما يعني مرور 62 عاما على النكبة، ومن كان عمره في العشرين أصبح اليوم في الثمانين ولم يعد باستطاعتنا الاعتماد على ذاكرته بشكل كامل. اعتمدنا في استكمال عملنا على الأحياء، أصبحت المعلومات تتقاطع مع عدة أشخاص، عمدنا إلى وضع بعض العلوم والأصول للعمل عليها حتى لا تضيع الفكرة، والعمل على شجرة عائلة يعيدك إلى الأصول والصحابة مما يعني أنه يلزم عدة أشهر لإنهاء أول ملف، تم وضع قاعدة الاهتمام بتاريخ وأصل شجرة العائلة الفلسطينية وانتمائها إلى أرض فلسطين قبل 1948.

○ **ما أهداف المشروع وما هي العقبات التي واجهتكم؟**

● أولا تثبيت حق العودة لكافة الفلسطينيين بشكل موثق واستنادا لوثائق وصور ومستندات، والعمل على توثيق كل ما يمكن مثل شجرة العائلة، تاريخها وشهادتها على النكبة، والوثائق من أوراق ثبوتية إلى كواشين الأرض، إضافة إلى صور العائلة، مع الاستفادة من التقنيات الحديثة لوضع ما يتم جمعه بين يدي الجيل الجديد كي يكون مادة تدعمه في المطالبة بحقه في قريته أو مدينته وهذه هي النقطة الأساسية في عمل «هوية».

وثانيا أن يكون باستطاعة كل فلسطيني أن يروي الرواية الفلسطينية بطريقة متسلسلة حتى لو لم يولد في فلسطين، وأن يثبت روايته من خلال كمية من المعطيات والمعلومات وبعض الصور وأدلة تثبت حقيقة وأصل روايته. جمع بعض الصور كان له أهمية في المشروع، لأن إحصاء الفلسطينيين الذين غادروا مدنهم وقراهم إبان النكبة كان يتم عبر الأعداد وليس عبر تسجيل الأسماء، الصور سمحت بالتعرف على بعض الأشخاص وأسمائهم وأصلهم

ونسب العائلات وتم توثيق هذه الصور مع الإسم وإسم الجد.

لهذا يجب ان تبقى في ذاكرة الفلسطينيين وذاكرة العالم عبر تسجيل الأسماء والأصول والفروع وتوثيق الصور وهذا من أهم الأهداف لمشروع «هوية».

○ **كيف تم تجميع وتوثيق المستندات والصور والحوارات مع كبار السن؟**

● مع التطور الإلكتروني انشأنا موقعا إلكترونيا رسميا متخصصا للمؤسسة، يتم تجميع كل المعلومات التي نحصل عليها فيه، وقد أطلقنا قسما جديدا من الوثائق الفلسطينية. طريقة العمل كانت تتم ميدانيا من خلال زيارات منزلية للعائلات الفلسطينية، للعمل على شجرة العائلة ويتم التواصل مع كل أفراد العائلة ثم نجمع الأسماء وبعض المستندات والوثائق وحتى بطاقة الخدمة العسكرية تعتبر مستندا والصور إذا وجدت، ويتم الاحتفاظ بها إلكترونيا. الاهتمام بالصورة والمحافظة عليها لهما أهمية كبرى أيضا في ربط أصول العائلات وأيضا إعادة اللحمة بين الأصدقاء، تم جمع بين 21000 إلى 27000 صورة للعائلات والأفراد، كذلك استطعنا إثبات نسب وقرابة الكثير من العائلات من خلال بعض الوثائق والأوراق المهملة، واستطعنا جمع 6000 شجرة عائلة وهذا عدد ضخم جدا.

عمل «هوية» لم يكن فقط في لبنان بل وفي سوريا والأردن أيضا بسبب تفرق العائلة الواحدة. وحتى يكون العمل مبنيا على معلومات صحيحة ودقيقة، تم التعاون مع أشخاص متخصصين وناشطين في دول أوروبا وأمريكا لهم اهتمامات بالعمل على التوثيق وانصب عملهم على الأرشيف البريطاني والأمريكي والإسرائيلي في بعض الجامعات الأمريكية. استطاعت «هوية» الحصول على كم كبير من الوثائق حوالي 3000 وثيقة، ونعمل منذ سنة على فرزها وتوثيقها كما أنه وبشكل يومي تتم الإضافة. برنامج عمل «هوية» يحتاج إلى فريق عمل كبير، ومن أجل ضمان استمراريته يجب نقل الفكرة إلى الشباب، فقمنا بتنظيم ورش عمل سريعة لمدة يومين لحوالي 400 شابة وشاب وتم تدريبهم على علم الأنساب وطرق الاستفادة منها وعلم الأصول والقواعد المتبعة في عملنا وكيفية الاستفادة من شواهد القبور للحصول على الأصل والنسب للفرد، بعد التدريب يستطيع المتدرب قراءة الوثائق بشكل سهل ومبسط.

وخلال عمل فريق «هوية» تم التصوير واللقاء مع حوالي 1000 فلسطيني موزعين في دول العالم ما يعتبر انجازا كبيرا. ولا ننسى أن انتشار التواصل عبر شبكة الزووم سهل الكثير من الأمور، وكل هذه الأعمال ستكون الذاكرة الفلسطينية التي علينا المحافظة عليها باعتبارها أرشيفا نعتمده بعد العودة إلى ديارنا في فلسطين.

مرقة سمك

المكوّنات

كيلو فيليه سمك
3 بصلات
4 حبات طماطم
6 فصوص ثوم مهروس
ملح وفلفل
بهارات كاري
ملعقتان زيت جوز هند للتحميس
3حبات فلفل رومي
كوب رز بسمتي
نصف ربطة بقدونس
ليمون للتزيين

طريقة التحضير

نغسل الخضار جيدا ونقطعها لمكعبات ثم نهرس الثوم.
نضع زيت جوز الهند بالمقلاة ثم نضيف لها الخضار حتى تذبل.
نضيف البهارات ونحركها.
نقطع فيليه السمك لمكعبات ونضيفها فوق الخضار ونغمرها بالماء حتى تستوي ويختفي الماء. نزين الطبق بالبقدونس المفروم ونقدمه مع الأرز.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

هل تساعد القرفة في التخلص من الصداع النصفي؟

طعمها شهي، وتضيف نكهة خاصة على الأطعمة. ليس هذا فحسب، فهناك ما يشير إلى أن القرفة تحمل مكوناً علاجياً مميزاً للتخلص من آلام الصداع النصفي. فما هو؟

قد تجدها في المعجنات، أو البسكويت، وربما تستخدمها كمشروب شتوي ساخن، أو في وصفة الأرز المفضلة لديك. القرفة تبدو كأحد المكونات التي يحبها الجميع دون استثناء، ولكن دراسة جديدة قد تزيد من حب هذه النبتة لدى من يعانون من الصداع النصفي.

ويذكر موقع «غيزوندهايت» الألماني، والذي يعنى بالصحة الجسدية والعقلية، أنه كانت هناك بالفعل عدة تقارير عن تحسن أعراض الصداع النصفي بعد العلاج بمضادات التخثر، مثل «الوارفارين».

وقد أبلغ طبيبان في مستشفى ألكسندر الملكي الكندي، عن مريضة تبلغ من العمر 55 عاماً تعاني من الصداع النصفي مع ضعف البصر، عولجت بمضاد التخثر الوارفارين، فتوقفت نوبات الصداع لمدة اثني عشر عاماً.

ويعود هذا، بناء على ما قاله المختصون، إلى مادة «الكومارين» في مضاد التخثر، والتي يمكن العثور عليها في القرفة ونبتة «الجويسئة العطرة».

إذ قام الطبيبان بتقديم دواء تخثر آخر للمريضة، لا يحتوي على هذه المادة، وفي غضون ثلاثة أسابيع من هذا التغيير، عانت مرة أخرى من الصداع النصفي، وبعد أن عادت إلى استخدام «الوارفارين» لاحظ المعالجون انخفاضاً في أعراض الصداع النصفي في غضون أيام فقط.

وكانت أبحاث سابقة تحدثت عن أهمية مضادات التخثر في علاج الصداع النصفي، ولكن ما زال من المهم، بحسب المختصين، دراسة تأثير هذه الأدوية على من يعاني من الصداع النصفي فقط، دون مشاكل صحية تستدعي استخدام مضادات التخثر.

وبينما يبدو أن شرب أو تناول القرفة قد يساعد في التخلص من نوبات الصداع النصفي المزعجة، إلا أن الخبراء يحذرون من الآثار الجانبية للجرعة الزائدة من الكومارين، إذ أن الجرعة المسموح بها يومياً هي 0.1 مغم/كغم من وزن الجسم فقط، ولهذا توجب الحذر قبل التوجه لاستخدام القرفة كعلاج، والأخذ بعين الاعتبار تناول الكميات المناسبة.

الحمل
تريد إثبات جدارتك في العمل من خلال إعطاء الأوامر

الثور
كن حذرا من اتخاذ قرارات نهائية لا رجعة فيها

الجوزاء
تلفت النظر بغفرانك للأخطاء المرتكبة من الزملاء

السرطان
تفكر هذا اليوم في أسلوب حياتك والنهج الذي تتبعه

الاسد
لا تقلق من أي شيء لأنك دائما تتخذ القرار السليم

العذراء
لا تفكر بعمل أي شيء قبل دراسته بدقة

الميزان
كل خطوة تقدم عليها على الصعيد الصحي مهمة

العقرب
الضحك والمرح من أهم وسائل حياة أطول

القوس
سيصغي إليك من حولك أكثر من ذي قبل

الجدي
بانتظارك أجواء عاطفية مفرحة

الدلو
ضاعف جهودك في العمل فالأمور المهنية تبدو مبشرة

الحوت
ضبط الأعصاب يبدو هو الوصية المثلى

جديد الطب

كوفيد19- قد يغير نوعية الحيوانات المنوية لدى الرجال

خلصت دراسة ألمانية نشرت نتائجها الجمعة إلى أن فيروس كورونا قد يغيِّر نوعية الحيوانات المنوية لدى الرجال الذين أصيبوا به، فيما أكّد خبراء ضرورة التثبت من صحة هذه الخلاصات من خلال أبحاث أخرى.

وأجرى فريق باحثين من جامعة يوستوس– ليبيتش (غيسن، ألمانيا) تحاليل منتظمة على مدى شهرين للحيوانات المنوية لـ84 رجلاً دون سن الأربعين أصيبوا بفيروس كورونا، ومعظمهم عانى من عوارض حادة. وقارن الباحثون هذه الحيوانات المنوية مع تلك الخاصة بـ105 أفراد لم يعانوا الإصابة بالمرض.

وبيّنت الدراسة أن علامات الالتهاب والإجهاد التأكسدي في الحيوانات المنوية لدى الرجال المصابين بكوفيد–19 أعلى مرتين مقارنة بالمجموعة الأخرى، على ما أفاد المقال المنشور في مجلة «ريبرودوكشن» العلمية.

ولاحظ معدّو المقال أيضاً «انخفاضاً ملحوظاً» في تركيز الحيوانات المنوية وقدرتها على الحركة وعدداً أكبر من الحيوانات المنوية ذات الشكل المتغير بين المشاركين الذين كانوا مصابين بكوفيد.

وخلص الباحثون إلى أن «هذه النتائج تشكل أول دليل اختباري مباشر على أن كوفيد–19 يمكن أن يطال الجهاز التناسلي الذكري ويؤثر عليه». وأشاروا إلى أن التغييرات التي لوحظت تتوافق مع حالة «قلة النطاف التي تعد أحد أكثر أسباب ضعف الخصوبة شيوعاً عند الرجال».

إلا أن خبراء لم يشاركوا في الدراسة شددوا على ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث قبل استخلاص أي استنتاجات.

وقالت مديرة علم الأجنة في مجموعة عيادات «كير فيرتيليتي» المتخصصة في الخصوبة أليسون كامبل «ينبغي ألا يصاب الرجال بالهلع. ففي الوقت الراهن، لا يوجد دليل ثابت على حدوث ضرر طويل المدى للحيوانات المنوية أو للقدرة التناسلية للذكور بسبب كوفيد–19».

ولم يستبعد معدّو الدراسة أنفسهم فرضية أن تكون النتائج عائدة إلى العلاجات التي تلقاها بعض المرضى، وخاصة الكورتيكوستيرويدات والأدوية المضادة للفيروسات ومضادات الفيروسات القهقرية، وقد أظهرت بعض الدراسات تأثيراً سلبياً على جودة الحيوانات المنوية.

وقد عولج بالكورتيكوستيرويدات 44 في المئة من المشاركين في مجموعة المصابين، في حين تلقى 69 في المئة مضادات الفيروسات.

وذكّر خبير الخصوبة لدى الذكور في جامعة شيفيلد البريطانية آلان باسي بأن الحمى يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على إنتاج الحيوانات المنوية، أيّاً كان المرض الذي يسببها، وبعض النظر عن تأثير فيروس كورونا.

كورونا: استراتيجية التلقيح في ألمانيا تواجه تحايل الشركات

دعت المستشارة أنغيلا ميركل لتوزيع سريع للقاحات كورونا عبر العالم، تزامنا مع اختلالات رافقت حملة التلقيح بألمانيا، أبرزها بسبب شركات منتجة عجزت عن الوفاء بوعودها. لكن ماهي ملامح استراتيجية التلقيح الألمانية؟ وعارضت ميركل خلال اجتماع للمنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، المنعقد افتراضيا هذا العام عبر الإنترنت، انتهاج ألمانية القومية كوسيلة للخروج من أزمة جائحة كورونا في مرحلة التطعيم الجماعي، وقالت «هذا يتعلق بالتوزيع العادل (للقاحات) وليس فقط بتوزيع الأموال». ورحبت بإبرام المبادرة الدولية للتطعيم ضد كورونا «كوفاكس» وأضافت «سنفعل بالطبع كل ما في وسعنا لضمان بدء التوزيع بسرعة». تصريحات ميركل تتزامن مع جدل واسع في ألمانيا بسبب أعطاب رافقت حملة التطعيم نتيجة فوضى ونقص في إمدادات الشركات المنتجة.

وتوالت المشاهد لتتشابه في مختلف الولايات الألمانية. ففي براندنبورغ، سيتعين على ما لا يقل عن 9.000 مواطن من الفئة الأولى (ذات الأولوية القصوى) الانتظار لفترة أطول قبل تلقي أول لقاح. فالولاية تعاني من نقص يقارب 25 في المئة من الجرعات التي كان من المفترض أن تحصل عليها من قبل شركة بيونتيك وفايزر. وكان لذلك تأثير على سلسلة التنظيم اللوجيستي لحملة التطعيم، إذ اضطرت الولاية إلى برمجة حجز مراكز التطعيم، حسبما أعلنت جمعية براندنبورغ لأطباء التأمين الصحي. نفس السيناريو تكرر في عدد من الولايات الأخرى كولاية شمال الراين ويستفاليا التي علقت مؤقتا التلقيحات في المستشفيات ومرافق الرعاية، فيما تخطط ولاية ساكسونيا بدورها لتأجيل التطعيمات. كما ألغت ولاية بافاريا عددا من مواعيد التطعيم. فما السبب في هذه الفوضى، وماهي ملامح استراتيجية التلقيح في ألمانيا؟

في تصريح للبرنامج الصباحي «مورغن ماغازين» الذي تقدمه شبكات «إيه آر دي» و«تسي دي إف» الألمانيتين دعا وزير الصحة الألماني ينس شبان إلى تقييد تصدير اللقاحات المنتجة داخل الاتحاد الأوروبي. وقال إنه يؤيد «أن اللقاحات التي تغادر الاتحاد تحتاج إلى تصريح حتى نعرف على الأقل ما يتم تصنيعه، وما الذي يغادر أوروبا، وما إذا كان سيكون هناك توزيع عادل».

أنواع اللقاحات وأولويات التطعيم

ستتلقى ألمانيا أكثر من 64 مليون جرعة من لقاح بيونتك فايزر عبر المؤسسة الأوروبية. وهناك إمكانية أخرى مضمونة للحصول على 30 مليون جرعة إضافية. وستحصل على 50 مليون جرعة من لقاح موديرنا من الاتحاد الأوروبي، ويتم التفاوض حاليا على كميات إضافية. وفي المجموع هناك إمكانية لأن تحصل ألمانيا هذا العام على ما لا يقل عن 140 مليون جرعة حسب وزارة الصحة.

ومبدئيا، يتفاوض التكتل القاري باسم الدول الأعضاء للحصول على اللقاحات، لكن ألمانيا سعت للحصول على عقود إضافية بالتوازي مع العقود المبرمة من قبل الاتحاد الأوروبي. ويذكر أن وزارة العلوم الألمانية أطلقت برنامجا خاصا لتسريع البحث والتطوير للقاحات مضادة لفيروس كورونا المستجد من قبل الشركات الألمانية كشركة بيونتيك.

لماذا لا تتم عمليات التطعيم بشكل أسرع؟

نظرًا لتوفر عدد محدود من الجرع في البداية، تم تحديد الفئات التي لها الأولوية في التلقيح الذي سيشمل أولا قاطني دور رعاية المسنين بفرق تطعيم متنقلة. تنظيم تلقيح هذه الفئة يعتبر أكثر تعقيدًا ومكلفا للوقت مقارنة بمراكز التطعيم القارة. وبشكل تدريجي، ستقوم الولايات الألمانية بتشغيل مراكز التطعيم إلى أن تغطي مجموع التراب الألماني. وتهدف الحكومة الاتحادية كما الولايات الألمانية إلى توفير تطعيم لجميع سكان دور رعاية المسنين البالغ عددهم 800.000 شخص بحلول منتصف شهر فبراير/شباط المقبل.

ويعتقد الخبراء أن تحقيق هذا الهدف سيغير إيقاع حملة التلقيح وبالتالي مكافحة الوباء. ووفقًا للوضع الحالي، إذا سارت عمليات التطعيم كما هو مبرمج لها، فمن المفترض أن تتاح إمكانية طلب التطعيم لكل فرد في ألمانيا في غضون الصيف المقبل (2021). بحيث ستقوم الولايات الفيدرالية بدعوة الفئات التي يحين دور تلقيحها. وهناك خطوط هاتفية خاصة لتحديد المواعيد. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تنظيم المواعيد عبر منصات خاصة على الإنترنت. ويدخل في اختصاص الولايات تنظيم وتشغيل مراكز التطعيم وتحديد المواعيد. وهناك حملة تحسيسية وإعلامية في هذا الصدد من قبل وزارة الصحة الاتحادية ومعهد روبرت كوخ والمركز الاتحادي للتوعية الصحية. ويجب التذكير هنا أيضا بأن التطعيم اختياري في ألمانيا وليس إجباريا.

خلافات بين الاتحاد الأوروبي والشركات المنتجة

أعربت مفوضية الاتحاد الأوروبي عن غضبها من نقص إمدادات اللقاحات من قبل الشركات المنتجة. بالنسبة للقاحات بيونتيك وفايزر فالسبب يعود، رسميا، لأعمال الإصلاح والتجديد في مصنع فايز ببلجيكا، فيما تواجه شركة أسترازينيكا مشاكل أكبر لم تتضح جميع ملامحها بعد. فقد أكدت مصادر أوروبية أن الشركة انسحبت من اجتماع أزمة مع مسؤولين بالاتحاد بشأن تأخر شحنات اللقاح وحل الخلاف مع المفوضية والعواصم الأوروبية والشركة البريطانية–السويدية. وكانت الشركة قد أعلنت الأسبوع الماضي عن وجود مشاكل كبيرة في موقع إنتاج من شأنه أن يحد بشدة من حجم الشحنات الأولى للقاح فيروس كورونا لدول الاتحاد الأوروبي. ولم ترض تفسيرات الشركة الاتحاد الأوروبي حتى الآن. ويحاول الاتحاد توضيح أسباب هذه الاختلالات، من بينها على سبيل المثال لا الحصر تلقي بريطانيا جرعات أسترازينيكا كما كان مبرمجا، فيما أكدت الشركة أنها ربما لن تكون قادرة على توفير أقل من نصف الجرعات المطلوبة لبلدان الاتحاد الأوروبي. وهو أمر رفضته مفوضية الاتحاد بشدة خاصة وأن التكتل القاري شارك في تمويل تطوير اللقاح، إذ استفادت شركة أسترازينيكا من تمويل قدره 336 مليون يورو.

وقد حاول رئيس الشركة باسكال سوريوت، تبرير هذه الإخفاقات بعامل الوقت، ففي تصريح لصحيفة «فيلت» (27 يناير 2021) قال «لقد تأخرنا الآن شهرين عن خطتنا الأصلية في أوروبا (..) لدينا ثلاثة أشهر من الوقت لإصلاح الأمر». بالإضافة إلى ذلك، أكد أن شركته لم تلتزم في عقدها مع الاتحاد الأوروبي بتقديم كميات معينة من اللقاحات في غضون فترة زمنية معينة. وأضاف «وعدنا بالمحاولة، لكننا لم نقطع التزامًا تعاقديًا». موقع «تاغسشاو» للقناة الألمانية الأولى(26 يناير 2021) كتب بهذا الصدد «لقاحات كورونا سلعة نادرة هذه الأيام، ولهذا السبب يحاول الاتحاد الأوروبي السماح بأكبر عدد ممكن منها. أحد المنافسين، أسترازينيكا، تصدر قصاصة الأنباء السلبية هذه الأيام شملت في البداية مشاكل الإنتاج والإمداد، لكن الأسوأ هي تقارير بشأن عدم فعالية هذا اللقاح لدى الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 65 عامًا».

فعالية لقاح أسترازينيكا في الميزان؟

تم اختبار لقاح أسترازينيكا في دراسة سريرية شملت فئة عمرية بين 18و55 عامًا. الدراسة أثبت أن اللقاح أقل فعالية (62%) بالمقارنة مع لقاحات بيونتيك فايزر (94%) في هذه الفئة، على الأقل عند التلقيح بجرعتين كاملتين. غير أن أسترازينيكا ادعت أن فعالية لقاحها تصل إلى 90% حين يُحقن الأشخاص بنصف جرعة في البداية وبعد شهر واحد يحصلون على جرعة كاملة. ويبدو ان الشركة قدمت دراسة جديدة إلى وكالة الأدوية الأوروبية بهذا الشأن شملت ألفي مشارك تفوق أعمارهم 65 عاما، ثلثاهم فوق 75 عامًا.

من جهتها، نفت وزارة الصحة الألمانية صحة التقارير حول ضعف فعالية لقاح أسترازينيكا لدى الفئات الأكثر من 65 عامًا. وكان وزير الصحة شبان قد عبر عن ذلك عندما قال إنه لا يريد المشاركة في المضاربات بشأن فعالية العقار.

أما بشأن فعالية بيونتيك فايزر، فالأمل جاء هذه المرة من إسرائيل، التي طعمت بالفعل وبشكل كامل أكثر من ستة في المئة من السكان بجرعتين من اللقاح، لم تسجل بينهم حالة واحدة خطيرة، حتى في الوقت الذي قفزت فيه الإصابات بين الفئات الأخرى من السكان. وقال وزير الصحة يولي إدلشتاين أمام لجنة برلمانية إن عدد الإصابات الجديدة ودخول الحالات الخطيرة أو الحرجة للمستشفيات بسبب تداعيات كوفيد–19 بلغ الآن أرقاما قياسية. لكنه قال إنه «ليس هناك اعتلال خطير»، حسب علمه، بين الإسرائيليين المؤهلين لشهادة التطعيم وهي شهادة تصدرها الدولة بعد أسبوع من تلقي الجرعة الثانية من اللقاح، وهي المرحلة التي تقول عندها شركة فايزر إن اللقاح يكون فعّالا فيها بنسبة 95 في المئة. وبدأت إسرائيل ما أصبح أسرع توزيع للقاحات بالمقارنة بعدد السكان ضد فيروس كورونا المستجد مستخدمة اللقاح الذي طورته شركتا فايزر الأمريكية وبيونتيك الألمانية. وطبقا لأرقام وزارة الصحة فقد تلقى 23 في المئة الجرعة الأولى وتلقى أكثر من ستة في المئة الجرعة الثانية التي تُعطى ما بين 21 و28 يوما بعد الجرعة الأولى. وتلقي إسرائيل باللائمة على السلالات الأسرع انتشارا والتي نشأت في الخارج في انتكاس محاولاتها لوقف تفشي الفيروس. وبعد أسبوع من بدء التطعيم فرضت إسرائيل ثالث عزل عام فيها، والذي يقول مسؤولون إنه قد تكون هناك حاجة لتمديده حتى شباط/فبراير المقبل. (Dw)

منوعات

«ماسبيرو زمان» إبداعات الماضي في نافذة تُطل على الحاضر

كمال القاضي

الحنين إلى الماضي إحساس يراود عادة من عاصر الكبار من المبدعين والفنانين ورأى وسمع واستمتع بألحان وأغاني وأفلام ومسلسلات زمان. فكلما اتسعت المسافة بيننا وبين الماضي اتسعت الرؤية وظهرت التفاصيل وبات وقع الصور القديمة والأحاديث والبرامج مُتعة مضافة لجماليات العمل الدرامي أو السينمائي أو الفوتغرافي، ذلك أن استرجاع اللحظات الفائتة من السنوات عبر مراحل العُمر تدفع إلى انتشاء الروح ونشاط الذهن والذاكرة، وتلك هي مرتكزات العلاقة بين الماضي والحاضر في واحدة من النوافذ الإعلامية المهمة في التلفزيون المصري. قناة «ماسبيرو زمان» التي تم إطلاقها لتكون حاوية للتاريخ الإبداعي المصور وأرشيفاً حياً يخرج عن صمته بعد عقود من وجوده في مخازن الأسرار بقلعة ماسبيرو العتيقة.

لم تخضع البرامج في قناة «ماسبيرو زمان» لقانون العرض والطلب ولم تتحول إلى بوق للدعاية والإعلان عن المنتجات والمفروشات والمشروبات، كما هو الحال في معظم القنوات والمحطات الفضائية القائمة سياساتها على ابتزاز المشاهد والتحايل عليه ليكون صيداً سهلاً وزبوناً مُعتبراً للبضائع الاستهلاكية الرائجة والراكدة على حد سواء، حيث المشاهدة مقابل الانتظار بالساعات أمام الشاشة للإطلاع على أحدث وسائل الاستغلال والعرض القسري للمواد التجارية التالفة والنافعة بغير تمييز.

هذا النظام الإجباري لم تتبعه قناة «ماسبيرو زمان» ولم تفرضه كشرط للفرجة والمشاهدة والمتعة، لكنها على العكس من تلك الممارسة الإعلامية الانتهازية، فهي تقدم ما تم ادخاره بالأرشيف الفني على مدار السنوات الطويلة الماضية وتضعه أمام أعين المتابعين والمُتلقين والمُتعاطين للفن الراقي لساعات طويلة، غير أنها تفتش عن جواهر الإبداع النفيسة في العُلب والأدراج وأماكن الحفظ والتخزين بالمكتبات الثقافية العامة والخاصة ولدى الهواة والمحترفين لتسبق رغبات المشاهد وطلباته وأمنياته العزيزة لمشاهدة النادر من الأعمال التراثية التي كانت قاب قوسين أو أدنى من التلف والضياع والفقد، لولا جهود المخلصين في البحث والتنقيب عن الجميل والأجمل من المُصنفات الفنية التي أودعت ذاكرة النسيان منذ عهود طويلة.

فاطمة سرحان

لقد ذكرتنا القناة الفضائية الاستثنائية الكلاسيكية المهمة بما مضى من تواريخ وأحداث وشخصيات ومواقف وطرائف ودراميات تبعث على الشجن والانجذاب لأيام الطفولة والصبا مهما كانت تفاصيلها، السعيد منها والبائس، ولعلها تفوقت في إثبات النجاحات والانجازات الأولى للتلفزيون المصري بما يقطع الشك باليقين، فالتسجيلات لا تكذب والصور غنية عن التعريف.

فعلى مستوى البرامج الدينية خصصت القناة مساحات واسعة من إرسالها للتسجيلات النادرة للأساطين من قراء القرآن الكريم ومجوديه ومرتليه بأصوات كبار المشايخ، محمد رفعت ومصطفى إسماعيل والحصري والمنشاوي وعبد الباسط عبد الصمد ومصطفى غلوش والشعشاعي والبنا والطوخي وغيرهم.

وفي مجال الإنشاد الديني، تتألق على مدار اليوم أصوات نصر الدين طوبار والنقشبندي لتُنبئ عن مكنون الموهبة العميقة والراسخة في الحناجر الذهبية العاشقة بيننا برغم رحيل أصحابها ومفارقتهم للعالم الدنيوي.

ولدروس الشرح والوعظ والإرشاد نصيب أيضاً من الحضور المضيء على الشاشة الفضية الصغيرة، حيث تتجلى آيات التقوى والإيمان والبصيرة في قدرات العلماء السابقين من رجال الأزهر الشريف كالدكتور أحمد شلبي والدكتور عبد الله شحاتة والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور أحمد حسن الباقوري والدكتور محمد سيد طنطاوي والشيخ الشعراوي ونخبة كبيرة من الأساتذة الأجلاء الأفاضل، إذ أن التوازن في الرسالة الإعلامية ما بين الديني والثقافي والتنويري، هو أصل التميز ونقطة التواصل الحقيقي بين جمهور المشاهدين وأداة الإعلام الرشيدة المسؤولة العاملة على البلاغ والبيان.

كما أن المحتوى الثقافي والترفيهي الذي نفضت عنه «ماسبيرو زمان» الغبار ليس بعيداً عن مفهوم التقويم والإفادة والمُتعة الراقية بمستوياتها التوعوية المهمة، فهي تنتقي وتختار الجيد والمقبول والمناسب وفق أدبيات المهنة وثوابتها والدور المنوط بالإعلام المرئي كوسيط صحي يهدف إلى الرُقي والترقي، فما يُعرض يتماشى مع فكرة الحنين إلى الماضي بعبقه الطيب وجمال أنسه وقيمتة الإبداعية، فهناك ما يتصل بالبرامج البناءة كجولة الكاميرا لهند أبو السعود وحكاوي القهاوي لسامية الأتربي وزووم لسلمى الشماع وأتوجراف لطارق حبيب وحوار صريح جداً لمُنى الحسيني وكاريكاتير لرمسيس وعالم البحار للدكتور حامد جوهر وعالم الحيوان لمحمود سُلطان والموسيقى العربية للدكتورة رتيبة الحفني والعلم والإيمان للدكتور مصطفى محمود.

وتتنوع الحلقات والفقرات في تناغم مُشجع على المتابعة، فلا مانع من الفكاهة والضحك مع فرقة ثلاثي أضواء المسرح بأبطالها، سمير غانم وجورج سيدهم والضيف أحمد، وليس هذا فحسب فهناك فوازير رمضان لنيلي وشريهان والمخرج الكبير فهمي عبد الحميد.

وكذلك تتم العناية في إعداد الخريطة البرامجية بالفن الشعبي، فنرى وصلات الغناء الأصيل في أصوات محمد طه والريس متقال وأبو دراع وفاطمة سرحان وفاطمة عيد ونسمع أصداء النغم وجرس الألحان والموسيقى الشرقية بآلاتها الشهيرة، الربابة والناي والطبلة والمزمار والرق في سيمفونية تُشكل هارموني مُستساغا ومُبهرا ومدغدغا للمشاعر العاطفية الجياشة.

وفي الحيز الدرامي المُتاح تُعطي القناة الفرصة كاملة لمشاهديها ليروا ويسمعوا ما ارتبطوا به عبر الأزمنة والعصور البعيدة والقريبة نسبياً من مسلسلات كان لها أثرها الوجداني والنفسي البالغ، كـ«الدوامة» و«الضحية» و«الضباب» و«الساقية» و«البركان» و«الغربة» و«الطاحونة» و«عائلة الدوغري» و«هي» و«المستحيل» و«الشهد والدموع» و«ليالي الحلمية».

وبنفس المقياس والتأثير تختار القناة الأفلام، فتعرض ما يُذكر بالماضي ويدفع للحنين إليه، كـ«شيء من الخوف» و«البوسطجي» و«النداهة» و«سماره» و«الفانوس السحري» و«اليتيمتان» و«أيامنا الحلوة» مراعية الذوق العام ومُنتصرة لمبدأ الجمع بين المتعة والفائدة في انتظام دقيق وربط دال بين الماضي والحاضر لتتأكد الحقيقة التاريخية للدور الرائد للإبداع والفن والثقافة في إرساء قواعد التذوق وتنمية الإحساس بالجمال.

محمد طه

الفنان التونسي محمد بحر: الموسيقى التي لا تدفعنا للتفكير لا يعول عليها

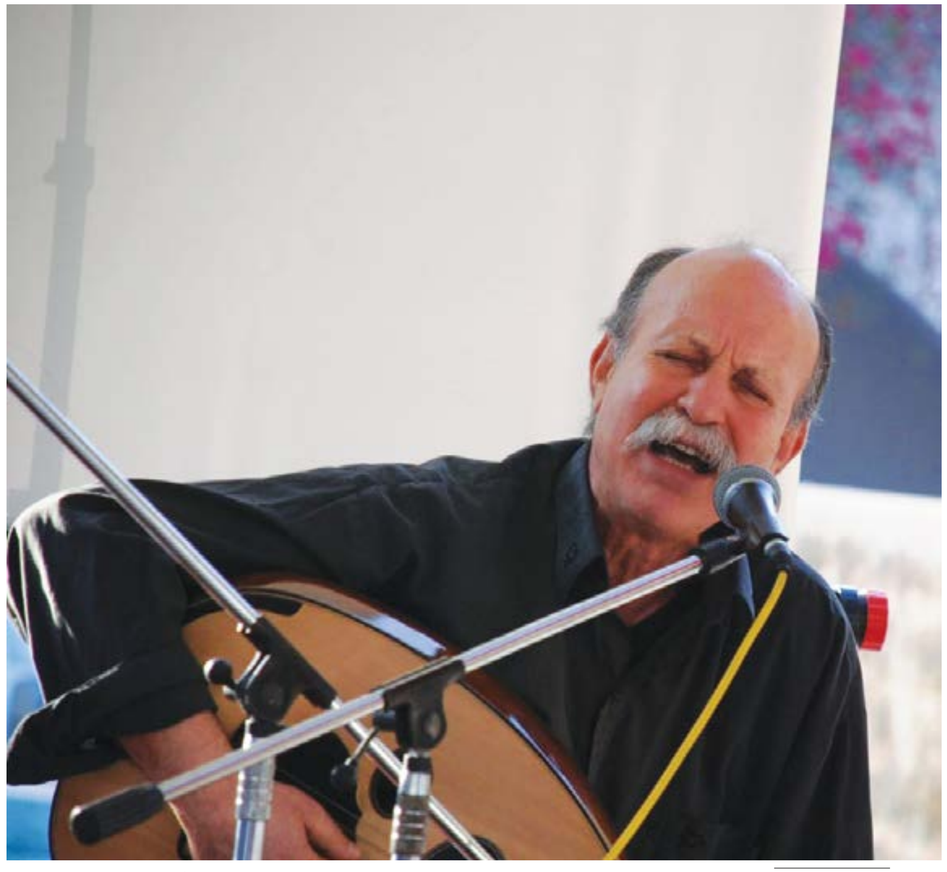

عبد المجيد دقنيش

منذ أكثر من أربعة عقود، ما زال الفنان التونسي الملتزم محمد بحر يجذف عكس التيار، ومتشبثا بحلمه، سالكا طريق الاختلاف والالتزام في الفن والموسيقى. ومعبرا بأغانيه وقصائده وعوده وألحانه وشاربه الستاليني عن أفكاره المتحررة، المنفلتة من كل عقال ومبادئه القيمية المدافعة عن الظلم والحرية والكرامة والمساواة وحقوق الإنسان أينما وجد، لذلك يؤكد دائما على أن الأغنية والموسيقى، التي لا تدفع للتفكير لا يعول عليها.

ولد الفنان محمد بحر في 1 تشرين الأول/اكتوبر سنة 1957 في قصور الساف التونسية. وآثر بعد التضييقات الكبيرة التي تعرض لها زمن بورقيبة وبن علي، أن يقيم في المنفى في فرنسا منذ ثمانينيات القرن الماضي. هو مؤلف موسيقي وكاتب أغان وفنان وناشط جمعياتي. غنى للشيخ أمام ولأحمد فؤاد نجم وآدم فتحي ومحمود درويش ومظفر النواب وبلقاسم اليعقوبي وسميح القاسم وأولاد أحمد. وغنى للزيتون ولماسح الأحذية ولأحداث الخبز والمهمشين، وللثورة والعروبة وفلسطين وللحمام وللرياح العاصفة، وللبحر الهادر والرذاذ الليلكي، وترجم كل هذه المعاني والقيم والقصائد في عشرات الألبومات. والكثير من الحفلات والعروض والمهرجانات العربية والدولية التي شارك فيها. في هذا اللقاء الخاص بـ«القدس العربي» فتح لنا صاحب رائعة «ماسح الأحذية» قلبه وصندوق ذكرياته، وتاريخ نضالاته، ليحدثنا عن تجربته الموسيقية الثرية التي مازالت تغني ضد الديكتاتورية والظلم والاستعباد، وتتغنى بحقوق الإنسان.

○ منذ أكثر من أربعة عقود اخترت أن تسلك طريق الأغنية الملتزمة، ومذاك وأنت متوحد مع حلمك، ومتشبث بهذا الدرب الصعب، ألم تتعب من مصارعة الأمواج والتجذيف عكس التيار، رغم كل العراقيل والإكراهات والتغيرات والتحولات والتطورات على المستوى العربي والدولي؟

● تدقيقا بدأت تجربة الالتزام سنة 1979 مع مجموعة أمازيغيين، وبدأنا الغناء في الفضاءات الجامعية وبعض المهرجانات، التي غامرت وتجرأت ببرمجتنا. وقد كنت حينها طالبا في كلية 9 أبريل في تونس العاصمة. ودامت هذه التجربة سنتين تقريبا. وفي صيف 79 قدمنا بعض العروض في باريس. وفي سنة 1980 سافرت إلى باريس لدراسة المسرح. وحقيقة منذ البداية كنت مقتنعا أن المشوار لن يكون سهلا، ومع ذلك لم أفكر يوما في التراجع عن مشروعي الفني، وعن حلمي الذي يناضل من أجل الحرية والكرامة والمساواة وحقوق الإنسان. أعتقد أن الفن والموسيقى ليسا عملية اعتباطية، بل إن لهما هدف ورسالة واضحة. الموسيقى التي لا تدفعنا إلى التفكير لا يعول عليها، ويجب على الفنان أن يكون شاهدا على عصره ويملك موقفا ورؤية واضحين، والتزاما بالأهداف العميقة للفن، لذلك غنيت لأحداث الخبز في 26 كانون الثاني/يناير 1978 وللقضية الفلسطينية وضد العنصرية في جنوب أفريقيا، حين وقعت حملة المطالبة بإطلاق سراح نيلسون مانديلا. مثلما تغنيت بحب الوطن والقضايا العربية والإنسانية العادلة. يجب على الفنان الحق أن يتوحد بشعبه ويدافع عن القضايا الإنسانية العادلة، والأهداف الكبرى للفن. وأعتقد أن قيمة أي تجربة، خاصة تجربتي الملتزمة هي في عمقها الفكري ومحاولة تحريك السواكن وتوعية الناس وبث روح الحرية فيهم. لأن الظلم والاستغلال والاستعباد ما زال موجودا، وكل ما ثرنا من أجله لم يتغير، لذلك نحن على الدرب نسير ومتشبثين بالحلم.

○ أنت من جيل ومرحلة كل ما فيها يسبّح باسم الأيديولوجيا، والشعارات الوطنية والعروبية الكبرى، فهل توافق الرأي القائل أن الأيديولوجيا تقتل الفن والإبداع لأنها تسقط في الشعارات الكبرى والمباشراتية، وتبتعد عن التخييل والرمزية؟

● حقيقة أنا لم أكن يوما متحزبا، رغم انتمائي لجيل الشعارات الذي دافع عن القضايا القومية، إلا أنني اخترت أن أقول وأدافع عن هذه القضايا الكبرى من خلال لغة الفن التخييلية الإبداعية غير المباشرة. وحتى إن كانت بعض القصائد والأغاني فيها بعد تحريضي وتوعوي. وفي النهاية ليس هناك إبداع من دون أيديولوجيا ولا حياة من دون أيديولوجيا لأن الأيديولوجيا هي الفكرة ونحن لا نستطيع أن نعيش من دون فكرة. والمهم هو كيف تستطيع أن تطوع هذه الأيديولوجيا والأفكار لمسارك الفني حتى تعبر عنك وعن قناعاتك.

○ هل تعتقد أن جيل السناب شات واليوتيوب والأنستغرام والوسائط التكنولوجية المتطورة الحديثة، سيلتفت اليوم إلى فنان لا يملك سوى عوده وقصائده وشاربه الستاليني وكلماته وشعاراته العتيقة ومبادئه الثورية؟ وهل سيهتم هذا الجيل ببقية تجارب الأغنية الملتزمة التي تسبح في تيارها؟

● رغم كل ما يقال عن جيل التكنولوجيا وهذا الجيل، فإن الكثير من الشباب اليوم يستمع إلى أغنياتي ويهتم بموسيقاي. ورغم كل التوجيهات والاستقطابات ومحاولات التدجين، التي يتعرض لها جيل الشباب اليوم، إلا أن هناك دائما بعض الجماهير الواعية والشباب الفاهم لما يقع حوله، وهو يهتم ويلاحق التجارب الفنية الملتزمة والعميقة، لأنها تعبرعن أفكاره في النهاية. وبالنسبة لشاربي فقد ورثته عن أبي البحار ولم أرثه عن ستالين. الموسيقى الملتزمة في اعتقادي متطورة وواسعة وتعبر عن حالات الوعي والفكر البشري المتطور، ويجب أن لا نختصرها في بعض الكلمات والقصائد الثورية.

○ كيف يعرف الفنان محمد بحر الأغنية الملتزمة؟ وكيف يعيشها ويتمثلها؟

● أؤكد دائما على أن مفهوم الالتزام مفهوم رحب، وهو الطموح لحياة أفضل، وتصور لعالم مختلف عن الموجود، عالم أكثر عدلا وكرامة وحرية وخيرا. والفنان الملتزم يحاول دائما أن يغير محيطه ويزرع البسمة والوعي في الإنسان على إطلاقيته. الفنان الملتزم دوره حساس جدا ودقيق خاصة في أيامنا هذه.

○ أغلب مواضيع الأغنية الملتزمة وأغانيك تدور حول مواضيع النضال والمقاومة والحرية والثورة، اليوم بعد أن حدثت الثورة، هل من وظيفة وأحقية حضور لمثل هذه الأغاني والمواضيع، والموجة التي ازدهرت في فترة سابقة؟

● كان من المفروض أن الثورة ستزيد لهيب وشعلة هذه الأغاني الملتزمة وهذه الموسيقى الملتزمة، ولكن للأسف الشديد صار العكس، لأن الطفرة السياسية والإعلامية الجميلة التي أحدثتها الثورة، استغلت في الجانب السلبي فقط، وأعطيت الفرصة للسياسيين لاحتلال المنابر التلفزيونية الإعلامية، بينما غيب تماما حضور المبدع والفنان والمثقف من هذه المنابر. وبالتالي الأغنية الملتزمة لم تستفد شيئا من هذه الثورة، بل إننا عدنا إلى الأغاني والوجوه الفنية والثقافية نفسها المكرسة في الماضي. ورغم العمل الكبير والاجتهادات التي تقوم بها الفرق الملتزمة والفنانون الملتزمون فإنهم لا يأخذون حقهم من التغطية الإعلامية، ولا التعريف بإنتاجاتهم وإبداعاتهم وهذا حيف كبير.

○ دافعت عن حقوق الإنسان وغنيت للقضايا العادلة، خاصة القضية الفلسطينية من خلال قصائد محمود درويش وسميح القاسم ومظفر النواب، فأي أهمية ورمزية تكتسيها القضية الفلسطينية في تجربتك الموسيقية؟ وما هو رأيك في ما وصلت إليه اليوم هذه القضية في ظل موجة التطبيع الأخيرة؟

● من دون شك القضية الفلسطينية قضية مست كل العالم وكل الأحرار، ولذلك كل القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية، سواء في من يحكم مباشرة في الداخل، أو من يساعد الكيان الصهيوني أوروبيا وعالميا وعربيا من المطبعين، كل هذا دفعني إلى الوعي مبكرا بهذه القضية الإنسانية العادلة، وقد قدمت اسطوانة كاملة خصصتها للقضية الفلسطينية سنة 1983 سميتها «أغان للزيتون» وكانت كلها من كلمات محمود درويش وسميح القاسم ومظفر النواب. أعتقد أن موجة التطبيع هذه من المضحكات المبكيات في زمننا هذا. وهي دليل على الوضعية الكارثية التي وصل إليها العرب اليوم، وبذلك بقي الفلسطيني وحده عاريا من كل شيء. وأعتقد أن القضية الفلسطينية قضية عادلة وسوف تنتصر طال الزمن أم قصر، لأن القضايا العادلة تحمل في داخلها مقومات النصر.

○ هناك من يقول اليوم إن موجة فن الراب هو التعبير الحديث للأغنية الملتزمة، باعتباره يعبر عن العاطلين والمهمشين والفقراء والأحياء الفقيرة والطبقات المحرومة المسحوقة وعن الثورة أيضا، وهو يستمد لغته البذيئة أحيانا والصادمة من لغة هذه الطبقات، فما رأيك في هذا القول؟ وفي هذه الموجة الفنية التي تلقى صدى واسعا عند الشباب؟

● صحيح أن فن الراب بدأ في الأحياء الشعبية الأمريكية، ومنه انطلق إلى كل المعمورة، حيث تبناه أبناء الأحياء الشعبية، ولكنه أبعد ما يكون عن الأغنية الملتزمة. صحيح هناك أحيانا بعض نقاط الالتقاء مثل، المواضيع التي يطرحها وتطرحها الأغنية الملتزمة، ولكن يبقى الطرح يختلف، فأغاني الراب هي أقرب في طرحها للشعبوية، لأن تستعمل كلمات بسيطة وساذجة وليس فيها أي عمق أو خيال أو صورة أو فكر أو إبداع جديد. لغتها مستهلكة يومية من الشارع، عكس الأغنية الملتزمة تبحث عن التجديد والإضافة والعمق والتوعوية. ولكنني لست ضد هذا الشكل من أشكال التعبير الفني لو ارتقى.

○ هل توافق الرأي القائل إن نجاح الثورة السياسية التي قامت في تونس وبعض الدول العربية، رهين بقيام ثورة ثقافية مبنية على مشروع ثقافي حقيقي؟

● هذا هو السؤال المركزي والجوهري في الثورة، لأنه لا ثورة من دون مشروع ثقافي حقيقي وعميق. لأن الثقافة هي التي ستخلق الإنسان الجديد. لذلك لم تخلق الثورة التونسية إلى الآن أصواتها الإبداعية والثقافية، وتقوم بعملية التحرر الحقيقية. ولن يكون هناك مستقبل للثورة التونسية من دون ثورة ثقافية واضحة. من خلال تكريس مساواة حقيقية بين الرجل والمرأة وتكريس مبدأ العدل في تقسيم الثروة وتكريس حقوق الإنسان والعيش في حرية وكرامة حتى نخلق الإنسان التونسي المتوازن.

○ في رأيك هل انتهى زمن المثقف العضوي بالمفهوم الغرامشي، وأصبحنا نعيش زمن المثقف «العظمي» الذي يرضى بعظمة صغيرة من السلطة في شكل منصب صغير مقابل صمته ومهادنته؟ المثقف والسلطة أي علاقة اليوم في الواقع التونسي خاصة والعربي عامة مع عودة السلطة الدينية المتكلسة، وسيطرة الطبقة السياسية على المشهد؟ ولماذا بقيت هذه العلاقة في تجاذب وتنافر وصراع على مرّ التاريخ؟

● أعتقد أن المثقف العضوي بالمعنى الغرامشي يعيش مثل كل العصور وضعا سيزيفيا، ويحاول كل يوم دحرجة حجارة الظلم والجهل والحرية. أما المثقف «العظمي» يبقى دائما يستغل خبثه ليخدم السلطة من أجل مكتب وسيارة وسفرة حتى يخدم مصالحه. واليوم دخلت على الخط السلطة الدينية المتكلسة التي ستحاول استقطاب الخانعين والكتبة من أجل استغلالهم لمصالحها السياسية.

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741-0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741-0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 10161 الأحد 31 كانون الثاني (يناير) 2021 – 18 جمادى الثانية 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10161 Sunday 31 January 2021

بسبب كورونا الطلبات تتضاعف على «الجراء» في فرنسا

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

يبدو أن الأزمة الصحية التي يعيشها العالم من جراء جائحة فيروس كورونا ساهمت في انتعاش ظاهرة تبني الفرنسيين للكلاب الصغيرة من مختلف السلالات، وفق ما سجلته مزارع تربية الكلاب في شمال البلاد، التي ارتفع عليها الطلب بشكل كبير. ويبرر باتريك فيانت، مدير مزرعة كلاب «غولدن ريتريفر» الفرنسية، ذلك قائلا: «بقاء الفرنسيين وقتا أكبر في المنزل بسبب خضوهم لنظام الحجر الصحي المنزلي، هو من العوامل التي عززت ميولهم إلى تبني كلاب صغيرة» ووفق صرح به لقناة «فرانس3».

فقد تبين، خلال العام المنصرم، أن السلالة الأسترالية من الجراء (جمع جرو) هي المفضلة لدى الفرنسيين أمام سلالتي «بوردر كولي» و«البولدولغ الفرنسي». وهي سلالات أثارت اهتمام الفرنسيين خاصة في شمال البلاد، وأقبلوا عليها بشكل كبير خلال فترة الحجي الصحي المفروض بسبب جائحة كورونا.

في هذا الصدد، يؤكد جون غيران، وهو مدير مزرعة «بوتي دان» الخاصة بتربية الكلاب في شمال فرنسا، يؤكد أنه يتلقى، في الوقت الحالي وعلى مدى الأشهر القليلة الماضية، ما بين مكالمتين هاتفيتين إلى ثلاث مكالمات هاتفية، بشكل يومي، من زبائن يرغبون في تبني جراء (كلاب صغيرة).

ويوضح هذا الأخير، أنه كان يتلقى مكالمتين إلى ثلاث مكالمات في الأسبوع، ما قبل الأزمة الصحية، أي خلال الأوقات العادية. لكن جون غيران، عبر لقناة «فرانس 3» عن خشيته من أن تشجع هذه الطلبات الكثيرة المربين غير الرسميين والذين لا يحترمون بالضرورة الشروط القانونية، وبالتالي عدم احترام الاختبارات البيطرية.

ويتراوح سعر الجرو من سلالة «غولدن ريتريفر» الأصيلة ما بين ألف إلى ألف وخمسمئة يورو. في حين، يمكن أن يتجاوز سعر جرو «البولدوغ الفرنسي» مبلغ ألف وثمنمئة يورو. ويخشى أصحاب المزارع المختصة في تربية الكلاب من أن تصبح هذه الكلاب مجرد سوق مربحة فقط، تكون الأهمية والأسبقية فيها للكمية قبل النوعية والجودة.

كما أنهم يخشون من أن يشجع نقص الجراء على الاستيراد غير القانوني، مما قد يؤدي إلى الإفلات من الفحوصات البيطرية. وهو ما حذرت من مغبته مؤسسة حماية الكلاب والقطط في فرنسا، مطلقة حملة تحت عنوان: «أوقفوا اعتبار الحيوانات كأشياء».

نقش حجري عمره 1500 سنة يلقي الضوء على بدايات انتشار المسيحية بين بيسان وطبرية

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

كشف النقاب في بلدة فلسطينية داخل أراضي 48 عن نقش حجري عمره 1500 سنة كتب باللغة الإغريقية ويحمل اسم السيد المسيح ابن السيدة العذراء مريم وبعد ذلك كانت تستخدم هذه القطعة سقفا حجريا فوق باب كنيسة عتيقة من أواخر الفترة البيزنطية. وتم العثور على المنحوتة الأثرية خلال أعمال حفريات في بلدة الطيبة داخل مرج بن عامر بين طبرية وبيسان، كشفت عن آثار وأطلال كنيسة بنيت في نهايات القرن الرابع ميلادي وقد وجدت المنقوشة الحجرية ضمن جدار مبنى فاخر تم تشييده لاحقا بعد الفتوحات العربية ـ الإسلامية كما يرجح الباحث الأثري دكتور وليد أطرش من بلدة دبورية المجاورة الذي يوضح لـ «القدس العربي» أن هذه المنطقة المعروفة بمنطقة الشفا المطلة على غور الأردن طالما كانت غنية بتربتها الخصبة ووفرة مياهها وبآثارها العمرانية. كما اكتشفت في أرضية الموقع قطع فسيفسائية تزدان بأشكال هندسية وذلك خلال شق طريق داخلي في بلدة الطيبة التي شارك طلاب منها في عمليات التنقيب والحفر ضمن التربية على تعزيز قيمة الآثار في ثقافتهم. وينقل أطرش عن خبراء في فك رموز اللغات القديمة يعملون في الجامعة العبرية في القدس قولهم، إن المنقوشة الحجرية الأثرية المكتشفة في الطيبة نحتت عليها تعويذة مسيحية وتم تثبيتها في مدخل الكنيسة خلال إرساء أسسها في المكان وقد جاء فيها: «يسوع المولود من مريم. بني هذا البنيان بمبادرة الأسقف ثيودوسيوس الأكثر تقوى». أما البنّاء هنا فهو توما الذي يقول في إنه «لا شيء وأدعو الداخلين للصلاة على المذكورين في النقش». موضحا أن مثل هذا النص (المسيح المولود من مريم) كان يستخدم من أجل تأمين من يقرأ المنحوتة كلها من الحسد ومن الإصابة بعين السوء، حيث راج استخدامها في مقدمة النصوص والوثائق في تلك الحقبة القديمة. كما يوضح أطرش أن المنقوشة الحجرية تدعو الوافدين للموقع لدخول الكنيسة وتباركهم وبذلك يتم التمييز بين كنيسة وبين الدير، منوها أن العادة كانت أن ترحب الكنيسة بزائريها بعكس الأديرة. وفي المنقوشة التاريخية يرد إن ثيودوسيوس كمؤسس وباني للكنيسة وهو من أوائل الأساقفة في مدينة البشارة مدينة الناصرة ومنطقتها وعمل أسقفا مناطقيا واعتبر الصلاحية الدينية الأعلى بين بيسان وطبرية والناصرة. ويوضح أطرش أن الأسقف ثيودوسيوس قد ذكر مرة واحدة في التاريخ في رسالة من أسقف استنبول الذي نفي إلى أرمينيا ومن هناك كتب رسالة عام 404 ورد فيها ذكر ثيودوسيوس وهو من أول أساقفة بيسان كما يشهد سجل أساقفتها. ويقول أطرش أن ثيودوسيوس بقي أسقفا في هذه المنطقة نحو سبعة عقود (451–381). كما يوضح أن الحديث يدور عن شهادة تاريخية أولى لوجود كنيسة من الفترة البيزنطية في قرية الطيبة وهي تضاف لشهادات أخرى لوجود مسيحيين في هذه المنطقة، وتابع أطرش «في الماضي كشف النقاب عن آثار كنيسة من الفترة الصليبية وفي الآونة الأخيرة كشف أيضا عن دير قريبا من قرية كفر كما الشركس، في القرن السادس ميلادي وهو واحد من سلسلة أديرة قديمة في المنطقة التابعة لمدينة بيسان بنيت تحت رعاية الأسقف ثيودوسيوس. كما أوضح أن الحفريات كشفت عن موجودات أثرية أخرى في بلدة الطيبة وتلقي الضوء على ملامح الحياة اليومية في الطيبة ومكانتها خلال تلك الفترة القديمة. وتابع أطرش «هذه الكتابة مهمة للتعرف على المسيحية في المنطقة المحيطة حول جبل الطور في فترة مبكرة وفهم المنظومة الكنائسية البيزنطية هنا في منطقتنا».